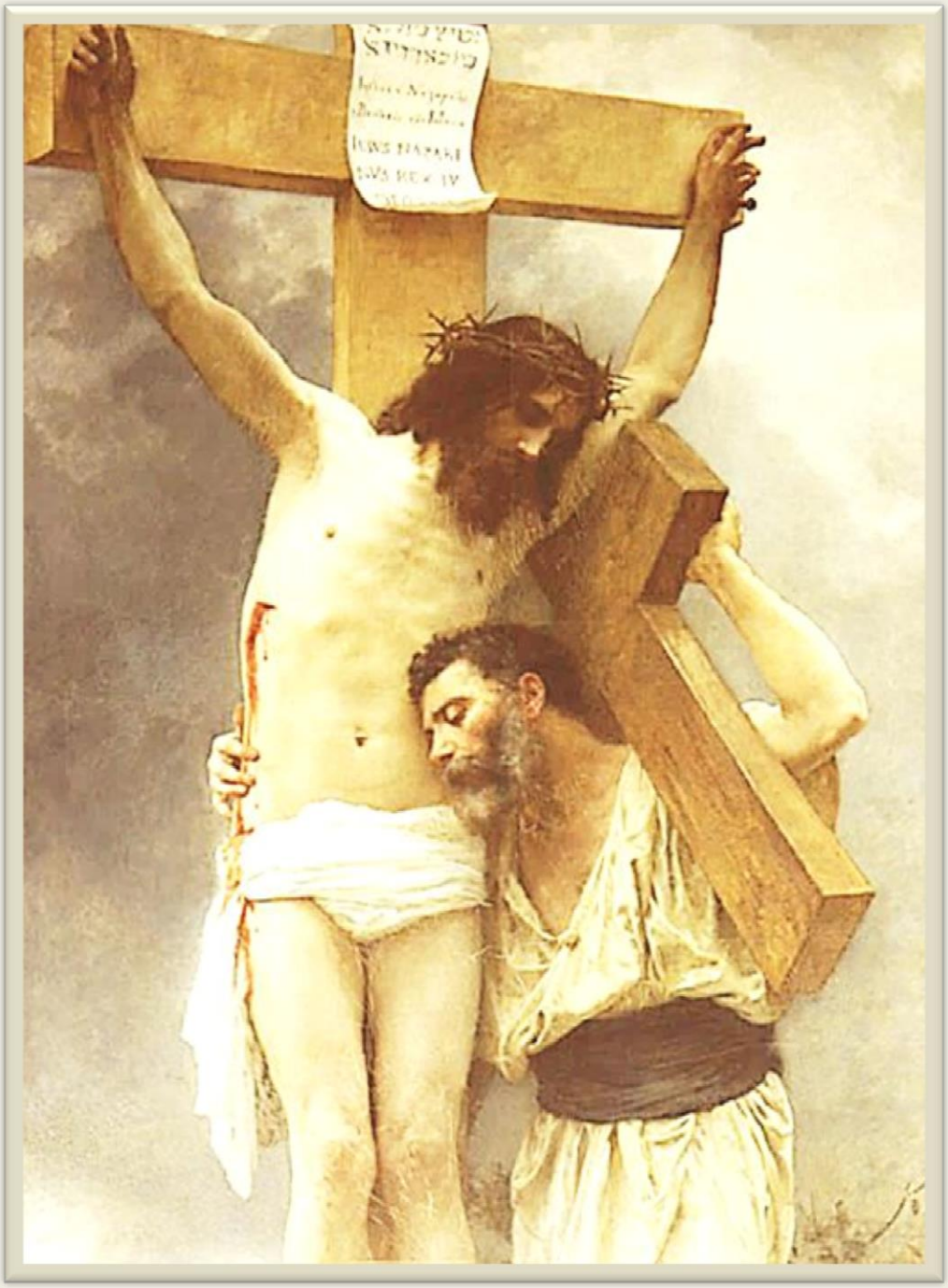


اَلْوَكِيـــلُ الْأَمِيـــنُ

(لو١٢: ٤٢)

(خِبراتٌ.. ومَخاطِر)

اَلْوَكِيـــلُ الْأَمِيـــنُ

(لو١٢: ٤٢)

(خِبراتٌ.. ومَخاطِر)

"كَرَاعٍ يَرْعَى قَطِيعَهُ،
بِذِرَاعِهِ يَجْمَعُ الْحُمْلاَنَ وَفِي حِضْنِهِ يَحْمِلُهَا، وَيَقُودُ الْمُرْضِعَاتِ"

إش٤٠: ١١

أُعِدَّ هذا الكتاب لِزَمن صَعب مُقبِل

مذكرات الراهب أفرام الأنبا مكاريوس ـ وادي الرَّيَّان.

تاريخ الإصدار: سبتمبر ٢٠٢٢م.



أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ،

وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذِلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ





المحتويـــــات	صفحة

مُقَدِّمـــــة..... ٤

إلى رُعَاة الرهبنة..... ٦

إلى رُعَاة قُطعان كنائس المدن:

مَبادئ أوَّلية في الكهنوت الأقدس، وفي الرعاية..... ٤٨

أبي الكاهِن..... ٨٤

أبي الأسقف..... ١٠٥

عاجِـــــلٌ..... ١٦٤

التوصيات المقدَّمة إلى بعض لجان المجمع المقدس، الواردة بهذا الكتاب... ١٧٥

اِعترافٌ وتضرُّع..... ١٧٧

المَراجِع..... ١٧٩

مُقَدِّمَـــــةٌ

"الكنيسة" في عهد النعمة الآن، بَدءً من صُعود المسيح الرب وحتى مَجيئة الثاني المُبارَك؛ هى الطَّور الأخير من أطوار حياة "مَلَكُوتِ اللهِ" على الأرض، الذي ابتُدِئت نُواتُه بِالإنسان الأول، أبينا آدم، وتَتَابَعت حلقاتُه بِشَكلٍ بِدائي في صورة أفرادٍ وعائلات، ثم أرسَى الله مؤسَّستَه الإلهية في هيئة شعب ومَركَز لِلاِجتماع، فكان "الشَّعْبَ الْقَدِيمَ" و "خَيْمَةَ الاجْتِمَاعِ": "الْكَنِيسَةِ فِي الْبَرِّيَّةِ" (أع٧: ٣٨)، الذي اِستغرقت مَراحِلُه وأحداثُه المُدة الأطوَل حتى زمان الافتقاد بمَجيء المسيح.

وقد تعرَّض ملكوتُ الله على الأرض، الكنيسة، للكثير من المقاومة وللعنيف من الاضطهاد والاعتِداء، لأنه ملكوتٌ روحي ومُصارَعاتُه "لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هذَا الدَّهْرِ، **مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ**" (أف٦: ١٢)، والمَشَقَّة هى في أن "الضِّيقَةِ الْعَظِيمَةِ" (رؤ٧: ١٤) كانت مُزدَوَجة: من الخارج ومن الداخل، ولكن رَب الكنيسة قد صَرَّح واعِداً: "أَبْنِي **كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا**" (مت١٦: ١٨).

ما أمجد أن يجعل الله من خِلقة يدَيه مُشارِكين له في أعماله. وعجيبٌ أنه لكي يُفلِح مُشارِكوه في تَخليص نفوس إخوتهم؛ ينبغي لهم أن يُشارِكوه أيضاً بَذل الذات، وهذا يُزيدُهُم شعوراً بِالمسئولية تجاه كل نفسٍ مُفداة بِالدم الإلهي الكريم.

ويحتاج الراعي في كل زمن وكل حقل، في مواجهته لمُتطلبات رِسالته الروحية؛ إلى اللجوء إلى الله في كلٍ من هذَين المَوضِعَين دائماً: المذبح والمخدع. فالراعي يَتراءَى قُدام الرب كما يليق بِجلاله، كما دَعاهُ، لِيَتَوَسَّط بينه وبين خِرافِه الناطِقة، لأنه لا يستطيع إنجاز رِسالته المباركة بدون مُساندة نعمة الله له، ولهذا قال السيد المسيح لِتلاميذه: "أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمُ الأَغْصَانُ. الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ، لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا" (يو١٥: ٥).. وكثيرةٌ هى وُعودُ الله لِخُدَّامه الرعاة الباذِلين بِالمُكافَأة بملكوت السماوات، كما كُتِب: "لِذلِكَ وَنَحْنُ قَابِلُونَ مَلَكُوتًا لاَ يَتَزَعْزَعُ؛ لِيَكُنْ عِنْدَنَا شُكْرٌ بِهِ نَخْدِمُ اللهَ خِدْمَةً مَرْضِيَّةً، بِخُشُوعٍ وَتَقْوَى" عب١٢: ٢٨

فَطُوبَى للرعاة الباذِلين، كهنة الله العَلِي، إن كلاً منهم كَحَبَّة الحِنطَة التي وقعت في الأرض وماتت لِتَقوم لا وَحدها بل ولِتَأتي معها بِثمرٍ كثير (يو١٢: ٢٤)، ذبيحة مُحرَقة مُتَّقِدة دائماً، شَريك آلام الفادي ومن ثَمَّ شَريك مجده، بانٍ للملكوت.. هؤلاء هُم الذين قال عنهم "رَئِيسُ الرُّعَاةِ": "مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ؛ فَهَذَا يُدْعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ" (مت٥: ١٩)، "نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالأَمِينُ! كُنْتَ أَمِيناً فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. ادْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ" (مت٢٥: ٢١).

وهؤلاء يُمثِّلهم الراعي والأب والوالد والرسول والكارِز بولس، بِقَوله: "فَإِنَّنَا لَسْنَا نَكْرِزُ بِأَنْفُسِنَا، بَلْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبّاً، وَلَكِنْ بِأَنْفُسِنَا عَبِيداً لَكُمْ مِنْ أَجْلِ يَسُوعَ... حَامِلِينَ فِي الْجَسَدِ كُلَّ حِينٍ إِمَاتَةَ الرَّبِّ يَسُوعَ، لِكَيْ تُظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضاً فِي جَسَدِنَا. لأَنَّنَا نَحْنُ الأَحْيَاءَ نُسَلَّمُ دَائِماً لِلْمَوْتِ مِنْ أَجْلِ يَسُوعَ، لِكَيْ تَظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضاً فِي جَسَدِنَا الْمَائِتِ. إِذاً الْمَوْتُ يَعْمَلُ فِينَا، وَلَكِنِ الْحَيَاةُ فِيكُمْ" ٢كو٤: ٥ـ ١٣

وهُم الذين شُهِد لهُم بأنه: "وَالْفَاهِمُونَ يَضِيئُونَ كَضِيَاءِ الْجَلَدِ، وَالَّذِينَ رَدُّوا كَثِيرِينَ إِلَى الْبِرِّ كَالْكَوَاكِبِ إِلَى أَبَدِ الدُّهُورِ" دا ١٢: ٣، "أَمَّا الشُّيُوخُ الْمُدَبِّرُونَ حَسَناً فَلْيُحْسَبُوا أَهْلاً لِكَرَامَةٍ مُضَاعَفَةٍ، وَلاَ سِيَّمَا الَّذِينَ يَتْعَبُونَ فِي الْكَلِمَةِ وَالتَّعْلِيمِ" ١تي٥: ١٧، "وَمَتَى ظَهَرَ رَئِيسُ الرُّعَاةِ تَنَالُونَ إِكْلِيلَ الْمَجْدِ الَّذِي لاَ يَبْلَى" ١بط٥: ٤

تَعَرَّض هذا الكتاب لبعضٍ مما يخص كلاً من دَور الراعي، واحتياج الرعية، وتدبير الرعاية. لا بِرؤية الكاتب فقط إنما تَوثيقاً من أغنَى الكتب المُلهَم كُتَّابُها في مبادئ وتدابير الخدمة الروحية.

سجَّل الكاتب خَواطِرَه بِطَريقةٍ غير شخصية تَقصِد أشخاصاً بِذَواتهم؛ بل بِطريقةٍ مَوضوعية، بِهَدف التأكيد على مبادئ رسالة رعاية النفوس، مُريداً أن تكون **"كَنِيسَةَ اللهِ الَّتِي اقْتَنَاهَا بِدَمِهِ"** (أع٢٠: ٢٨) كما يُريدها هو **"كَنِيسَةً مَجِيدَةً**، لاَ دَنَسَ فِيهَا وَلاَ غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذلِكَ، بَلْ تَكُونُ **مُقَدَّسَةً وَبِلاَ عَيْبٍ**" (أف٥: ٢٧)، مِثلما دَعاها من قَبل: "كُلُّكِ جَمِيلٌ **يَا حَبِيبَتِي لَيْسَ فِيكِ عَيْبَةٌ**" نش٤: ٧.. تُرَى؛ هل يمكن لِكَنيستنا الآن أن تَنقِل الجبل مَرةً أُخرَى؟

✝

إلى رُعَاة الرهبنة

"وَأَجْعَلُ وُكَلاَءَكِ سَلاَمًا وَوُلاَتَكِ بِرًّا" إش٦٠: ١٧

"وَأُعْطِيكُمْ رُعَاةً حَسَبَ قَلْبِي
فَيَرْعَونَكُمْ بِالْمَعْرِفَةِ وَالْفَهْمِ" إر٣: ١٥

✝ لِتَكُن للراعي العَين المُفرِزة للأغراض الحقيقية لِرَغبات الوافِدين إليه للرهبنة..

يمكن تصنيف طالِبي الرهبنة من حيث رغبتهم في الرهبنة إلى ٥ فئاتٍ رئيسية:

١ـ ذُو الرغبة الطفولية (أو المُقَلِّدة):

وهو الذي في طفولته قد تأثَّر بشخصية راهبٍ ما، كان قد لاطَفَه كطبيعة مُداعبة الكبار للأطفال، أو الذي أوعَز إليه آباؤه ولَقَّنوه، على سبيل المُداعَبة الكَلامية، أنه عندما يَكبُر يُصبح (أبونا) ويُناولهم، فَكَبِر مثل ذلك الطفل وهو مُوَجَّهٌ، لا إرادياً، نحو هذا النمط من الحياة.

قال لي راهبٌ مُفتخِراً: (أنا كنت عايز اَترَهبِن مِن وانا في ابتدائي)! إنه بالتأكيد في ذلك السِّن لم يكُن يعرف مَدلول كلمة "رهبنة".. ذلك قد تَعَثَّر، وأعثَر، كثيراً في الرهبنة.

٢ـ ذُو الرغبة المُتملِّصَة من مَسئولية:

وهو الذي يكون مسئولاً مَسئولية أدبية، أو مادية، من نحو أحدٍ من أفراد عائلته، ولكي يتخلَّص من مسئوليته ـ بِطريقةٍ تَبدو أنها صالحة ـ يَقوده دافِعٌ دَفينٌ بِداخِله إلى فِكرة التَّرَهُّب.. وقد لا يَشعُر ضَميرُه هو نفسه بهذه (الحِيلَة) النَّفسانية، حتى يُنَبِّهَه إليها أب اعترافه أو المسئول بالدير.

وقد تكون رغبة البَعض في التَّرَهُّب هى الهروب، قَصْداً، من ضُغوطٍ أليمَة (إجتماعية ـ عملية ـ مالية..)، مثل مريض مَرَضاً مُكلِّفاً يَفِد إلى الدير طالباً الرهبنة كَي يقوم الدير بِنَفَقَة عِلاجه.. وقد تكون رغبة أحدهم في الاِنضِمام إلى دَيرٍ لا اشتِياقاً روحياً لَدَيه؛ بل فقط لِلبُعد عن شرور الدُّنيا.

٣ـ ذُو الرغبة المُغرِضة:

وهو الذي أحب لا الرهبنة وإنما مكانة ذَوِي الرهبنة في المجتمع: المظهر (الشكل ـ الزِّي..)، اللقب (الراهب ـ أبونا..)، الوَضع (توقير الناس ـ كرامة الكهنوت ـ سُلطة الأسقفية..).

راهبٌ كان قبل تَرَهُّبه لَدَيه (هَوَس) الرئاسة، ذلك ـ وبدون مُبالَغة ـ كافَحَ نِضال المُحارِبين في عِدة أدِيرة حتى يترهَّب، لا لكي يَحصُل على الكهنوت وحَسْب بل وعلى درجة الأُسقفية!

لكن لكي يقتني إنسانٌ الرهبنةَ حقاً؛ يجب أولاً أن يكون إنسان صلاة، ثم يكون له علاقة وَثيقة بِالمذبح، ولَديه رصيدٌ من الفِكر الرهباني، ومن السلوك الرهباني، وإلَّا فَسَيَكون وجودُه في الدير مجرد (مَعيشة)، وسَيَكون الدير بالنسبة له مجرد (وطن).

إن أصحاب تلك الرغبات إذا وجدوا فُرصة لِلعَيش في أحد الأديِرة؛ فَسُرعان ما يَتعَبون، أو يَصطدِمون بِحقيقة عدم وجود ما كانوا يتوَقَّعونَه ويَحلَمون به السنين، لكن الغريب أنهم يَستمرون في طريقهم الجديد ولا ينقطع أمَلُهم في تَحَقُّق أحلامهم القديمة، فَيَتَعَثَّرون أكثر ويُعثِرون آخَرين!

٤ـ ذُو الرغبة المُرتَيِّبة فوق ما ينبغي (أو المُتطرِّفة في التديُّن):

وهو الذي رأى أن غالبية القديسين كانوا من فئة الرهبان، فَأراد السلوك في مُستواهم الروحي الذي لم تَصِل إليه قامَتُه، فَأراد الاِنضِمام إلى عائلة (الزِّي الأسود) التي ـ بِحسب مُعتَقَده ـ هى التي تَجمع تحت لِوائها الأفراد الأكثر قداسة، الذين يَشغَلون ـ بِلا محدِّدات ـ القامات الروحية الأعلَى على الأرض، ثم في الملكوت.

٥ـ ذُو الرغبة الصالحة (الراشدة، السَّوِيَّة):

وهو الذي اختار هذا الطريق لِأجل خلاص نفسه وحياته الروحية ـ بِغَض النظر عمَّا إذا كان اختيارُه هذا مُوافِقاً مَبدئياً له أم لا ـ فهو صادقٌ مع نفسه، دون انقيادٍ بطموحٍ مريض أو بِغرضٍ ذاتي.. لهذا يَحسُن أن يكون قرار التَرَهُّب في سِنٍ راشدٍ رجولي ومسئولٍ، كما ينبغي أن يكون صاحب القرار مُمتحِناً لِغَرَضه.



✝ الرهبنة لَيسَت طريقاً للتوبة بمفهومها السَّلبي..

الرهبنة لِراغِبها لَيسَت طريقاً لِتَوبته التوبة بمفهومها السلبي، أي أنها لَيسَت مجرد (طريقةٍ) لِتَرك إنحِرافه (إلَّا لو كانت تَوبته: توبة نارية، عن حياةٍ فاسدة، هو من أعماق قلبه تائِب إلى الله، وحيث كَثُر إثمُه كَثُرَت له النعمة، كَتَوبة موسى الأسود ومريم المصرية وغَيرهما، ولكن هذه الحالة نادرة الحُدوث جداً).

أيها الراعي، يا مَن هَمَمت برَفع يَدَك لِتنطِق بِتَكريس أحدهم: "نَدعوك راهباً"؛ مَهلاً..

إن كنت حتى بعد التذكيات المقدَّمة إليك عنه ما زِلتَ غير متأكدٍ من اِستقامة غرضه؛ مَهلاً..

إن كنت مُرتاباً في اِكتِمال إعداده للرهبنة؛ مَهلاً..

إن كنت تعرف عنه أن له اتجاهٌ مُخالِف للإيمان أو للأخلاق أو للنظام، خصوصاً لو كان له كاريزما أي صاحب شخصية جَذَّابة أو شخصية مُؤثِّرة؛ مَهلاً..

لأنك إن كنت قد كَرَّستَه بِالرُّغم من تَشَكُّكك فيه، ثم اتضح أن شكَّك هذا كان في محلِّه، فنَضَحَ بما في داخله، وسبَّب تشويشاً بالمجمع ـ فإنك تكون قد غرَزت، بِيَدَيك، شوكةً في جَنبك وفي جنب الدير وفي جنب الكنيسة كلها، ولا تَلبَث هذه الشوكة حتى تنتقل إلى رأسها، **المسيح**!

(مرةً قال لي أخٌ مُعانِدٌ: لمَّا البِس بَس الجلابية السُودا)!.. اذكر دائماً ما هو مكتوب: "**لاَ تَضَعْ يَداً عَلَى أَحَدٍ بِالْعَجَلَةِ، وَلاَ تَشْتَرِكْ فِي خَطَايَا الآخَرِينَ**" (١تي٥: ٢٢).

صحيحٌ أن الكثيرين "مَدْعُوُّونَ وَمُخْتَارُونَ وَمُؤْمِنُونَ" (رؤ١٧: ١٤)؛ ولكن المقصود بِالدعوة هنا هو الدعوة للخلاص، وأمَّا الدرجات الروحية فَلَيسَت للجميع، ولهذا فمِن الضروري أن يكون مُريد الرهبنة لَدَيه الاستعداد الواجب والكافي. وصحيحٌ أنه لا ينبغي أن الراعي يَفترِض في طالب الرهبنة أن يكون من ذَوِي المواهب فوق الطبيعية؛ **إنَّما من الملامح الأساسية التي يَختَبِرها الراعي فيه هي هذه الملامح الخَمسة:**

١ـ أن يكون من خَلفِية كَنَسِيَّة (غير غريب عن المذبح وعن الليتورجيا).

٢ـ أن يكون قد قطع شَوطاً وافِياً في حياة التوبة والجهاد الروحي.

٣ـ أن يكون مُحِبَّاً للهدوء (فالمناخ العام للحياة الديرية هو الهدوء: هدوء المكان، وهدوء النفس).

٤ـ أن يكون لَيِّن الطِّباع (غير حَرِن).

٥ـ أن يكون مُنقَبِضاً إلى نفسه (غير مُتجسِّسٍ على الخصوصيات)..

في أهمية هذا الأمر كتب الأب يوحنا الدَّرَجي:

فَليتفكَّر الرئيس ويتبصَّر قبل قبوله طُلَّاباً جُدُداً، فإن الله لا يَشجب كل رفض أو اِمتِناع][1].

[وفقاً للفطنة التي يَستوجِبها هذا الدهر **لا نُعجِّلنَّ في وَضع اليد على أحد**، ذلك خَوفاً من أن يُقبِل إلى السيرة الرهبانية جاهلاً ثقلها وحَرَّها فلا يتحملها متى خبرها فيرجع إلى العالم. **فهذا لا يَخلو من خطرٍ على الذين وضعوا اليَد عليه قبل الأوان**][2].

أرى أنه في هذا الزمان ينبغي على رُؤساء الأديرة مُراعاة التدقيق في قبول طالِبي الرهبنة، بحيث يكونون على درجة غير دَنِيَّة من الروحانية أي من المُميَّزين روحياً، ثم مُراعاة التدقيق قبل النُّطق بِصَلوات تكريسهم.. فكما أنه لا يَصِح أن فَصلاً دِراسياً يجمع تلاميذَ مُبتدِئين وآخَرين من أصحاب الدراسات العُليا في العِلم معاً؛ هكذا لا يَصِح أن دَيراً رَهبانياً يجمع تائبين مُبتدِئين وآخَرين من أصحاب الدرجات العُليا في التوبة معاً.. المجتمع العلماني علماني والمجتمع الرهباني رهباني.

سَهلٌ هو رَفت عاملٍ من عمله، أو اِستِبعاد خادمٍ من خدمته، ذلك في سُهولَة قَص الظُّفْر، لكن صَعباً هو خَلع عُضوٍ فاسِد من ذَوي الزِّي الأسود من درجته، فَذَلك يكون كما بِخَلع الضِّرس الذي لا يَخلو من أَلَم ونَزف!

---

[1] الأب يوحنا السُّلَّمي: "السُّلم إلى الله"، فصل "رسالة إلى الراعي". تعريب رهبنة دير مارجرجس الحرف، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، منشورات النور، بيروت، صفحة ٢٨٨.

[2] المرجع السابق: صفحة ٢٨٦.

✝ ما هو المقياس الحقيقي لقبول أو لعدم قبول وافِدٍ إلى الدير طالباً الرهبنة؟

على أي أساس يختار الأب الرئيس، من بين طُلَّاب الرهبنة المتقدمين إليه، مَن سَيكون أحد رهبان ديره؟ هل على أساس اِستيفائه للشروط الشخصية والاجتماعية، وعلى أساس مؤَهِّلاته العِلمية، وعلى أساس مدى ارتِياحه الشخصي له واستِحسانه إيَّاه؟

فقد يرفضه بينما يكون ذاك هو أحد "**الَّذِينَ أُعْطِيَ لَهُمْ**" (مت١٩: ١١)، وقد يقبله بينما يعود ذاك "**يَطْلُعَ أَصْلُ مَرَارَةٍ وَيَصْنَعَ انْزِعَاجاً**" (عب١٢: ١٥).. كما أن أمر رهبنته لا يرتبط فقط بِخلاصه، بل يتصل بِروحانية الدير، ويمتد تأثيره إلى مَتانة بِناء المَنظومة العامة لجَيش الرهبنة!

في الحقيقة ليس صاحب الاِختيار الأول وقرار قبول المتقدم أو عَدَمه هو الرئيس المَسئول، بل هو الرئيس الأعلى للرهبان والرهبنة، لأنه:

- قد يكون المتقدم صالحاً ولكن دعوته ليست في الرهبنة.
- وقد يكون صالحاً ودعوته في الرهبنة، ولكن ليست في ديرك.
- وقد يكون صالحاً ودعوته في الرهبنة، وفي ديرك.
- وقد يكون المتقدم غير صالحٍ، بل متظاهراً بالصلاح.
- وقد يكون غير صالحٍ، ولكنه عزم بِقوة وبِحَزم على إصلاح نفسه، طالباً خلاصها بالرهبنة...

فبعد اطِّلاع المسئول على صلاحيته، مبدئياً، فالأمر متوقفٌ الآن على إجابة هذا السؤال:

هل لهذا الإنسان دعوة هنا؟

١- إذاً فليُصَلي إلى الله أن يَهديه إلى معرفة مشيئته من جهة ذاك، لئلا يرفضه فيَكون كمَن أغلق ملكوت السماوات قدامه (مت٢٣: ١٣)، ولئلا يقبله لكنه من فَم الرب لم يسأل (يش٩: ١٤).

٢- لا يتعجَّل بِقَرار قبوله أم عدم قبوله، بل ليأخذ وقته، حتى يُعلِن الله مشيئته بطريقةٍ أو بِأُخرَى.

٣- يمكنه أن يَستشِف النتيجة من فم الطالب نفسه، وإن كان هذا ليس بالأمر السهل.

٤ـ من جهة المقاييس المجتمعية، كالمؤهِّل الدراسي والحالة المادية؛ فإن تقدم إليك إنسانٌ غير جامعي أو فقير ويريد أن يترهَّب، وتَوَسَّمت فيه **الروحانية**؛ فلا تُرُدَّه بل اقبله واختبِره لفترة.

لأنه إن كان طالب الرهبنة الجامعي أو الغني قد يدل بِمؤهلاته، وبِتركه لِمؤهلاته، على اجتهاده وجِديته؛ فإن طالب الرهبنة غير الجامعي أو غير الغني أيضاً قد يكون مؤهَّلاً لأن يصير غير مُعتَدٍ بذاته وغير متكلٍ على إمكانيات.. لا توجد قاعدة واحدة تحكم كل الحالات، فهناك أُناسٌ جامعيون أو أغنياء أو أقوياء البِنية يترهبون فيصيرون قديسين، وهناك غيرهم غير جامعيين أو فقراء أو ضُعفاء البِنية يترهبون فيصيرون قديسين أيضاً.

ومع هذا يجب الاعتراف بأن هذا التخليط قد يتسبَّب في مشكلة تَكَوُّن (الطَبَقية) بِالمجمع. طبقة ذَوي المؤهلات العِلمية العالية ذات السِّمات المُتَرَقِّية، وتَقارُبهم معاً، وطبقة ذَوي المؤهلات العِلمية المتوسطة ذات السِّمات الأقَل رُقِيَّاً، وتَقارُبهم معاً أيضاً.. وقد يكون هذا مَدعاةً للبعض من أفراد الفِئة الأولى إلى الشعور بالتفاضُل، أو حتى إلى الاستِعلاء، وللبعض من أفراد الفِئة الثانية بِالشعور بِالدُّونية، أو حتى الغَيرة غير الحسنة.. هو وَضعٌ على الراعي مُعالجته.

✝ الراعي والمَقبولين في الرهبنة..

عند قبول راعٍ لِقَطيعٍ من الرهبنة (رئيس الدير) مَبدئيَّاً لأحَد طالِبي الرهبنة؛ عليه أولاً أن يُفرِد له جَلسة أبَويَّة قبلما يُطلِقه في حظيرة رعويته مُعتمداً على ما قرأه في كتاب "بُستان الرهبان" وهو في بَيته. في هذه الجَلسة يُبيِّن له مُتطلبات التكريس، مؤكِّداً له على النُّذور الرهبانية الثلاثة، ذاكِراً له بنود التعهُّد التي سوف يُلزِم نفسه بها يوم تَكريسه: **"مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ..."** (مت٧: ١٤). وفي المُقابِل يَذكُر له أمجاد الحياة مع الله وتكريس النفس للمسيح وتَبعِيَّته، وكرامة الرهبنة وتَفاضُل الحياة الرهبانية، دُون لا مُبالاة أو مُغالاة أو مُحاباة.. حَبَّذا أن يُعطيه وقتاً إضافِيَّاً حُرَّاً يَقضيه في الدير (أسبوعاً) حتى يُراجِع نفسَه ويُقرِّر هو طَريقَه، وهو ما زال في البداية.

فعندما كان يَفِد إلى السيد المسيح أحَدُهم لِتَبعِيَّته كان يُبيِّن له مُسبَقاً مُتطلبات تَبعِيَّته.. كما يتَّضِح من هذه المواقف:

"وَقَالَ **لِلْجَمِيعِ**: إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي، فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ كُلَّ يَوْمٍ، وَيَتْبَعْنِي. فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي فَهَذَا يُخَلِّصُهَا... لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ، وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ، وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ... دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ... لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللهِ" لو٩: ٢٣، ٢٤، ٥٨ـ إلخ.

"وَكَانَ **جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ سَائِرِينَ مَعَهُ**، فَالْتَفَتَ وَقَالَ لَهُمْ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضاً، فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً. وَمَنْ لاَ يَحْمِلُ صَلِيبَهُ وَيَأْتِي وَرَائِي فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً... فَكَذَلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لاَ يَتْرُكُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ، لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً " لو١٤: ٢٥ـ ٣٤

"وَإِذَا **وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ**: أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ؟... قَالَ لَهُ يَسُوعُ: إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي" مت١٩: ١٦ـ ٢٢

وأيضاً بخصوص المَقبولين في الرهبنة؛ يَنصَح آباء الرهبنة المُختبِرين الراعي بأن يأخذ على عاتِقه تَهذيبهم بالعمل، الروحي والبدَني.. فكتب القديس إيسوذوروس الفَرَمي:

[لا يجب أن تُحَمِّل الرهبان الجُدُد كثيراً بثقل القانون، لكي لا يضجروا مباشرةً من البداية، كذلك لا تتركهم بدون تدريبٍ وأتعاب حتى لا يسقطوا في الخمول، بل يجب أن تساعدهم أن يتقدموا تدريجياً في الارتقاء، لكي يصيروا للأفضل سائرين إلى الأمام مثل إسحق. لأن ما ينجزه المجهود المبالَغ فيه، هذا يصنعه أيضاً الإهمال الكثير، التعب يؤلم، بينما الإهمال يشل][1].

والأب يوحنا الدَّرَجي:

[لا تَرُدَّنَّك الشفقة عن أن تُضنِي الرهبان الشُّبَّان الغِضاض وتكسرهم، فإنهم سَيَحمَدونك وقت الرحيل][2].



[1] رسائل القديس إيسوذوروس الفَرَمي، الناشر: المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ترجمة د. جورج عوض، أغسطس ٢٠١٨، صفحة ٢٢٩.

[2] الأب يوحنا السُّلَّمي: "السُّلَّم إلى الله (رسالة إلى الراعي)"، صفحة ٢٩٠.

✝ معايير عَصرية للقبول في الحياة الرهبانية الدَّيرِية:

١ـ تقديم طالب الرهبنة تذكية **صريحة** من أب اِعترافه.

٢ـ الفحص الروحي والأَبَوي للراغِب في الرهبنة، دون مُغالاة.

٣ـ ألَّا يكون الطالب ملتزماً بمسئولية أدبية، أو بمسئولية مادية، من جهة أحد أفراد عائلته.

٤ـ عدم ارتباطه بجهة دراسية: مدنية أو دينية، بالانتظام أو بالانتساب.

٥ـ إنهاؤه الخدمة العسكرية.

٦ـ السن المقبول (يُقَيِّمه الأب المسئول).

٧ـ المؤهل الدراسي المقبول (يُقَيِّمه الأب المسئول).

٨ـ عدم حِيازته خط internet.

٩ـ تَوصِيته بِالاحتفاظ بممتلكاته حتى ميعاد رهبنته.

١٠ـ قضاء فترة حرة بالدير (أسبوعاً) قبل اعتباره رسمياً طالب رهبنة، كمُطابَقةٍ مبدئية بين ما قرأه وبين الواقع والممارسة العملية.

١١ـ تقديم الطالب هذه المستندات: شهادة الميلاد ـ البطاقة الشخصية ـ شهادة إنهاء الخدمة العسكرية ـ شهادة أعلى مؤهل دراسي ـ فيش بِاسم الدير ـ بيان بأفراد العائلة وظروفهم ـ كشف طبي (المرض لا يمنع الترهب، إنما لأخذ حالة المريض في الاعتبار).

١٢ـ توقيعه على إقرار الموافقة على معايير القبول في الحياة الرهبانية الدَيرية هذه.

١٣ـ حفظ قَدرٍ معقول ـ خلال فترة الأخَوية ـ من: الأجبية ـ المزامير ـ الابصلمودية.

١٤ـ قراءة هذه الكتب الرهبانية خلال فترة الأخَوية (ترتيباً): سُمُو الرهبنة ـ فردوس الآباء (٣ مجلَّدات) ـ السُّلَّم إلى الله (للأب يوحنا الدَّرَجي) ـ مَيامِر مار إسحاق ـ حياة الصلاة الأرثوذكسية.

١٥ـ عدم مُبارَحته الدير خلال فترة الأخَوية أكثر من مرة واحدة في العام، مهما كانت الأسباب.

✝ يتألَّف قوام المجمع الرهباني من هذه الفئات:

١ـ رهبان: راهب شَرِكة ـ راهب وَحدة. وهذه تَشمَل عُموم الأفراد.

٢ـ رهبان مُدَبِّرون: وهُم الذين يقودون ويوَجِّهون دَفَّة الدير. قد يكونون مُدَبِّرين رَسميين وقد يكونون غير رَسميين. أمَّا المُدَبِّرون غير الرَّسميين فقد يكونون أُمَناء بِالحق، ولأجل الصالح (كَراهبٍ عازِفٍ عن الرئاسة ولكن مَشوراته صالحة يأخذ بها المجمع)؛ وقد يكون أحَدُهُم، أو أكثر، ليس أمينا بِالحق، وليس لأجل الصالح (كَراهبٍ يَتداخَل في شئون الدير أو شئون أفراده محاولاً تَوجيهه كما يَرَى).

٣ـ رهبان آباء: لكلٍ منهم موهبة الأُبُوَّة الروحية، فيتكلمون لا بِحكمةٍ بشرية ولا بِوجهات نظر بل بِروح الله. وهذه هى أقل الفِئات عدداً (١كو٤: ١٥).

✝ العناصر الواجب توافرها في المؤسسة الرهبانية (الدير):

١ـ المرشد الخاص: ودَورُه لا ينتهي عند حَد قبول اعترافه، وإنما يمتد ـ بموهبة الأُبُوة الروحية ـ إلى التدبير المُقنَّن والتلمذة المباشرة والمتابَعة المتواصلة، وهذا كان سبباً أوَّلياً في ازدهار رهبنتنا الأُولَى.

كتب الأب يوحنا الدَّرَجي:

[لقد **أقْدَم البعض على قيادة النفوس بحماقة غير حاسِبين حِساباً لِعِبء هذه المسئولية**. وكانوا يملكون ثروة كبيرة فانتهوا صِفر الأيادي بعد أن وزَّعوا كل شيء على مَن تَعَهَّدوهم][1].

٢ـ المدرسة التعليمية المحليَّة: ومهمتها هى تَسليم الرهبان المزامير والتسبحة وأُسُس الحياة الرهبانية، والعقائد الإيمانية، وكلما أمكَن تثقيفهم بِالعُلوم الكَنَسِية.

٣ـ الهيكل الإداري: ومهمته التوجيه الأَبَوي لكل الأفراد، والتأكُّد من إلتزام الجميع بِالنظام الموضوع، النظام الرهباني والنظام الإداري. فلا يُترَك لأحد أن يتصرف منفرداً بمشيئته مُقيماً لكلمته.. لأنه وكما قِيلَ في الأدب الرهباني: [**لا أعرف سَقطةً لراهبٍ إلاَّ للذي يصنع هَواه**].

---

[1] المرجع السابق: صفحة ٢٨٤.

✝ لماذا دُعِيَ الأب الروحي هكذا "أباً روحياً"؟

١ـ لأنه يُجيب أبناءَه لا "بِكَلاَمِ الْحِكْمَةِ الإِنْسَانِيَّةِ الْمُقْنِعِ **بَلْ بِبُرْهَانِ الرُّوحِ وَالْقُوَّةِ**" (١كو٢: ٤). لا يتكلم ممَّا قد قَرَأه بل "**كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ** أَنْ يَنْطِقُوا" (أع٢: ٤).. من المُفترَض أن الكاهن هو أبُ اعتِراف ولكن عملياً ليس كل راهبٍ كاهنٍ يَصلُح أن يكون أبَ اعتِراف. لأن الأُبُوة الروحية مَوهبة من الروح القدس، كقَول الله لِواحدٍ: "**إِنِّي قَدْ جَعَلْتُكَ أَبًا**" (رو٤: ١٧)، ومكتوبٌ: "لأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ لَكُمْ رَبَوَاتٌ مِنَ الْمُرْشِدِينَ فِي الْمَسِيحِ، **لكِنْ لَيْسَ آبَاءٌ كَثِيرُونَ**. لأَنِّي **أَنَا وَلَدْتُكُمْ** فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ بِالإِنْجِيلِ" ١كو٤: ١٥، فإن كلاً منهم يُجيبُ ابنَه ليس فقط بِحَسَب ما يَسأله بل بما يحتاج أن يَسمَعَه.

٢ـ لأنه يأخذ على عاتِقِه تربية تلاميذه وتعليمهم وتهذيبهم، تماماً "**كَمَا تُرَبِّي الْمُرْضِعَةُ أَوْلاَدَهَا**" (١تس٢: ٧)، لا كعملٍ مُسنَد إليه بل بمحبة أبَوية فاعِلة، ومُمارسته لِمسئوليته الوالِدية الرَّاعيَّة عن أبنائه بِتمام مَفهومها، وعند اللزوم لا يتردَّد في أن يُنفِق ويُنفَق لأجل أبنائه (٢كو١٢: ١٥)، ويفرح لِخَيرهم حتى لو فاقت قامة أحَد أبنائه على قامته، وأخيراً يُوَرِّثه مما له وأكثر.

ولنا أمثِلةٌ: فقد وَرَّثَ إيليا النبي تلميذَه إليشَع نصيب اِثنَين من روحه (٢مل٢: ٩، ١٠)، والقديس يوحنا المعمدان حَوَّل تلاميذه من تَبعِيَّته إلى تَبعِيَّة الحَمَل (يو١: ٣٥ـ ٣٨)، وهكذا أبَّا أنطونيوس وتِلميذه بولس البسيط، وأبَّا بموة وتِلميذه يوحنا القصير، وأبَّا باخوميوس وتِلميذه تادرس، وأبَّا شنودة وتِلميذه وِيصا، وأبَّا بولا الطموهي وتِلميذه حِزقيال... ويَبقَى قرار السيد المسيح: "**لَيْسَ التِّلْمِيذُ أَفْضَلَ مِنْ مُعَلِّمِهِ**، بَلْ كُلُّ مَنْ صَارَ كَامِلاً يَكُونُ مِثْلَ مُعَلِّمِهِ" لو٦: ٤٠

٣ـ لأنه إن لم يَشبع الراهب من أتعاب الرهبنة، فَتَمَرَّرَ بِكُروبها وسحَقَته شدائدُها، إن كان بطاعةٍ، أم بشُغل الجسد، أم بِاحتمال المَهانة والمَظلَمة، أم بنُسكٍ بأي نوع، أم بعَوَزٍ، أم في الوحدة بِمقاتلة الأفكار، أم بضُغطة الضجر لسنواتٍ طِوال، وقام من بعد سقوطه وحَصَل على الشفاء ـ فلا يليق به أن يكون أباً لِتلاميذ الرهبنة. والأب الذي يَسمح لأحد أبنائه بتوحد أو بحَبس، أو يقوده فيه؛ لابد أن يكون هو متوحداً.. وإلَّا فَسَيَكون كمثل حلواني يريد أن يصنع الحَلوَى وليس لَدَيه سُكَّر!

[الذي **من إختِياراته يتكلم** عن الفضائل؛ فَيكون مثل ذلك الذي من بِضاعة تِجارته يُلقي كلمته لِسامِعيه، ومن الشيء **الذي إقتناه في نفسه** يزرع التعليم في آذان السامِعين، ويفتح فمه بِدالة مع بَنيه الروحانيين. وذلك كَموقف يعقوب الشيخ مع يوسف العفيف، إذ قال له: هوذا قد أعطَيتُك نَصيباً فاضِلاً عن إخوتك، وهو ما اكتَسَبته من الأموريين **بِسَيفي وَقَوسي**] ـ قال مار إسحاق.

وكتب الأب يوحنا الدَّرَجي: [لا يُوافق أن يرعى ذِئب غنماً، وكذلك **خطرٌ أن يَسُوس إنسان خاضِع للأهواء أُناساً خاضِعين للأهواء أيضاً**][1].

والأُبُوة الروحية لا تتوقَّف على كِبَر السِّن، فقد يَبلُغ راهبٌ سِن الشَّيخوخة ولكنه فقير. ليس كل شيخٍ أباً. وعلى العَكس من هذا؛ فقد دعا الرسول بولس تلاميذه: "**يَا أَوْلاَدِي**" (غل٤: ١٩)؛ بينما كان من بينهم، بالتأكيد، مَن كانوا أكبر مِنه سِنَّاً، وكذلك القديس يوحنا (١يو٢: ١).

† الشروط اللازم تَوَفُّرها فيمَن يمارس الأُبُوَّة الروحية:

١ـ التلمذة المُسبَقة (بِالقراءة + بِالتلقين المباشر).

٢ـ الاختبار الشخصي: "**تَاجُ جَمَال: شَيْبَةٌ تُوجَدُ فِي طَرِيقِ الْبِرِّ**" أم١٦: ٣١

٣ـ المَسئولية الأبَوية المُسنَدة إليه (بِالموهبة الإلهية + بِالتكليف الدَيري أو الكَنَسي).

† دَور الأب الروحي تجاه إبنه:

١ـ الصلاة من أجله (١صم١٢: ٢٣).

٢ـ تدبيره (الروحي + الزمني).

٣ـ تَعليمُه وتَثقيفُه.

٤ـ تَأديبُه وتَهذيبُه.

٥ـ العناية بِاحتياجاته (العَينية + النفسية).

---

[1] المرجع السابق: صفحة ٢٨٣.

✝ لكي يَحيا الراهب حياةً رهبانيةً سَوِيّة يجب أن تتوفَّر له هذه المُتطلِّبات:

١ـ أن يعيش في دير.

٢ـ هذا الدير يكون رئيسُه أسقفاً.

(يُفضَّل أن يكون من أبناء الدير: "**وَيَكُونُ حَاكِمُهُمْ مِنْهُمْ، وَيَخْرُجُ وَالِيهِمْ مِنْ وَسْطِهِمْ**، وَأُقَرِّبُهُ فَيَدْنُو إِلَيَّ، لأَنَّهُ مَنْ هُوَ هذَا الَّذِي أَرْهَنَ قَلْبَهُ لِيَدْنُوَ إِلَيَّ، يَقُولُ الرَّبُّ؟" إر٣٠: ٢١).

٣ـ هذا الأسقف يكون مُقيماً بالدير بِصِفةٍ رئيسية.

رئيس الدير، إن كانت مَسئولِيَّاتك أو خدماتك الرعوية خارج دَيرك لا تُمَكِّنك من الإقامة به ٤ أيام مُتصلة على الأقل أسبوعياً، فَلِكَي لا تتحمَّل مسئولية هلاك أحَد رهبانك، كما لِإحكام ضَبط جميع الأفراد ـ من فضلك **سَلِّم مسئولية دَيرَك** لأبٍ شيخٍ مَشهوداً له بِالتَّقوَى والروحانية، من أبناء الدير، يُجمِع عليه غالبيةُ إخوته، **لِيُسام أسقفاً عليه ويتولَّى رِئاسته مُقيماً فيه**.. لأنه مع كَون رُهبانك بالِغين فهُم بالنسبة لك **أولاد** صِغار.. (وَرَدَت تَسمِيَة السيد لِتلاميذه "**يَا أَوْلاَدِي**" في (يو١٣: ٣٣): **يا أولادي** الصِّغار = ΝΑΨΗΡΙΈΤΙΚΕΚΟΥΧΙ = little children).

حتى يمكن لك أن تُخلِّص نفسَك **وأولادك**: "هَا أَنَا **وَالأَوْلاَدُ** الَّذِينَ أَعْطَانِيهِمِ اللهُ" (عب٢: ١٣).

إن فِكرَة إشراف أساقفةٍ على أديرةٍ عن بُعد عجزت، في أديرةٍ عَديدة، عن إرساء مجتمعاتٍ رهبانيةٍ سَوِيَّة. لأنه لا ينفع أن يَغيب راعيهم عنهم ويتركهم، كما لا يمكن أن يقوم بِدَوره أحدٌ غَيره، لا نائب ولا رُبيتة.. وبِافتراض أن مجمع الرهبان كله روحانيون بينما يوجد عُضوٌ واحدٌ مُنحَل؛ فإن ذلك العُضو كافٍ للشيطان في أن يستخدمه لِيُحدِث به السَّجَس والبَلبال لَدَى القَطيع كله.

وجَديرٌ بِالمُلاحظة أن الأديرة التي يلتزم رؤساؤها بِالإقامة فيها بِصِفةٍ رئيسية؛ يكون أفراد رهبانها أكثر التزاماً وانضِباطاً واستِقراراً.. رُهبانٌ بِدون رئيسٍ أسقفٍ مُقيمٍ وَسطهم، فإن لم يَضبِط اللهُ؛ فَسَيَحدُث التَّخَبُّط والاضطراب والتَّشَتُّت.

"**ذَلُّوا إِذْ لَيْسَ رَاعٍ**" (زك١٠: ٢)

✝ إن مسئولية تكوين الشخصية الرهبانية وتشكيلها في الأخ لا تقع بالدرجة الأولى عليه هو، بل على المؤسسة الرهبانية التي وَفَدَ إليها، أي الدير، طائِعاً ومُستعداً لتنفيذ كل توجيهاتها له، بِاعتبارها القيادة الأكثر روحانية والأوثَق نقاءً من مُداخلات العالم حتى إلى مجتمعات الكنائس.

فما هو دور الدير تجاه الأخ خلال فترة الاختبار؟ هل فقط مُراقبته أيَحضر التسبحة ويُمارس تقاليد المَجمع ويَخضع للأوامر؟! كلا، بل هو أيضاً فترة تلمذة وتَعَلُّم.. فإن لم يصِل الأخ إلى هدفه الذي (كان) يَنشُده بِوُفودِه إليها؛ فلا مَنَاص من أنها، أمام الله، سوف تتقاسَم معه المسئولية.

فما من سببٍ حقيقي يدعو رئيسَ دَيرٍ إلى كَفِّه عن مسئوليته الرعوية تجاه أحَد أبنائه الرهبان، الخاصة والمجمعية معاً. فلَيس من صواب التدبير أن يتركه لِشأنه من وقت تكريسه، معتبراً أنه إلى هذا الحد قد أكمل أمانته بالنسبة له، وكأنه يقول: "إِلَى هُنَا أَعَانَنَا الرَّبُّ"، أكملتُ دَوري تجاهه! لأنه مهما كان المَرء راشداً وصالحاً فإنه لا غِنَى له عن الرعوية الروحية.

وفي السِّلك الرهباني بِالذات، مهما كان العابد مُلِمَّاً بتعاليم الإنجيل المقدس وأميناً في جهاده الروحي؛ فإنه يحتاج إلى القيادة البشرية، لا التي يلجأ إليها عندما يريد؛ وإنما القيادة التي تفرض هي نفسها عليه بِسُلطان الحب الأَبَوي. لأنه إذا فقد الراهب هدفه أو ضلَّ طريقه؛ فغالباً ما لا تُمَكِّنه حالته الروحية، والنفسية، عندئذٍ من أن يطلبها.

إن النفس مُعوَجَّة ومَكلومَة بالأوجاع، فإن لم تشعر بأنها سوف تُسأل من وَلِيِّها عن تَقصيرها فسَوف تصنع هَواها، وكَم سَيَكون الحال أكثر سوءاً لَو تَلاقَت، أو لَو اِصطَدَمَت، أهواؤها المائلة بأهواءٍ لآخَرين مثلها!.. ولَمَّا كانت أنسب بيئة لإنطلاق الإنسان الروحي إلى أعلَى نحو القداسة هو الدير؛ بِالمِثل فإن أنسب بيئة لِانحدار الراهب المتهاون إلى الاِنحراف أو الاِنحلال هو الدير! لماذا؟ لأن الذي له سيادة الأمر في المسيرة الفردية الرهبانية، للراهب الجاد وللراهب المتهاون على السواء؛ هو الإرادة التي تَوَفَّرت لها الحرية، إن ظلَّت مقدسة وإن اِنحَلَّت وانحَرَفت، ومن هنا صار القَول:

[كثيرون هُم الذين من بعدما نَجَوا من بحر العالم؛ هلكوا في ميناء الرهبنة!].

فالطريق الرهباني، أكثر من أي طريقٍ أدَبيّ آخر، لا يقوم بطريقة صحيحة ثم لا يستمر قائماً؛ إلا في وجود القيادة الآبائية. وليس هذا مجرد أدب روحي أو تقليد آبائي، ولكنه مبدأٌ رهباني لا يحتاج إلى إثبات أو مراجعة، مبدأٌ لا يقل وُجُوب إحكامه عن إحكامه في منظومة الجُندية.

فإن سارت الأمور في مجتمعٍ رهبانيٍ ما هكذا؛ أخرج جنوداً في جيش المسيح يقفون في مقدَّمة خطوط الدفاع في الكنيسة المقدسة، ولكن إن لم تَسِر هكذا؛ فَلَسوف تتجاذب الأفراد المُنحرفة إلى بعضها، مشَكِّلةً داخل المجمع العام مجمعاً خاصاً مُتحَوصِلاً، ذلك الذي يُسمَّى في عِلم الإدارة بالتنظيم غير الرسمي. هذا دائماً لا يكون هادئاً بل متحركاً، هادفاً إمَّا إلى الحصول على نفوذٍ في الرئاسة، وإمَّا إلى كَسب معنوي، أو مادي، وإمَّا إلى إعاقة النظام عن قصدٍ غير تَقيٍ، يطلُع كأصل مرارةٍ يصنع سجَساً بين أفراده، كخلايا عُضوية فسدت وتُفسِد.

وعندئذٍ فالوَيل منهم للراهب البسيط أو ذي المبادئ (إبن كنيسة)! إن المبدأ المُنادي بأن الراهب يجب أن يَنغَرِس في المجمع ويتحمَّل نِيرَه حتى يتمحَّص، وحتى يكتشف أوجاعه؛ وإن كان مبدأً صحيحاً لكنه ليس مُطلَقاً أو غير مُقَنَّنٍ، بل يجب أن تَحكُمه ضوابط نِظامية، أبَوِية وإدارية.. لأنه من حق الراهب الحقيقي أن يحيا الحياة المقدسة التَعَبُّدِية التي طَلَبَها ولَجَأ إليها، في المكان الذي أُنشِئ خِصِّيصاً لهذا الغرض.

لنَذكُر قَول أبي الآباء: "الأَوْلاَدَ رَخْصَةٌ وَالْغَنَمَ وَالْبَقَرَ الَّتِي عِنْدِي مُرْضِعَةٌ، فَإِنِ **اِسْتَكَدُّوهَا** يَوْماً وَاحِداً مَاتَتْ كُلُّ الْغَنَمِ" (تك٣٣: ١٣). (اِسْتَكَدُّوهَا: أجهَدوها ـ أرهَقوها).

وعند خروج بَنو إسرائيل من أرض مصر: "صَعِدَ مَعَهُمْ **لَفِيفٌ** كَثِيرٌ أَيْضاً" (خر١٢: ٣٨)، "لَفِيفٌ" من غير شعب الله الذين دَعاهُم، بل دَعوا أنفسهم، ذلك الذي كان سبباً أوَّلِيَّاً في إعثار بل وفي إهلاك المَدعُوّين الحقيقيين، فقد كُتِب: "**وَاللَّفِيفُ الَّذِي فِي وَسَطِهِمِ** اشْتَهَى شَهْوَةً. **فَعَادَ بَنُو إِسْرَائِيلَ** أَيْضًا وَبَكَوْا وَقَالُوا: مَنْ يُطْعِمُنَا لَحْمًا؟" عد١١: ٤

عن هذا الأمر؛ كتب الأب يوحنا الدَّرَجي لِأحد الرعاة:

[لا تَخْفَ عليك عاقِبة العلاقات التي تقوم بين خِرافَك، لأن **الذئاب إنَّما يجعلون النَّشِطين منهم يَستَرخون بواسطة المُتوانين**][1].

[أتوسل إليك أن **لا تجعل المستقيمين من الأخوة مُحتالين مَكَّارين**، بل اِجتهد بالعكس، لو أمكن، أن **تحول الأدهِياء إلى بُسَطاء**. وما أغرَب هذا إن تَحَقَّق!][2].

ألا ينبغي أن يكون الدير مجتمعاً روحياً خالِصاً، لا يضُم غَير طالِبي الله والباحثين عن الحق والمُتعبِّدين والبُسَطاء؛ أم لابُد أن يَكتَنِفُه طالِبو مَناصِب وباحِثون عن الرزق وغَير بُسَطاء؟ وألا يمكن إقامة مجتمعٍ رهبانيّ مِثاليّ؟!

من غير المُفترَض أن المسئول عن الراهب في الدير هو أبوه الروحي، لأن المسئول أولاً وأخيراً عن أيّ راهبٍ وكل راهب في الدير، وعن الدير، هو راعِيه؟!

صحيحٌ أن كل راهب مسئول عن خلاص، أو هلاك، نفسه؛ لكن الأمر لا يتعلق به وحده. لأنه مهما يكُن من أمر فإن الدير ومجموعة أفراده هُم جزءٌ من نسيج مجتمع العالم، قبِل أم لم يَقبَل. ونحن لا نَوَد أن يأتي اليوم الذي فيه يَنكشِف ما بهذا الجزء من تَرَدٍ لا يختلف كثيراً عن باقي النسيج، فَيَصير هذا مَدعاةً لمُداخلاتٍ حكومية غير مقبولة مع أُمِّنا الكنيسة. إن هذه الكلمات قد سُطِّرَت قُبَيل حدوث الجريمة الشَّنعاء بِدَير الأنبا مقار عام ٢٠١٨ بفترةٍ قليلة. تلك الجريمة التي قد حدثت بسبب أخطاءٍ أُهمِلَت، فتَرَاكَمَت، ولم تُعالَج في وقتها.. ولمَّا كانت تلك قد صَدَرت عن أعرَق ديرٍ أرثوذكسيٍّ قبطيٍّ في العالم؛ فماذا نتوقع بعد مما تَستُره أسوارُ أديرةٍ أخرى؟!

فإلامَ يرجع هذا؟ يرجع كل هذا ليس فقط لِانحراف راهبٍ؛ وإنما لِغِياب القيادة الحازِمة، بإطلاق الحرية لمَن لا يستطيع قيادة نفسه (مثلما أطلَقَ أبو الآباء، يعقوب، الحرية لأبنائه فَجَلَبوا عليه بَلايا عَديدة وثَقيلة).

---

[1] الأب يوحنا السُّلَّمي: "السُّلَّم إلى الله (رسالة إلى الراعي)"، صفحة ٢٨٥.

[2] المرجع السابق: صفحة ٢٩٠.

لقد وُضِعت القوانين والأنظمة لمَن لا يفهم معنى الحرية، أو لمَن يعبث بها، فيَستخدمها ضد نفسه أولاً ثم ضد مُجتمعه (١تي١: ٩؛ رو١٣: ٣ـ٦). لأنه من غير المُفترَض أن يكون جميع الأفراد أنقياء، متقدمين، لكن هناك الضعيف وهناك المُتَعَثِّر وهناك المريض، وهناك الساقِط، وهناك مَن حالُه أصعَب من هذا!.. إنه بسبب غياب الإدارة المُحكَمة والقيادة الحازِمة قد أنذَر الربُّ، بِقَوله:

"وَيْلٌ لِلرَّاعِي الْبَاطِلِ التَّارِكِ الْغَنَمِ!" (زك١١: ١٧)

ما رأي رعايتكم؛ أليَس غالبية الذين وفدوا إلى الدير وترهَّبوا كانوا مُستقيمي الغرض، لكن ربما لغياب المتابعة الوالِدية الرَّاعيَّة، لكل راهبٍ على حِدَتِه، سقط منهم في الطريق مَن سقط؟

تُعاني العَديد من الأديرة الآن من حالةٍ من العَطَب المجتمعي، بِدليل أنه هناك عِدة أديرة اِستُقدِم لِرِئاستها مِمَّن لَيسُوا من أبنائها، وهذا يدل على أنه لم يوجد في كلٍ من هذه الأديرة واحدٌ فقط يَصلُح لِإدارته.. إن الحالات الفَردية الشاذَّة سَلبياً بِالأديرة؛ قبلما يُسأل عنها أفرادُها الرهبان يُسأل عنها أولاً رؤساؤها، وكذلك المَسئولون بكلٍ منها. فإن عمل النائب، أو مَن يُماثِله، ليس هو وظيفةً بل وَزنة، وليس هو تَرقِيَةً بل موهبة، ينبغي على صاحِبها الاستِماتة في البَر بها، بِسُلوكه هو أولاً سُلوكاً رهبانياً قائِدياً، ثم بِأن يكون أميناً حتى في أدَق تفاصيل مُتطلبات وَزنته.

لا يتوقَّف نجاح، أو فشل، رهبان كل دَيرٍ في تَعَبُّدهم على تتميمهم لِقانونهم الروحي وحَسب؛ بل أيضاً وعلى الإدارة المُحكَمة. ولا يتوقَّف نجاح، أو فشل، مَسئولي كل دَيرٍ في مُهِمَّتهم على سِنِّهم أو مُؤهِّلهم العِلمي بل وروحانيتهم وحَسب؛ بل أيضاً وعلى القيادة الحازِمة. وكلَّما كَثُرَ عدد أفراد الدير كلَّما كَثُرَت الحاجة إلى تَشديد ضَبطِه.. وَيلٌ للمجمع الذي يكون رأسُه مُتغاضِياً!

عن الأب يوحنا الدَّرَجي: [لا ينبغي الإعجاب بمعلم يُفَطِّن أولاداً مَوهوبين، **بل بالذي يقود إلى الحكمة والكمال أُناساً غِلاظاً فَظِّين**. فإن مَهارة قُوَّاد العربات تتجلَّى فتستجلب لهم المديح عندما يفوزون في السباق بجِيادٍ غير مُروَّضة ويعودون بها سالمين][1].

[1] المرجع السابق: صفحة ٢٨٠.

يُحَذِّر الكاتب: إن الخطر الذي يُشَكِّله بعض الرهبان، الخارِجين عن طاعة الآباء والكنيسة الآن؛ ليس هو في تقصيرهم في قانونهم الروحي ولا في أخطائهم السلوكية أو الأخلاقية، داخل الدير كانت أو خارجه، فهذه باتَت أنواعاً قديمةً من الانحِرافات ـ وإنَّما يتمثَّل خطرُهم في أنهم فشلوا في أن يكونوا أبناءَ مُخلِصين لِأمهم الكنيسة، وحَنَثوا بِنَذر **الطاعة**، وصاروا رهباناً (قِطاع خاص)! وأي تكوين رهباني لا يكون تحت جَناح أو مِظَلَّة الكنيسة يكون كَخَلايا سرطانية تُناهِض (أي: تُضاد/ تقاوِم) الكنيسة، حتى لَو كان رئيس ذلك التكوين هو أحد الرعاة.

بخصوص هذا الأمر؛ كتب القديس إيسوذوروس الفَرَمي في إحدَى رسائله:

[لقد أدار يوسابيوس الصالح (يَصِفُه القديس إيسوذوروس بِالصلاح مُتهكِّماً) كلَّ شيءٍ بِالصَّواب، منح هذا الأمر لإيبارشية الفرما أيضاً، سمح لِرُعاة الأغنام والماعز والعبيد الهاربين أن يؤسسوا بيوتاً رهبانيةً بدون أن يتعلموا، أو يَحيوا الحياة الرهبانية، أو يُحبونها بِشَكلٍ عام، ودون أن يسمعوا عن الحياة المملوءة تقوَى، أو يتعلموها، حتى على مستوى الشكل. ما يفعله يُشَبَّه بمدينة تتعرض للحرب والسهام مُوجَّهةٌ عليها، فَيَتِم السماح بأن يَصطَف لحمايتها أناسٌ غير مُسَلَّحين، وليس لهم خبرة حربية، مانِحاً بمفرده وبإرداته، النصر للأعداء][1].

وإلَّا فما معنى أن يَقحَص (أي: يَنفَلِت/ يَنسَلَّ) راهبٌ ويَنأى بِنَفسه عن دَيره، أو أن راهباً مَقطوعاً من شركة الرهبنة، يقوم بِشِراء أرضٍ بِاسم "مزرعة"، دون تَكليفٍ من دَيرِه، وليس تحت رِعاية الكنيسة بِأي شكل، وهذه الحالة قد تَكَرَّرَت بِشَكلٍ مَلحوظ؟! فإنه بهذا يكون قد حَنَثَ بِنَذرٍ ثانٍ من نُذُور الرهبنة الثلاثة وهو نَذر **الفقر**. فمِن أين حَصَل على تكلفة الشراء العالية لتلك الأرض؟! وأخشَى أنه يَضُم إليه أحَدَهم لا مانعَ لَدَيه من أن يُلبِسَه (الجلابية السُودا) دون مُبارَكة الكنيسة والآباء (لَيتَ لجنة شئون الرهبان والأديرة تُبادِر بِتَسجيل الزِّي الرهباني).. ومَن يَحنَث بِنَذرَين من نُذور الرهبنة الثلاثة من السهل جداً أن يَحنَث بِالنَّذر الثالث، **البتولية**.

---

[1] رسائل القديس إيسوذوروس الفَرَمي، الناشر: المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ترجمة د. جورج عوض، أغسطس ٢٠١٨، صفحة ٢٣١.

السِّلكُ الرهباني ليس هو أحَد أنماط مَعيشة المجتمعات الخاصة؛ ولكنه منهجٌ روحيٌ مُتسامٍ تَعَبُّدِيٌ مُتخصِّص، وليس هذا فقط؛ بل ولا يَصلُح لِإحدَى مُؤسساته (أي أحَد الأديرة) أن تَستقِل أو تَنأى بِنَفسها عن جِسم الكنيسة.

وكيف يكون الخلاص؟ هذا يكون برجوع وتفعيل الرعاية الروحية. إنه مهما كَبِرَت الخراف فإنها إذا أهملها راعيها لا تَخلُص من التشتُّت أو الجوع أو الافتِراس:

"**رُعَاةٌ كَثِيرُونَ أَفْسَدُوا كَرْمِي** دَاسُوا نَصِيبِي. جَعَلُوا نَصِيبِي الْمُشْتَهَى بَرِّيَّةً خَرِبَةً" إر١٢: ١٠

"كَانَ شَعْبِي خِرَافاً ضَالَّةً قَدْ **أَضَلَّتْهُمْ رُعَاتُهُمْ**. عَلَى الْجِبَالِ أَتَاهُوهُمْ..." إر٥٠: ٦

غالبية الرهبان يُحبون الإصلاح ويتمنَّون قيام الرعاة به، لأنه من مسئوليتهم وصلاحيَّتهم هُم. وإن كانت مسئولية راعٍ لِقَطيعٍ من العلمانيين هى وَعظهم وافتقادهم، والذين عددُهم بِعَشَرات الآلاف؛ فماذا تُمثِّل بالنسبة لها مسئولية راعٍ لِعِدة عشرات فقط من الرهبان في دَيره؟!

وإن كان السؤال: ما هى نقطة التحول لإحداث هذا الإصلاح؟ فها هى إجابته:

١ـ عكوف الراعي على الوَعظ. كيف لا يَجمع قَطيعَه بعد صلاة الغروب، ويُطعِمهم ويَسقيهم من غِذاء وماء الحياة، من كلام الإنجيل والأدب الرهباني، كآباء الرهبنة قديماً؟!

وَرَد في كتاب بُستان الرهبان:

[مِمَّا يُؤثَر عن العِناية البالِغة التي كان يُبديها أبو الشركة بِرُهبانه؛ أنه **كان يجلس كل مساء معهم بعد صلاة الغروب لِيَستمِع لِأسئِلتهم ويُجيب عنها**].

٢ـ الإشراف والمتابَعة الشخصية الرئاسية، بِالافتقاد والتَفَقُّد والملاحظة العَينية.

٣ـ تحديث نُظُم وتدابير كل بيت رهبنة من الداخل، لمواجهة المُستجَدات، داخلياً وخارجياً.

٤ـ تقرير مَنع اللقاءات ـ الجَماعية أو الثُّنائية ـ داخل القَلالي.

٥ـ إختيار القادة الروحانيين والأكفاء أيضاً، الذين يمكنهم أن يُحدِثوا إضافةً حقيقية وفارِقة.

عندئذٍ يتحقق بِواسطته قَول السَّيِّد الرب: "**أَنَا أَرْعَى غَنَمِي وَأُرْبِضُهَا** يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. وَأَطْلُبُ الضَّالَّ، وَأَسْتَرِدُّ الْمَطْرُودَ، وَأَجْبِرُ الْكَسِيرَ، وَأَعْصِبُ الْجَرِيحَ، وَأُبِيدُ السَّمِينَ وَالْقَوِيَّ، **وَأَرْعَاهَا بِعَدْلٍ**" حز٣٤: ١٥، ١٦.. أُذكر ما قد سجَّله الكتاب المقدس عن الرعِية أثناء قيادة الرعاة المَهَرة لهم:

الراعي موسى: "...هَابُوا مُوسَى **كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ**" يش٤: ١٤،

والقائد يشوع: "وَعَبَدَ إِسْرَائِيلُ الرَّبَّ **كُلَّ أَيَّامِ يَشُوعَ، وَكُلَّ أَيَّامِ الشُّيُوخِ** الَّذِينَ طَالَتْ أَيَّامُهُمْ بَعْدَ يَشُوعَ..." يش٢٤: ٣١؛ قض٢: ٧،

والقاضي صموئيل: "وَكَانَتْ يَدُ الرَّبِّ عَلَى الْفِلِسْطِينِيِّينَ **كُلَّ أَيَّامِ صَمُوئِيلَ**" (١صم٧: ١٣)،

والملك يوشِيَّا: "...وَجَعَلَ جَمِيعَ الْمَوْجُودِينَ فِي أُورُشَلِيمَ يَعْبُدُونَ الرَّبَّ إِلَهَهُمْ. **كُلَّ أَيَّامِهِ** لَمْ يَحِيدُوا مِنْ وَرَاءِ الرَّبِّ إِلَهِ آبَائِهِمْ" ٢أخ٣٤: ٣٣،

والكاروز بولس: "لأَنِّي أَعْلَمُ هذَا: أَنَّهُ **بَعْدَ ذِهَابِي** سَيَدْخُلُ بَيْنَكُمْ ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ لاَ تُشْفِقُ عَلَى الرَّعِيَّةِ" (أع٢٠: ٣٠).

وبِمُناسبة الحديث عن القادة الروحانيين والأكفاء؛ وَرَدَت هذه الرؤيا لِأبًّا باخوميوس:

[حدث مرةً بينما كان الأخوة يقطعون البَردي ويَنقلونه بالمركب ـ وكان الأب (باخوميوس) يتناول منهم الأحمال من داخل المركب، وكانوا جميعاً يهذون في الأقوال المقدسة ـ أن الأب باخوميوس أُخذ في دَهَش ورأى مَنظراً مَرهوباً جداً، ورآه الأخوة ينطرح على الأرض ساجِداً وباكِياً لِوَقتٍ طويل، فَبَكَى الأخوة أيضاً معه. فقد رأى في رؤيا: بعض الأخوة تُحدِق بِهِم النار من كل ناحية وألسِنَة اللهيب تحوطهم وهُم غير قادرين أن يَقفِزوا فَوقها. وشاهد آخرين قائمين حُفاةً فوق عِيدان خشب مملوءةً أشواكاً، وقد اِنغَرَسَت في أقدامهم ولم يمكنهم أن يخرجوا إلى موضع آخر. وآخرين رآهم واقِفين وَسط جرف شديد الانحِدار، وهُم غير قادرين على الصعود منه أو النزول إلى البحر، حيث كانت التماسيح تُراقِبهم وتَقفِز إلى فوق نحوهم.

ولما رجع إلى نفسه بعد وقتٍ طويل بَسَط يَدَيه وظلَّ يَصيح بصوتٍ عظيم، وهو يسأل الله أن يكون لهم عوناً من عنده، وأقام هكذا حتى المساء. ثم أمَرَ الأخوة أن يتناولوا الطعام لأن الوقت كان مُتأخراً. وبعد ذلك دعاهم أن يجتمعوا حوله، ولما أخبرهم بِرؤياه بَكوا جميعاً بخوف. ولما سألوه عن معنى الرؤيا قال: **على ما أظن أن ذلك سَيَحدث للأخوة بعد وَفاتي، إذ إنهم لن يجدوا من يقدر أن يمنحهم، بِاسم الرب، العزاء الضروري في أوقات التجارب**][1].

وفي المقابل؛ ففي حال قِلَّة كَفاءة الراعي تتبدَّد خِراف الرعية، "...لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنِّي **أَضْرِبُ الرَّاعِيَ فَتَتَبَدَّدُ خِرَافُ الرَّعِيَّةِ**" مت٢٦: ٣١.. الراعي الحكيم يعرف متى يَسير أمام قَطيعِه ومتى يسير خَلفَه. فالراعي الصالح في وقتٍ ما ـ في باكورة خدمته ـ سارَ خلفَ قَطيعِه: "وَلَمَّا اعْتَمَدَ **جَمِيعُ الشَّعْبِ** اعْتَمَدَ يَسُوعُ أَيْضًا" (لو٣: ٢١)، ووقتٍ آخَر ـ عند ذُروة خدمته ـ سارَ أمامهم: "فَخَرَجَ يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا يَأْتِي عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُمْ: مَنْ تَطْلُبُونَ؟... **أَنَا هُوَ**... فَإِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَنِي فَدَعُوا هؤُلاَءِ يَذْهَبُونَ" (يو١٨: ٤ـ ٩)، وإن كان بهذا أم بِذلك فهو لا يترك قَطيعَه ولا لِلَحظةٍ واحدة.

لقد ظلت الرهبنة دائماً دُعامة الكنيسة ثُلاثية الأبعاد: إيمانياً، روحياً، ورعوياً. وفي المُقابل، وللأسف؛ فإن أكثر ما يُوجِع الكنيسة هُم رهبانٌ إنحرفوا؛ كيف؟! هذا لأن المُنحرفين من العلمانيين أو حتى من الكهنة يُمَيَّزون بسهولة؛ لكن المُنحرفين من الرهبان فغالباً ما لا تَنكشِف إنحِرافاتهم إلَّا مؤخَّراً، وتكون أكثر إعثاراً، أولئك يكونون كَمِثل ذِئابٍ خاطِفةٍ مُتَخَفِّيَة داخل حَقل الكنيسة!

فالأمر الآن جِد مستوجب، ليس فقط إعادة تنظيم بل، **إعادة صياغة المَنظومة الرهبانية**. ويتسنَّى هذا بِتعاقُد جُهود جميع مسئولي المؤسسات الرهبانية، بمَعرفة ومَسئولية لجنة شئون الرهبان والأديرة بالمجمع المقدس، لِأجل تقرير ضوابط محددة تضمن توافق سلوك جميع أفرادها مع النظام العام، على جميع مستوياته: الإنجيلي والكنَسي والرهباني، وأيضاً المَدَني، حيث أن كل راهب مسئولٌ أمام المجتمع الخارجي، من ديره أولاً ثم من الكنيسة.

[1] فردوس الآباء (بُستان الرهبان الموسع)، إعداد: رهبان بِبَرية شيهيت، الجزء الثاني، ٢٠٠٦م، مُنقَّحة ومَزيدة، صفحة ٩٢.

✝ هناك أمرٌ هام على الكنيسة مُواجَهته وتَقويمه؛ وهو استخدام الرهبان لِتِكنولوجيا الاتصالات ولِبَرامج المِيديا الدُّنيَوِية. كثيرون من (العَلمانيين) يَسخَرون من الرهبان مُستخدِمي هذه الوسائل، لأنها خارجة تماماً عن مَبادئ السِّلك الرهباني، وهذا صحيح.. وأظُن أن مُعالَجة هذ الأمر تبدأ مع بِداية قبول الدير لِطالب الرهبنة الجديد، بِأن تُضيف لَجنة شئون الرهبان والأديرة إلى لائحة الرهبنة بِخصوص قبول طالب الرهبنة، وإلى التعهُّد الذي يَتلوه الراهب عند تَكريسه هذا الشَّرط الجديد المُعاصِر: [وأتعهَّد بِألَّا أقتَني خَط internet، وألَّا أستخدمَه إلَّا بِإذنٍ من رئيس الدير].

✝ الأب الراعي لِقطيعٍ من الرهبنة، **لماذا لا يكون الدير، ومَقرُّه، مجتمعاً رهبانياً، جميع مُواطِنيه رهبانٌ**، فيُحقِّق الغاية التي لأجلها قد أقيم وأُنشئ ؟! كيف صار الدير، رُغماً عنه، **مَوطِناً** للبعض من غير الرهبان: لِحديثي التوبة من الانحرافات، والخاضعين للعلاج النفسي، والعلاج من الإدمان، والعابِرين، وطالبي العمل...؟ وكيف صار الدير، رُغماً عنه، مَحَلَّاً لِمُمارسة التَّعميد والاِعتراف...؟

(أخشَى أن يأتي على الرهبنة وقتٌ فيه تُجرَى في أحَد أديِرَتها مَراسِم زواج أو خطوبة!!).

وكذلك المَقَر (كنت في مُهِمة بمدينة القاهرة وأردت الصلاة بالقداس الإلهي في مَقَرٍ لِدَير، فذهبت إلى أحد مقرَّات الأديرة التي بالكنيسة المرقسية بالأزبكية، وإذ بي أجد أن عدد الرهبان المُصَلِّين واحد فقط وهو الكاهن المُصلِّي، وبقية الحاضرين كانوا من غير الرهبان، رجالاً ونساء، والراهب يُنَبِّه الحاضرين لِمواعيد الصلوات، رُغم وجود كنائس وقداسات يَوميَّة في تلك المنطقة!).

إن مستشفى التائبين والمَجروحين ليس هو الأديرة بل كنائس المدن. وأن التهذيب والإرشاد ليس هو مُهِمَّتنا بل مُهِمَّة كهنة وخُدام كنائس المدن. وأن مَحَلات مُمارسة الأسرار الكَنَسِيَّة ليست هى الأديرة، ولا مَقَرَّاتها، بل كنائس المدن. وأمَّا الدير فهو حِصنُ المُجاهِدين.

ليس معنى هذا أننا نستنكِف من العلمانيين، فهُم كانوا آباءَنا وإخوتنا، لكن، كَقَول القديس مقاريوس: [ولَسنا نَعني بهذا أن العلمانيين أنجاس، معاذ الله، لكنهم يسلكون في الخلاص طريقاً آخَر غير طريقنا].

فالرهبان لهم منهجهم وثقافتهم الخاصة بهم وحدهم، والعلمانيون لهم منهجهم وثقافتهم الخاصة بهم وحدهم. لِذا فإن فهذا الانفتاح مُخَرِّبٌ للرهبنة، وهذا التَّداخُل مُضِرٌ بالرهبان.. كيف لا يُدرِك العديد من رؤساء الأديرة أن هذه المُدخَلات هى مُعَوِّقاتٌ حقيقية لِأولادهم من صُنع العالم ـ الذي كانوا قد هَجَروه من قبل ـ تُعَرقِل تَعَبُّدهم وتَقَدُّمهم ؟!

لَمَّا كانت المؤسسات العَلمانية الناجحة **مُحْكَمة**؛ فَبالأولَى كثيراً يجب أن تكون أقدَس مؤسَّسة إلهية في الأرض **مُحْكَمة**.. فالدير مؤسسةٌ ومجتمعٌ خاصٌ جداً، خاصَم العالم الذي "**كُلُّهُ قَدْ وُضِعَ فِي الشِّرِّيرِ**" (١يو٥: ١٩)، فإن لم يكُن كل مُواطِنيه مُتَّحِدي الطريق والطريقة فإنه بهذا يُسَهِّل للعالم أن يَقتَحِمه ويَستَوطِنه.

وها هى النتيجة؛ ففي ذلك المقر، وبعد هذا القُداس، قد صدرَت عثرة من اِمرأة غير تقيَّة! وصَدِّقني في قَولي هذا أيضاً، الله يَعلَم أنِّي لَست أكذب؛ وجدتُ أحد العاملين في دَيري جالِساً أمام حُجرته، في الدير، يُدَخِّن (شِيشة)!!.. كما لا يَخفَى أنه قديماً كان الناس يَفِدون إلى الدير طلباً للاستِشفاء، لِما للرهبان من مواهب الإشفاء وإخراج الشياطين وغيرها، ولكن بسبب ذلك كُله أمسَى الرهبان الآن هُم الذين يذهبون إلى مُستشفَيات وأطباء العالم لِيُشفَوا!.. هذا ليس استِنكاراً لأهمية الطِّب وعمل الأطِبَّاء؛ ولكنه مُناظَرة بسيطة بين وَضعَي التَّوَجُّه الرهباني قديماً وحديثاً.

أُناشِدك أيها الراعي، أنت وحدك الذي لك صلاحيات الإصلاح وتنظيم النجاح، اِبتَدِئ أنت وسوف يتبعك رعاةٌ غَيورون آخَرون.

كتب الأب الدَّرَجي:

[إن كنتَ **قد وُهِبتَ عَينَين قادرتَين على رؤية العاصِف من بعيد؛ فأخطِر رُكَّاب السفينة** حَسبما تقتضيه الحال، **وإلَّا كنت وحدك سبب الغرق** ما دام الجميع قد أوْكَلوا قيادة السفينة إليك وألقوا عنهم كل هَم][1].

[1] الأب يوحنا السُّلَّمي: "السُّلَّم إلى الله (رسالة إلى الراعي)"، صفحة ٢٨٠.

✝ الأم رئيسة الدير، إذا كانت بين إحدَى بَناتِك راهبة مُمَّن وَصَفَهُنَّ الكتاب بأنها في أعيُن الناس: "حَسَنَةَ الصُّورَةِ وَحَسَنَةَ الْمَنْظَرِ" (تك٢٩: ١٧)، بِصُورةٍ مُلفِتَةٍ للنظر؛ فاجتهِدي أن تَحجُبيها عن أعيُن الزُّوَّار والضيوف.

لأن هذه السِّمة لا تكون دائماً سبب خير لِصاحبَتِها، بل قد تكون سبب بَلايا، عليها وعلى مَن معها. فإن مثل تلك الراهبة سوف تكون، دون إرادتها، سبب تعب لكِ بل وللضعيفات من أخَواتِها، وقد تعثُر هى أيضاً فتُصاب بالغُرور.

التاريخ الرهباني يُثبِت هذا. يُمكِنكِ أن تتحقَّقي من الأمر بِمُطالَعتك لِسِيرة راهباتٍ مُماثِلات، مِنهن: أربسيما العذراء (٢٩ توت) ـ فيرونيا الراهبة (٢٩ توت) ـ الراهبة ماريا (بِإحدَى أديرة اليونان أثناء الحُكم التركي، عام ١٧٩٠م، التي في مرور الوالي بالدير رآها فَفُتِن بِعَينَيها، فطَلَبها من رئيسة الدير ليتزوجها، ولمَّا رفضت هدَّدها بِحَرق الدير، لكن ماريا تَجَلَّدَت وقامت بِقَلع عَينَيها بِسِكِّين، وأعطَتهُما لِرَسول الوالي، حتى تأثَّر الوالي جداً فتركهُن وشأنهُن).

(في زيارةِ مجمع أحد أديرة الراهبات لِرَئيس دَيرِهِن؛ شاهدتُ أُمَّهن رئيسَتهن تُحاجي عليهن في المَسير، مفتوحة العَينَين على كل واحدة، كالدجاجة التي تجمع فِراخَها تحت جَناحَيها).



✝ الأسباب الذَّاتيَّة الرئيسية لِتَزَعزُع البناء الرهباني: للراهب ـ لِلدير ـ لِطَغمة الرهبان في عصرٍ ما:

أولاً: أسباب تَزَعزُع البناء الرهباني للراهب:

١ـ فُقدان الراهب لِهدفه أو لِطَريقه الوحيدَين، بِاتجاهه نحو اهتمام آخَر دخيل.

٢ـ تَحَلُّل الراهب من تدبيره (قانونه)، أو اِتِّخاذ الراهب، بمُفرده، تدبيراً غير مناسبٍ له.

٣ـ تَغَرُّب الراهب عن أبيه الروحي.

٤ـ تردُّد الراهب على العالم، أو عدم تَحَفُّظه خارج ديره.

٥ـ خطيةٌ ما تأصَّلت في حياته (مز٦٦: ١٨).

٦ـ اِستِمراء الراهب التخلِّي، تدريجياً، عن التمسُّك بالعفة والطهارة.

٧ـ التصرُّفات الخاطئة، حتى لو كانت عن جهل، وعن غرضٍ صالح.

٨ـ نظر الراهب إلى ما ليس له (من جهة ما هو داخل الدير، أو من جهة ما هو خارجه).

ثانياً: أسباب تَزَعزُع البناء الرهباني لِلدير:

١ـ غياب المُتابَعة والمُساءَلة لَدَى الراعي، أو غياب الراعي نفسه عن الدير لفَترةٍ طويلة نسبياً.

٢ـ قِصَر فترة التَّلمَذة أو الاختبار (يَحسُن أن لا تقِل هذه الفترة في هذا الزمن عن ٥ سنوات).

٣ـ الإداريون: غير الروحانيين ـ غير الأكْفاء.

٤ـ الاِنصراف عن الهدف الوحيد للمجتمع الديري، وبصفةٍ خاصة التَوَجُّه المادي، وتَمريس أطعِمة أو استخدامات لَيسَت فقط زائدة عن اِحتياج الفرد، بل ولا تتفق وأُصُول الحياة الرهبانية.

٥ـ تَجَزُّء وَحدانية مجمع الشركة الأخَوية الرهبانية إلى مجموعات تَحَزُّبية.

٦ـ تَناثُر أماكن إقامة الأفراد على امتِداد رُقعَة كبيرة من أرض الدير، خصوصاً في الأديرة الفَسيحة.

٧ـ فراغ وقت الأفراد المُنحَلّين النَّشِطين (السَّجَس).

ثالثاً: أسباب تَزَعزُع البناء الرهباني لِطَغمة الرهبان في عصرٍ ما:

١ـ (رُوتينية) الصلاة المَجمَعِية في الأديرة.

٢ـ تَنَاقُص نصيب النُّسك بصفةٍ عامة داخل القلالي (البِطنة ـ التَّمدين ـ تَحَوُّل مَفهوم لَفظة "قَلَّايَة" لَدَى كثير من الرهبان إلى مَفهوم لَفظة "شَقَّة").

٣ـ نُدرة وجود آباء (١كو٤: ١٥)، وتَنَاقُص نسبة وجود مُثُل وقُدوات.

٤ـ اِمتزاج المجتمع العَلماني بالمجتمع الرهباني (زُوَّار ـ ضيوف مبيت ـ عُمال ـ مُوَرِّدون ـ عُمَلاء...).

٥ـ ظاهِرة إصطِياد نساء غير تَقِيَّات، ومن المَسيحيات، لِبَعضٍ من أفراد الرهبان المُتَزَعزِعين.

إن أردتَ أن تُرسل أحد الرهبان في مهمة خارج الدير، قصيرة الأمَد كانت أم طويلة؛ فلا تنتخب منهم إلا مَن تعرف عنه أنه مُستثقِل الخروج من دَيره ومُبغِض المبيت خارج قلايته.

للأب يوحنا الدَّرَجي الأقوال الرعوية النافعة التالية:

[مَن هو ذاك المُدبِّر **المُقام من الله**، الذي لا تعود دموعه وحسراته وأتعابه تُعوِزه، فيستطيع أن **يقدِّمها إليه تعالى بِلا حساب في سبيل تَنقية الآخَرين؟!**].

[المُعلِّم الحقيقي هو **مَن يحمل في ذاته كتاب المعرفة الروحي** المكتوب بإصبع الله، أي بالاستِنارة الآتية منه تعالى، ولا يعود يحتاج إلى كتاب أخَر].

[**فَلْيَرْعَ الراعي بحجارة أقواله الأغنام التي تتخلَّف عن القطيع** عن تَوانٍ أو شَراهة. فهذه علامة أيضاً للراعي الصالح].

[إبحث أيها المغبوط عن الفضيلة التي لا يُعايِن أحدٌ بدونها الرب ("الْقَدَاسَةَ" ـ عب١٢: ١٤)، وزَوِّد بها أبناءك أكثر من أيَّة فضيلة أخرى، **بِوقايتهم كلياً من كل وجه أمرد أنثوي الصورة**][1].

[1] المرجع السابق: الصفحات من ٢٧٧ إلى ٢٨٦.

✝ لماذا يشعُر بعض الرهبان بِالضِّيق داخل ديرهم فيَسعون إلى زيارة العالم، البعض بصفةٍ محدودة والبعض بصفةٍ متكررة؟

ليست كل أسباب هذا هى فُقدان الراهب لِطريقِه ولِهدفه الروحيَّين، أو شهوته للخدمة، أو للرئاسة.. لكن قد تكون الأسباب لِراهبٍ ما نفسية بَحتة. إن نفس الراهب هى نفس بشرية، والنفس البشرية لَديها نزعاتها وفقاً لطبيعتها وظروفها، مثلها مثل الجسد الذي لديه نزعاته وفقاً لطبيعته وظروفه.. غير أن نزعات النفس معنوية غير مادية. فبجانب حاجتها إلى الأمن، والشعور بالحرية؛ فهى تحتاج إلى الشعور بالإنجاز، أي أن يكون للراهب ليس مجرد عمل بَدَني بل رسالة في الحياة. لهذا أعطى الرب الإله أبانا آدم رسالة جانبية في حياته، وهى الاعتِناء بِجَنَّته: "وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ **لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا**" تك٢: ١٥.. إن الله ذاته يفرح بأعماله الصالحة التي يُنجِزها: "**وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا**" (تك١: ٣١)، "**يَفْرَحُ الرَّبُّ بِأَعْمَالِهِ**" (مز١٠٤: ٣١).

فقد كان الراهب قبل رهبنته يتثقَّف بِمعارِف متنوعة وكانت لَديه أعمال ونجاحات شخصية، لكنه بعد تَرَهُّبه، وبالرُّغم من عمله داخل الدير، لا يشعر بِكَينونته، ولا يشعر بالتقدير والاهتمام الفردي، بل يشعر بأنه أحد أفراد خلية من النحل قانونها المجتمعي هو: الواحد من أجل الكل. لِذا فإنه يشعر بالخِواء الإنساني والوجداني، فَيَتَّجه ـ لا شعورياً ـ إلى مَلئِه من مصدرٍ خارجي، حيث تَلقَى الذات عزاءً وغذاءً من اِحترام ومن إكرام آخَرين.

عندئذٍ يكون دَور الراعي هو:

أولاً: الأُبُوة الفعلية:

"أَمَّا أَنَا فَإِنِّي الرَّاعِي الصَّالِحُ، **وَأَعْرِفُ خَاصَّتِي** وَخَاصَّتِي تَعْرِفُنِي" يو١٠: ١٤

"**مَعْرِفَةً إِعْرِفْ حَالَ غَنَمِكَ** وَاجْعَلْ قَلْبَكَ إِلَى قُطْعَانِكَ" أم٢٧: ٢٣

ثانياً: مَلء هذا الخِواء، بإنشاء مِدرَس مَحَلِّي للتعليم الرهباني والكتابي والإيماني:

فَضلاً عن أن هذا المِدرَس لا يَدَع لَدَيه فَراغاً يمكن أن يُملأ بِاحتكاكاتٍ مَجمَعِية سَلبية.

ثالثاً: تدعيم يقين الراهب بمبدأ إنكار الذات والعمل لحساب مجد الله:

"...مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي **فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي**" مر٨: ٣٤

"لأَنَّنَا نَحْنُ الأَحْيَاءَ **نُسَلَّمُ دَائِماً لِلْمَوْتِ مِنْ أَجْلِ يَسُوعَ**، لِكَيْ تَظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضاً فِي **جَسَدِنَا الْمَائِتِ**" ٢كو٤: ١١

"وَهُوَ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ كَيْ يَعِيشَ الأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ **لاَ لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ**" ٢كو٥: ١٥

وبأن رسالته الحيوية قد إرتَقَت من الآمال المادية الأرضية الوقتية؛ إلى الآمال الروحية السمائية الأبدية، مُتمثِّلين بسَيدنا الذي خرجنا وراءه:

"أَجَابَ يَسُوعُ: **مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ**... وَلكِنِ الآنَ **لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا**" يو١٨: ٣٦

"وَنَحْنُ غَيْرُ نَاظِرِينَ إِلَى الأَشْيَاءِ الَّتِي تُرَى بَلْ إِلَى الَّتِي لاَ تُرَى، لأَنَّ **الَّتِي تُرَى وَقْتِيَّةٌ وَأَمَّا الَّتِي لاَ تُرَى فَأَبَدِيَّةٌ**" ٢كو٤: ١٨



✝ الراعي والراهب الضَّال أو المُنحرف..

طَرد راهبٍ من دَيره ليس من مَصلَحة الدير ولا من مَصلَحة الكنيسة. إن الراهب الذي يعيش في (الدُّنيا) يكون عاثوراً لِنَفسه ثم لِأيّ مجتمعٍ يَأوي إليه، خصوصاً وأن مثل ذلك الراهب، غالباً، يَظَل مُحتفِظاً بِشَكله الرهباني، ويَصير نموذجاً مُتنقِّلاً غير مُشَرِّفٍ للرهبنة. إن الراعي الذي يطرد راهباً فهو بهذا يَقتُله، فأين سَيَعيش وقد صار الدير، مَهما يكُن، هو بيته والمجمع أُسرَته؟! لا يَلُم الراعي إلا نفسه إذ قد تخلَّف عن تَقويمه بِالقَدر الكافي طوال السنوات السابقة.. لأنه إن كان إنسانٌ وَفَدَ إلى البرّية بِغَير الغَرَض السليم، أو لم يسلُك بِمُقتَضَياته، أو لم يَلتزِم بِإرشادات المَسِير، ولَو في الرهبنة، وفَوق هذا كله لم يَعتَنِ به راعِيه ـ فإن (الصحراء) كَفِيلة بأن تجعل مِنه إنساناً غير سَوِيٍّ نَفسيَّاً أو غير مُتَّزِنٍ عقليَّاً، وقد تكون هى البيئة الخِصبة لِنُمُو أوجاعه ومَذَمَّاته.

كان يمكنه أن يفعل ذلك متى شاء إلى ما قبل يوم تَكريسه، لكن من يوم تَكريسه إيَّاه صار أباه، ومسئولاً عنه من قِبَل الله ومن قِبَل ضميره قبل أن يكون من قِبَل الناس.. فَليَتعامل معه بكل الوسائل المُتاحة والتَّأديبات المُمكِنة، وليَكُن أمر طَرده هو آخِر ما يمكن أن يفكر فيه.

لِيَتَدَبَّر كل رئيس دير في اِسترجاع كل راهب كان من أبنائه لكنه شَريدٌ الآن في الدُّنيا، إن كان قد هَجَر دَيرَه بِهَواه وإن كان قد أُجبِر على الرحيل. لا يُفَضِّل راحته مِنه على سلامة جسم الكنيسة. لأن وجود رهبان في الدُّنيا ـ هاجِرين أديرتهم أو مَطرودين ـ صار الآن ظاهِرة، وهذا بِالأمر الضَّار، لأن كلاً منهم يمكن أن يستخدمه الشيطان، بغير قَصدٍ منه أو بِقَصد، في الإضرار بجسم الكنيسة، على نِطاقٍ ضَيِّق أو على نِطاقٍ واسع، دون أن يُوخِزَه ضَميرُه، الأمر الذي يَدعَمه ضلال عقله ووقت فراغه، يُضاف إليهما التَّعضيد المَعنَوي أو المادي من البعض..

حَدَثَ في زمان الأنبا باخوميوس أبي الشركة:

[تَشَاجَر اثنان من الأخوة بعد أن أكْملا الخدمة الأسبوعية، فضرب أحدُهُما الآخر في شِدَّة غضبه، ولم يحتمل الآخر فَصَفَعَه هو أيضاً. وقُدِّمَ تقريرٌ عمَّا حدث للأب باخوميوس، فاستَدعاهُما أمام كل

الجماعة وسألهما فاعترَفا بِخَطئهما. فَطرد الأخ الذي تهَوَّر وضرب أولاً، وأفرز الآخر لمدة أسبوع (أي مَنَعَه من التناول) قائلاً: لماذا لم تضبِط نفسك عندما تَقَبَّلتَ الصَّفعَة، بل أجَبْتَ بنفس أسلوب الشر الذي عامَلَك به؟

وكان هناك راهبٌ شيخ اسمُه "غنوسيثيوس"، وكان عارِفاً بالله كما يَعني اِسمُه، وكان في الثمانين من عُمره، فلمَّا حُكِمَ على الأول بالطَّرد هَتَفَ في وسط الإخوة قائلاً: أنا خاطئٌ أيها الأخوة وأنا خارِجٌ معه، ومَن هو بِلا خطية فَلْيَبقَ هنا. وبالإجماع تبِع مجمع الإخوة جميعُهم الشيخ قائلين: ونحن أيضاً خُطاةٌ وسَنَمضي معك!

فلما رأى المغبوط باخوميوس ذلك أسرع أمامهم وألقَى بِنَفسه على وَجهه أمام الباب وغَطَّى رأسَه بِالتراب، وسأل من كل واحدٍ منهم المغفرة. فَتَوَسَّلوا إليه أن يَنهض وذهبوا جميعاً إلى الكنيسة حيث صلُّوا والتمسوا من أبيهم فسامَح الأخَوَين اللذَين أخطأا.

أمَّا المغبوط باخوميوس، فلما اختَلَى بنفسه خرج بِهذا الانطِباع:

إذا كان القَتَلَة والسَّحَرَة والزناة والآخرون الذين ارتكبوا كل أنواع الشرور، يهربون إلى الدير لكي يخلصوا بالتوبة؛ فَمَن أكون أنا حتى أطرُد راهباً من الدير؟ وبالأكثر ما دام مُخلِّصُنا المسيح يقول في الأناجيل: كل ما تربِطونه على الأرض يكون مَربوطاً في السماء وكل ما تحلُّونه على الأرض يكون مَحلولاً في السماء (مت١٨: ١٨). وعندما سأل الطوباوي بطرس المُخلِّص: كَم مرة يخطئ إلَيَّ أخي وأنا أغفِر له؟ هل إلى سَبع مرات؟ قال له يسوع (الذي له السلطان أن يغفر الخطايا): لا أقول لك إلى سَبع مرات بل إلى سَبعين مرة سَبع مرات (مت١٨: ٢١، ٢٢). كما أن الرب علَّم رُسلَه أن يُصلُّوا قائلين: اِغفِر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمُذنبين إلينا. وأيضاً: اِغفِروا يُغفَر لكم (لو٦: ٣٧).

فلما استرجع هذه الوصايا أدانَ نفسَه وحَكَمَ عليها بِعدم الاستحقاق لِأسرار المسيح، وقرَّر ألَّا يتقرَّب منها لمدة ثلاثة أسابيع، وألَّا يذوق شيئاً على الإطلاق! ووضع لِدَيره هذه القاعدة: مَهما

كانت الخطية التي اِرتكبها أخٌ؛ فيَجِب عدم طَرده من الدير، بل يجب تَقويمه بحسب نوع خطيته، حتى ولَو بِالتأديب الجسماني إذا استدعَى الأمر ذلك. وبذلك فلا يُسلَّم لِأيدي الشياطين، وحتى لا يُلام الأب على فَقدِه نفساً][1].

وليس معنى هذا أن تُطلَق الحرية للمُنحرِف لِإحداث السَّجَس والبَلبلة في الدير، بل يُعلَن في المجمع عدم مُخالَطته وتَجَنُّبه تَجَنُّب المريض بمرضٍ مُعدٍ، والابتِهال إلى الله في أمْرِه حتى يُجرِي أحَد أمْرَين: إمَّا أن يَفتقِده بِنِعمته ويَرُدَّه عن ضَلاله؛ وإمَّا أن يَحكُم في أمْرِه، عملاً بِتَعاليم الإنجيل:

"عَالِمًا أَنَّ **مِثْلَ هذَا قَدِ انْحَرَفَ، وَهُوَ يُخْطِئُ مَحْكُومًا عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ**" تي٣: ١١

"وَأَمَّا الآنَ فَكَتَبْتُ إِلَيْكُمْ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ مَدْعُوٌّ أَخًا زَانِيًا أَوْ طَمَّاعًا أَوْ عَابِدَ وَثَنٍ أَوْ شَتَّامًا أَوْ سِكِّيرًا أَوْ خَاطِفًا، **أَنْ لاَ تُخَالِطُوا وَلاَ تُؤَاكِلُوا مِثْلَ هذَا**" ١كو٥: ١١

"ثُمَّ نُوصِيكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، **أَنْ تَتَجَنَّبُوا كُلَّ أَخٍ يَسْلُكُ بِلاَ تَرْتِيبٍ، وَلَيْسَ حَسَبَ التَّعْلِيمِ** الَّذِي أَخَذَهُ مِنَّا... وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُطِيعُ كَلاَمَنَا بِالرِّسَالَةِ، **فَسِمُوا هذَا وَلاَ تُخَالِطُوهُ** لِكَيْ يَخْجَلَ" ٢تس٣: ٦، ١٤

"مِثْلُ هذَا يَكْفِيهِ هذَا **الْقِصَاصُ الَّذِي مِنَ الأَكْثَرِينَ**" ٢كو٢: ٦..

الراعي الأبَوي لا يطرد راهباً، إلَّا إذا وَجَدَ بعد تحذيره المستمر له وطول أناتِهِ عليه؛ أنه قد رفض بإصرارٍ كلَّ تَقويم، وصار خَطَراً على الجماعة، وبَعد أخْذ مشورة وإعلان واضح من الله.

وعند هذه الحالة كتب الأب يوحنا الدَّرَجي:

[الأفضل أن نطرد أحَداً من الدير من أن نتركه يصنع مشيئته. لأننا كثيراً ما نجعل مَن نطرد أكثر اِتِّضاعاً ونأتي به إلى قطْع مشيئته. وبالعكس إذا ما تساهَلنا مع أمثاله، بِمَظهَر الرحمة والتسامُح، فَسَوفَ يَلعنوننا على نَحوٍ مُكسِفٍ مُحزِن ساعةَ وَفاتهم، كَوننا أضلَلناهم عِوَض أن نُعينهم][2].

---

[1] فردوس الآباء (بُستان الرهبان الموسع)، إعداد: رهبان بِبَرية شيهيت، الجزء الثاني، ٢٠٠٦م، مُنقَّحة ومَزيدة، صفحة ٦٢.

[2] الأب يوحنا السُّلَّمي: "السُّلَّم إلى الله (رسالة إلى الراعي)"، صفحة ٢٨٩.

✝ الراعي بين القيادة الروحية والقيادة الإدارية..

أبي رئيس الدير، ليس أي مسئولٍ إداري في دَيرك يَصلُح أن يكون مُدَبِّراً روحياً بالدير، والعكس صحيح.. فَمثلاً؛ ليس بِحُكم وظيفة الرُّبيتة أو مسئول الماليات أو الضيافة أو... أن تُسنَد إليه بِالتَّبعِيَّة مُهمة فَحص طالبي الرهبنة، أو الإرشاد الروحي للإخوة، أو ما شابَه.. فهذا مَبدأٌ:

ليس أيُّ مسئولٍ إداريّ يَصلُح أن يكونَ مُدَبِّراً روحيًّا،
وليس أيُّ مُدَبِّرٍ روحيّ يَصلُح أن يكونَ مسئولاً إداريًّا.

مُعضِلة القيادة في المجتمعات ـ المَدَنِيَّة أو الكَنَسِيَّة ـ هى مَدَى الجَمع والتَّوازُن لَدَى القائد بين الصفات الأخلاقية وبين المَهارات القيادية (فَضلاً عن هذا؛ وُجوب تَوَفُّر الرغبة لَدَيه في مُهِمَّته).

فالقداسة أمْرٌ **والقِيادة** أمْرٌ آخَر. [على الضابط الصالح أن يعرف بِدِقة حال جنوده ودرجة تقدُّمهم في فَن الحَرب: فقد يوجد ضِمن الصَّف **مَن يُحسِنون القتال في الجَبهَة**، أو **يَصلُحون للمُبارَزة**، أو **مَن يجب أن يُوقِفهم بِجانبه** مُقدِّماً إيَّاهم على رِفاقِهم في السلاح، أو **يُقيمهم في هدوء الوَحدة**][1].

وسواء المُدبِّرون الروحيون أو المسئولون الإداريون؛ يَتَوَجَّب على راعي الدير أن يُعَيِّنهم، لا على أساس مَقدِرَتهم العَملية أو الكَلاميَّة، وإنَّما على أساس تَقواهُم وصَلاحهم وروحانيَّتهم. فلا يتولَّى رُهبانٌ (أشقياء) ـ بِداعي نشاطهم ـ دَفة قِيادة وتَوجيه سفينة الدير، ولا يَرأسون إخوتَهم.

من رؤيا لِأبَّا باخوميوس؛ عن تَرَؤُّس الأخوة غير الصالحين في الشركة، في آخر الزمان:

[...وانتصب مُصَلِّياً لكي يكشِف الله له عمَّا سَيَكون عليه حال الأخوة بعده. وأطال الصلاة من الساعة العاشرة حتى صلاة نصف الليل. وحينئذٍ ظهرت له فجأةً رؤيا من السماء وعرَّفَته أن الأخوة سَيَعيشون في نفس الطريق بِالتقوى في المسيح، وأن الأديرة سَتَزداد. ولكنه رأى أيضاً عدداً لا يُحصَى من الأخوة سائرين في وادٍ قفرٍ سَحيق، وكثيرون منهم كانوا يريدون أن يصعدوا

[1] المرجع السابق: صفحة ٢٨٠.

من هذا الوادي بِلا طائل. وكثيرون كانوا يَصطدِمون بعضهم ببعض بسبب الظلام الدَّامِس الذي كان يَكتنِفهم، ولكنهم لم يُمَيِّزوا بعضهم بعضاً. وكثيرون سقطوا من الإعياء، وآخرون كانوا يُطلِقون صَرخاتٍ تدعُو لِلرِثاء. وقليلون منهم اِستطاعوا بِالكاد بعد طول عناء أن يَجِدوا طريقَهم خارج ذلك الوادي، وما إن صعِدُوا حتى واجَهوا النور فقدَّموا لله تمجيداً من أعماق قلوبهم.

وهكذا عرف الطوباوي ما سَيَؤول إليه حال الأخوة في آخر الزمان، وأي تَهَاون سَيَكون في تلك الأيام، والإثم، وفشل الرعاة الذي سيؤدي بهم إلى الشِّدة العظيمة. **فالذين هُم أكثر تهَاوُناً هُم الذين سَيَتسلَّطون على الصالحين ويغلبونهم بِكَثرة عددهم.** هذه الأمور ـ التي نُعاني من بِداياتِها نحن الذين نُسجِّل هذا الكلام ـ هى إحدَى الأمثلة، لأن **الأشرار سَيَحكُمون الأخوة والذين بِلا معرفة سَيَتَحَكَّمون في الأديرة ويُكافِحون من أجل الألقاب. وسَوف يَضطهِد الأشرارُ الأخيارَ، ولن يجد الصالحون طمأنينة في سُكنَى الأديرة، بل إن ما هو إلهي سَيَتحول إلى بشري!**

ولمَّا عرف الطوباوي ذلك صرخ إلى الله بدموع قائلاً: أيها الرب الضابط الكل، إن كان ذلك عَتيداً أن يكون؛ فلماذا سَمَحْتَ بِوُجود هذه الأديرة الجماعية؟ وإن كان الذين سَيَرأسون الأخوة في تلك الأيام أشراراً؛ فماذا يكون حال الذين يَرعَونَهم؟ لأن أعمَى يقود أعمَى يَسقُطان كِلاهما في حُفرة (مت١٥: ١٤). هل ضاع تعبي باطلاً؟ اذكر يارب أتعابي وأتعاب كل الأخوة الذين يمارسون النُّسك اليوم بكل قلوبهم. اذكر عهدك لي بأن زرعك الروحاني سَيَبقَى إلى انقِضاء الدهر... (ومن رَد السيد المسيح عليه:)... وسوف يُحفَظ زرعك على الأرض إلى انقِضاء الدهر. والقليلون الذين سَيَنجون من الظلمة المُدلهِمَّة في تلك الأيام؛ سوف يُوجَدون أعلى من الذين يُمارِسون حينئذٍ نُسكاً عظيماً، ذلك لأنهم اتَّخذوك أنت لهُم مِصباحاً أمام عيونهم، وهم يُمارِسون النُّسك مُعتمِدين على نورك... وبعد أن قال ذلك اِرتفع إلى السماء][1].

[1] فردوس الآباء (بُستان الرهبان الموسع)، إعداد: رهبان بِبَرية شيهيت، الجزء الثاني، ٢٠٠٦م، مُنقَّحة ومَزيدة، صفحة ٩٣. ووردَت هذه الرؤيا أيضاً في كتاب: "القديس أنبا باخوميوس أب الشركة"، المطبوع باللغة العربية، نَقَّحَه عن المخطوطات: القمص عبد المسيح المَسعودي، طبعة سنة ١٨٩١م، صفحة ٤٦.

✝ لماذا مزرعة خارج الدير؟!

تَرَدَّد في الآونةِ الأخيرة في أكثر من دير ما يُسَمَّى بـ "مزرعة الدير"، وقد تكون على بُعد عَشَرات الكيلومترات منه، وللأسَف فقد اِتَّجهت بعض أديرةٍ أخرى إلى تقليد ذلك.. ولقد بحثتُ عن سببٍ حقيقي، روحي أو منطِقي، لتلك المُنشَأة فلم أجد:

- هل اِستغلَقَ القَفر وضاقَ الدير على رُهبانه حتى يَسعَى إلى التوسُّع!
- هل يقوم الدير بِتَصدير رهبان لِافتتاح مراكز إشعاع رهباني في بِقاعٍ أخرى!
- هل أُكمل الدير تعمير ذاته بِالكامل؛ حتى يبدأ في الاتجاه إلى تعمير مكانٍ آخَر تابِعٍ له!
- هل يشعر رهبان ذلك الدير (بِالعَوَز)، فاضطَروا إلى شراء أرضٍ بِثَمنٍ هذا مقدارُه لِيَقتاتوا منها!
- هل تَحَوَّل الدير من مَقَرٍّ للعِبادة والجهاد الروحي إلى أحَد أنماط المُجتمعات العلمانية الخاصة!
- هل أُضيفَ إلى نُذورنا الرهبانية الثلاثة مُؤخَّراً نَذراً رابعاً هو (استِصلاح الأراضي)!
- ألا يُسبب ذلك الأمر أعباء مادية ومعنوية بسبب البُعد وتكاليف النقل؟
- ألا يُسبب ذلك الأمر اِرتِباكاً أو تَشَتُّتاً بين الدير وبين مَزرعته؟
- ألا يُسبب ذلك الأمر اِنقِساماً في عائلة الدير الواحد؟

لعل ذلك (التملُّك) يُخفي وراءَه طموحاتٍ باطِنية في تَعَظُّم المَعيشة والاستِحواذ والثَّراء، تظهر في سلوكٍ يتَّجه إلى الحصول على أُصولٍ زمنية أوفَر، وبلوغ قُوَى مادية أكبر، يمكن الاِعتِزاز بها والاتِّكال عليها.

✝ "الكهنوت" في "الرهبنة"..

لماذا صارت السِّيامة الكهنوتية مَشاعاً في الرهبنة؟!

إن شيوع الكهنوت في الرهبنة لَهُو ثَغرة جَسيمة تُضاد وَحدانية هدف الراهب، بِكَونها مَطمَحاً في كرامة، أو وظيفة ـ وإن كانت مقدسة ـ ثم في رئاسة كنَسِيَّة.. فَوَإن اِشتركا الرهبنة والكهنوت في لَون الثَّوب؛ إلَّا أن لكلٍ منهما منهجُه الخاص. فالكهنوت يُعنَى بِالرعاية وتعليم شرائع الله: "لأَنَّ شَفَتَيِ الْكَاهِنِ تَحْفَظَانِ مَعْرِفَةً **وَمِنْ فَمِهِ يَطْلُبُونَ الشَّرِيعَةَ، لأَنَّهُ رَسُولُ رَبِّ الْجُنُودِ**" (ملا٢: ٧؛ تث٣٣: ١٠)، وأمَّا الرهبنة فتُعنَى بِالبتولية وزُهد الدنيا والغُربة. كما أن رهبنتنا الأرثوذكسية لَيسَت رهبنة خادمة كالرهبنة الكاثوليكية، بل رهبنة عابِدة عاكِفة.

الكهنوت ـ والخدمة عُموماً ـ ليس درجة رهبانية، وليس من تدبير الرهبنة، الأمر كله هو أنه قد نَدَرَ وجود قامات روحية عالية بين العِلمانيين، فاتجه الاختيار نحو أحَد الرهبان المُميَّزين. فإن كان بعضُ الرهبان يُعطَونَه لكنه ليس لجميعهم. وهل لا يكون الراهب راهباً إلَّا إذا كان كاهناً؟! وماذا عن الراهبات؛ ألا يكُنَّ راهبات بدون الكهنوت؟! (أخشَى أن يأتي وقتٌ على الكنيسة فيه الراهبات أيضاً تُطالِبن بِقِسمة الكهنوت!!).

سِر الكهنوت أعظم من أن يُحصَر في حِفظ نُصوص ومُمارَسة طقوس، إنه "**خِدْمَةُ الرُّوحِ... خِدْمَةُ الْبِرِّ**" (٢كو٣: ٨، ٩). الكهنوت شفاعة، وأبوة، ورعاية، وطِب، وتدبير، وخدمة، وبَذل، وغَسل أرجل.. فالذين يُسامون كهنةً ينبغي أن يكونوا من آباء الرهبان الأصِحَّاء الأطِباء المختبِرين، لكي يمكنهم أن يُخلِّصوا آخَرين أيضاً، وكهنوت المسيح واحدٌ لا يتغير بتغير المجتمع أو الموضع، فكهنوت المسيح الذي في كنيسته التي في العالم هو هو كهنوته الذي في كنيسته التي في الدير.

كما يجب على الراهب الذي يُسام قِساً أن يكون على القَدْر الواجب من الأهلية حتى لا يُحدِث مثل هذه العثرات: عدم إدراك معاني الصلوات التي يقرأها من كتاب الخولاجي، وبالتالي عدم نُطقها نُطقاً صحيحاً ـ تَحَوُّل خدمة القداس الإلهي عنده إلى واجبٍ عليه لا اشتياقٍ لَدَيه، وقد تمُر عليه السنة دون أن يَخدِم قُداساً واحداً ـ تَناثُر جواهر الجسد الإلهي الكريم من يَدَيه،

أو إصطِباغ تُونيَته أو ملابس الذين يُناوِلهم بِقَطَرات الدم الثمين!.. قد يكون ذلك ناسِكاً وبَسيطاً، ولكن هل لأنه ناسِك وبَسيط يجب أن يكون، بالضرورة، كاهناً؟! إنه كَقَول ذهبي الفم: [**ليس النُّسك في حَد ذاته أو التقدم في السِّن وحدهما كافيَين لِنَوال الكهنوت**][1].

كتب هذا القديس يوحنا ذهبي الفم، ضِمن رسالةٍ مُطَوَّلة شَهيرة عن الكهنوت المسيحي، إلى صديقٍ له يُدعَى باسيليوس، وفيها يتحدث عن سِيامة البعض كهنةً وهم غير مؤهَّلين.. كما يُبرِّر له هروبه ممَّن كانوا يَرغبون في سِيامته لا كاهناً بل أُسقُفاً، قَسْراً، وقد كان حينذاك في سِن الثامنة والعشرين.. وكل كتاباته المُقتبَسة عنه بهذا الكتاب مأخوذة نَصَّاً عن تلك الرسالة.

الكهنوت لا يُضير الرهبنة، ولكن الرهبان غير المُكَمَّلين هُم الذي يُجَرِّحون الكهنوت.

"مِنَ الْبَدْءِ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا"، لكنه اختراقٌ بشري قد فرض نفسه على المنهج الرهباني الحق. فمنذ العهد القديم لم يَكُن في سِبط الكهنوت كله، سِبط اللاويين؛ غير هارون وبَنيه.. كما أن أبَّا أنطونيوس نفسه، أبي الرهبان؛ لم يكُن كاهناً.. وقد كان لكل الجماعة الرهبانية كاهنُها الشيخ، فقد قرأنا عن "قس القلالي" و "قس الإسقيط" و "قمص شيهيت".. أو كان أبُ الجماعة يَستدعي كاهن إحدى كنائس المدن المجاورة لإقامة سِر الإفخارستيا الأقدس.

وحتى لِسيامة راهبٍ كاهناً فإنه يتحتَّم وجود اِحتياجٍ لَدَى الدير لهذه السيامة، لِسَد نَقصٍ ما في الخدمة الكهنوتية به، ولا تكون مجرَّد نظامٍ جارٍ وتقليدٍ مُتَّبَع.. ومَهما كان احتياج الدير إلى عددٍ من الكهنة؛ فإنه لا يحتاج بِأي حالٍ إلى أكثر من ١٠% من العدد الكُلّي لِرُهبانه.. لَمَّا يكون عُموم الرهبان كهنةً فكُلُّهم إذاً آباء، فلمَّا يكون عُموم الرهبان آباء فماذا يكون أبوهم أو رئيسهم بالنسبة لهم؟! وهل توجد أُسرة، مثلاً، كلُّ أفرادها آباء ولا يوجد بها أبناء أو إخوة؟!

---

[1] القديس يوحنا ذهبي الفم: "الكهنوت المسيحي"، ترجمة: كنيسة السيدة العذراء بالفجالة، أغسطس ١٩٧٤م، رقم الإيداع: ٤٦٣٥/ ١٩٧٤، المطبعة: دار الجيل للطباعة (الفجالة)، صفحة ٧٥، عن:

St. CHRYCOSTOM: Treatise Concerning the Christian Priesthood, Nicene and p. Nicene Fathers. 1st ser. Vol. 9.

الكهنوت لا يَسعَى إليه مُريدٌ ولا يَستَعفي منه مَدعُوٌ

إنه لمَّا كان التعليم الكتابي والتسليم الرسولي قد اِشتَرَطا أن: "لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ هَذِهِ الْوَظِيفَةَ بِنَفْسِهِ، **بَلِ الْمَدْعُوُّ مِنَ اللهِ**، كَمَا هَارُونُ أَيْضاً" (عب٥: ٤)؛ فهل كل المُسامين كهنةً بطريقة (الدَّور) مَدعُوين؟ ألا يكون مَنح قِسمة الكهنوت بطريقة الدَّور سبباً في حدوث قِسمات كهنوتية لَيسَت من الله؟!.. عجيبٌ أنه إن جاء (دَور) راهب بِخُصوص الكهنوت ولكنه شَعَر بِرَهبَته فَأراد أن يَستَعفي منه؛ يتطوَّع أحد المُشيرين (الحُكَماء) ويَنصَحه بِالقَول: (خُدُه وماتصَلّيش بِيه عَشان ماتِتحارِبش بِيه بَعدين)!! فهل هذه حِكمة، بل هل هذه تَقوَى؟! كما أنه عقِب تكريس راهبٍ؛ يُجامِلُه الحاضرون بِقَولهم: (عُقبال الكهنوت)، وكأن الكهنوت قد اِعتُبِرَ (حقاً مُكتسَباً) للرهبان!

الكهنوت إنتِخابٌ إلهيٌ فَردِيٌ لا مِرس مَجمَعي، إنتِخابٌ مُرتبِطٌ بِالأُبُوة الروحية والرعاية، فالذين يُسامون كهنةً ينبغي أن يكونوا من شيوخ الرهبان، الذين بَلَغُوا إلى عدم الأوجاع: "**أَيْضًا يُثْمِرُونَ فِي الشَّيْبَةِ. يَكُونُونَ دِسَامًا وَخُضْرًا**" مز٩٢: ١٤، أو على الأقَل قادِرين على قِيادة ليس أنفُسهم فقط بل وقادِرين أيضاً على قِيادة آخَرين إلى ميناء السلامة.

أيَأتمِن الدير على الخدمات الحَيَوية، كالمخزن مثلاً، ليس أي راهب، بينما يَترك بين يَدَي كل راهب، بالدور، الجسد الإلهي والدم الثمين الكريم؟! أَوَالمتقدمون للوظائف العالية أو الهامَّة في المؤسسات المَدَنية يُنتَقون بِاعتناءٍ كثير، والمُرَشَّحون منهم يُختبَرون قبل تَعيينهم، والمُعَيَّنون منهم يُجرَى لهُم ما يَلزَمُهم من الإعداد والتدريب **قبل تَسليمهم مُهِمَّتهم**، بينما دُرَّة الكهنوت الأعظَم تُدفَع للجميع، وبِلا اختبارٍ، وبلا تدريب **قبل السيامة**؟!.. ما أغرَب أن أكثر مَن أساءُوا إلى كهنوت السيد المسيح واستهانوا بجسد ودم الإله هُم من بين المُقرَّبين إليه من بين خاصَّته وهُم الرهبان!

أَليس هذا هو كهنوت السيد المسيح الذي قديماً كان يتم تَسليمُه سِرِّيَّاً بِالتَّلقين الشِّفاهي؟! الراعي الذي يُكَرِّس غيرَ مَدعُوٍ راهباً فيُسيء ذاك إلى الرهبنة؛ فإنه يَغرِز شَوكَةً في جَسَد المسيح! أمَّا الذي يَسيم راهباً غيرَ مَدعُوٍ كاهناً فيُسيء ذاك إلى الكهنوت؛ فإنه يَغرِز سِكِّيناً فيه!

الربُّ غَيُورٌ على كهنوته، وقد **أهلَكَ** الذين أساءُوا إلى كهنوته، بالرُّغم من أن بعض إساءَاتهم كانت عن غير تَعَمُّدٍ، وبعضهم كانوا خُدَّامه: ناداب وأبيهو ابنَي هارون (لا١٠: ١، ٢)، وقورح وداثان وأبيرام وأُون والمِئَتَين والخَمسين الذين تَحَزَّبوا لهُم (عد١٦: ١ـ ٣٦)، وعالي الكاهن وابنَيه حُفني وفينحاس (١صم٢: ٢٧ـ إلخ)، وشاول (١صم١٣: ٨ـ ١٥)، وعُزَّة (٢صم٦: ٦، ٧)..

لِنَخَف؛ لأنه هكذا قال السيد الرب عن الكهنة المُخطِئين:

"عَلَى **حَسْبَمَا كَثُرُوا** (الكهنة) **هَكَذَا أَخْطَأُوا إِلَيَّ** فَأُبْدِلُ كَرَامَتَهُمْ بِهَوَانٍ. يَأْكُلُونَ خَطِيَّةَ شَعْبِي وَإِلَى إِثْمِهِمْ يَحْمِلُونَ نُفُوسَهُمْ. فَيَكُونُ **كَمَا الشَّعْبُ هَكَذَا الْكَاهِنُ. وَأُعَاقِبُهُمْ عَلَى طُرُقِهِمْ وَأَرُدُّ أَعْمَالَهُمْ عَلَيْهِمْ**" هو٤: ٧ـ ١٠

فمهما يكُن من أمر؛ لا يُسِم رئيسُ الدير راهباً غير كُفءٍ كاهناً. فأن لا يُسام أحَدٌ أفضل من أن يُسام مَن هو غير كُفء. لأن الكهنوت هو ثِياب المسيح الفاخِرة، ولا يليق أن يُلبِسها رئيس الدير لِمَن ثِيابه قَذِرة، أو لِمَن هو صغيرٌ أو فقيرٌ في الروح، مثلما لم يَقبل ملاك الرب أن يقِف قُدَّامَه يَهوشَع الكاهن بِثِيابٍ قَذِرة، وأمَر بِأن تُنزَع عنه أولاً قبل أن يُلبَس ثِياب الكهنوت الطاهرة، قائلاً: "انْزِعُوا عَنْهُ الثِّيَابَ الْقَذِرَةَ" (زك٣: ٤). وإلَّا فَلَسوف يُحاسَب (أي رئيس الدير) من صاحب ثِيابه، لأنه اختار أن يَدوسَ أقداس الرب لكي يُكرِم أحَد أبنائه الرهبان عليه، كَتَوبيخ الرب لِعالي الكاهن: "فَلِمَاذَا **تَدُوسُونَ ذَبِيحَتِي وَتَقْدِمَتِي** الَّتِي أَمَرْتُ بِهَا فِي الْمَسْكَنِ، **وَتُكْرِمُ بَنِيكَ عَلَيَّ**...؟" ١صم٢: ٢٩

إنه كهنوت السيد المسيح الإله المتجسِّد، الكفَّاري، أم أنهم يظُنون أن الممارسات الكهنوتية هى عُروضٌ تمثيلية؟!.. إنه ينبغي ألَّا يحمل **كهنوت الرب يسوع المسيح** إلَّا الذي يَحمِل "**سِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ**" (غل٦: ١٧) و "**أَحْشَاءِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ**" (في١: ٨)..

إن (تَمريس) الكهنوت في الرهبنة يُنشِئ مجالاً لِلإساءة إلى كهنوت رئيس الكهنة الأعظم، محصورٌ فيه ذَوُو الرئاسات الكنَسِية ومَفروضٌ عليهم من المجامع الرهبانية!

الكهنوت ليس لِصِغار الرهبان، وليس لجميع الرهبان

أناشد الأب البطريرك، ورؤساء الأديرة، ولجنة شئون الأديرة بالمجمع المقدس؛ تشديد ضَوابِط مَنح درجة الكهنوت في الرهبنة، مُقترحاً تقرير التقنينات الآتية تحديداً:

١ـ ألَّا تزيد نسبة الرهبان الكهنة في كل دَيرٍ عن **١٠% من العدد الكُلّي لِرُهبانه.**

٢ـ أن يوجد اِحتياجٌ في الدير إلى سِيامة راهبٍ كاهناً، **لِسَد نَقصٍ ما في الخدمة الكهنوتية به.**

٣ـ أن **لا يكون مَنح سِر الكهنوت على أساس الأسبَقية في الرهبنة** (حتى لَو كان كل الأفراد أتقِياء، فكهنوت المسيح إنتِخابٌ إلهِيٌ فَردي لا مِرس مَجمَعي).

٤ـ **ألَّا تقِل المُدة التي أمضاها الراهب في مجمعه عن ١٥ سنة** (وبهذا يكون قد بَلَغَ سِن الـ ٤٥ سنة على الأقَل، حتى يكتسِب خِبرات الحياة الرهبانية، مثلما يُشتَرَط على راهبٍ راغِبٍ في التوحد أن يَقضي زمناً طويلاً في مجمعه قبل تَوَحُّده؛ فهكذا أيضاً بِخُصوص خدمة الكهنوت).

٥ـ **سَبَق له أن دَرَسَ علوم البِيعَة،** أي: إكليريكي. (فالكاهن مُعَلِّم لِكَلمة الله: تث٣٣: ١٠؛ ملا٢: ٧).

٦ـ أن يكون الراهب **من مُحبّي المذبح** (كثير الخدمة كشماس، أو كثير حضور القداسات).

٧ـ أن يكون **مَشهوداً له بموهبة التدبير الروحي والرهباني** (لأنه سَيَكون مُرشِداً في الدير).

وتطبيقها بِدايةً من قبول الدير لِطالب الرهبنة الجديد.. ولِتَلافي الغَيرة والحَسَد اللذَين لَدَى البعض عند سِيامة أحد إخوتهم كاهناً؛ يمكن لِرَئيس الدير أن يستعمل أحَد هذَين التدبيرَين:

١ـ إمَّا أن يكون الراهب المَدعُو لخدمة الكهنوت مُتميزاً من الناحية الروحية، بِالدرجة التي عندها لا يَجرُؤ أحَدُهم أن يقول: (إشمِعنا..).

٢ـ وإمَّا أن يُرَشِّح رئيس الدير ثلاثة رهبان من المُتميزين روحياً أيضاً، لِأجل سِيامة واحدٍ منهم، مَن يَحصُل على أكثر الأصوات من مجمع إخوته بطريقة الانتخاب الكتابي.

✝ الراهب الكاهن في أحَد حُقول الخدمة وأخْذُه الاعتِرافات..

يتضمَّن طقس سِيامة الراهب كاهناً مَبدَأ عدم أخْذِه اِعتِرافات نِساء. فلماذا لا يأخذ الراهب اِعتِرافات النِّساء فقط ولكن يُتاح له أخْذ اعتِرافات رِجال، هل لكي تَحميه الكنيسة من التَعَثُّر؟.. إن اعتِرافات الرِّجال حَتماً يتخلَّلها العُنصُر النسائي، وبِالتالي هذا حَتماً يتخلَّله العلاقات الخاصة، التي لم يَختبِرها الراهب، وعليه؛ فَسَوف يُقدِّم للمُعترِف أو للمُستَرشِد مَشورةً لَيسَت بِسَليمة، وسَوف يتعَثَّر هو.

الكهنوت مهمة تتطلَّب سِمات الملائكة، ونفس الراهب الكاهن يجب أن تبقَى نقية كشُعاع الشمس حتى لا يَهجره الروح القدس. لِذا يُناشِد الكاتب لجنة شئون الرهبان والأديِرة، بِالتَّنسيق مع اللجنة المُختَصة بِشئون الكهنة بِالمجمع المقدس؛ إعفاء الراهب الكاهن من أخذ اِعتِرافات غير الرهبان، نِساءً ورِجالاً أيضاً، وحَصر خدمة التَّعريف، والتَّعميد، في اختِصاص كهنة كنائس المُدن، الذين يَختبِرون ظروف أبنائهم عَينها، بل تَقتَصِر خدمته الكنَسِيَّة اللِّيتورجية ـ إلى جانب الوَعظ والتعليم، وأخْذ اِعتِرافات الرهبان الرِّجال ـ على الصلوات التالية فقط:

١ـ القُداس ومُلحَقاتُه (تسبحة ورفع بخور عَشية وباكِر). ٢ـ البصخة. ٣ـ الصلاة على المُنتقِلين.



†

إلى رُعَاة قُطعان كنائس المدن

"اِحْتَرِزُوا اذاً لأَنْفُسِكُمْ وَلِجَمِيعِ الرَّعِيَّةِ الَّتِي أَقَامَكُمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ فِيهَا أَسَاقِفَةً،

لِتَرْعُوا كَنِيسَةَ اللهِ الَّتِي اقْتَنَاهَا بِدَمِهِ" أع٢٠: ٢٨

"ارْعَوْا رَعِيَّةَ اللهِ الَّتِي بَيْنَكُمْ نُظَّاراً، لاَ عَنِ اضْطِرَارٍ بَلْ بِالاِخْتِيَارِ،

وَلاَ لِرِبْحٍ قَبِيحٍ بَلْ بِنَشَاطٍ، وَلاَ كَمَنْ يَسُودُ عَلَى الأَنْصِبَةِ بَلْ صَائِرِينَ أَمْثِلَةً لِلرَّعِيَّةِ،

وَمَتَى ظَهَرَ رَئِيسُ الرُّعَاةِ تَنَالُونَ إِكْلِيلَ الْمَجْدِ الَّذِي لاَ يَبْلَى" ١بط٥: ٢ـ ٥

مَبادئ أوَّلية في الكهنوت الأقدس، وفي الرعاية

١ـ لا يوجد غير كاهنٍ واحدٍ مُكَفِّر عن الخطايا بِنَفسه وهو ربُّنا يسوع المسيح. وكَون إنسانٌ مِنَّا يصير كاهناً فَلِأن كاهِنَنا الأعظَم سُرَّ أن يُمارِس من خِلالِه عَمَلَه الكهنوتي الشخصي التَّشَفُّعي لَدَى الآب (مثلما لا يوجد غير خالقٍ واحد، والخالق الواحد يُشرِك معه الإنسان في عمله، بِالإنجاب). فالمسيح الكاهن البار كَفَّر بِدَمه وشَفِع، فَهَل لإنسانٍ أن يُكَفِّر عن خطية؟ وهل لخاطئٍ أن يَشفَع عن خاطئٍ مثله أو حتى عن نفسه؟ وهل بَذَل دَمَه لِأجل أحَد؟! لكن "لَنَا **رَئِيسُ كَهَنَةٍ عَظِيمٌ... يَسُوعُ ابْنُ اللهِ... يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ**" (عب٤: ١٤؛ ١يو٢: ٢)، "**بِدَمِ نَفْسِهِ**، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الأَقْدَاسِ... **لِيَظْهَرَ الآنَ أَمَامَ وَجْهِ اللهِ لأَجْلِنَا... يَشْفَعُ فِينَا**" (عب٩: ١٢، ٢٤؛ رو٨: ٣٤).

٢ـ لقد مَثَّل السيد المسيح وُكلاء كنيسته بِرُعاة الخِراف لعدة أوجهٍ، أمَّا أولاً فلأنهم لَيسوا مُلَّاكاً ولا لفردٍ واحدٍ منها. لأن (مالِكاً) لقطيع خرافٍ لا يتنقَّل هو بهم، بل يُوَكِّل عليهم (رُعاةً) لِقيادتهم وإطعامِهم ورَيِّهم.. ثم فلِأن ذلك السيد يثق فيهم ويأتمنهم، فهُم لَيسوا أُجَراء أغراب بل هُم من خدامه سكان قصره وأحِبَّائه المُخْلِصين له.. وأيضاً لأنهم يُعطونه حساباً عن كل فردٍ منه.

٣ـ [**الكاهن شهيدٌ كل يوم كل اليوم**... وعبارة "قَائِمٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ" أراها أصدَق تعريف للكاهن... فهو إنسان قبل سيامته كاهناً، أمَّا بعد السيامة فهو لا يعيش عِيشة الأحياء ولا يستريح راحة الأموات! لأن ها هو الدم يتقاطَر من جهاده والتعب يُرَى فيه كل لحظة!][1].

هكذا اختاره الله، وهكذا هو أراد.

٤ـ مَن هو الراعي؟ الراعي تلميذٌ نجيب للسيد المسيح، اِقتَبَل ائتِمان الرب إيَّاه على كنيسته التي بذل نفسه لأجلها، بِقَوله له: "**هُوَذَا أُمُّكَ**" (يو١٩: ٢٧)، وهو بِدَوره واضِعٌ أمامه هدفاً واحداً: **مجد الله في بناء ملكوته، الكنيسة.**

---

[1] المتنيح الأنبا بيمن والقمص يوسف أسعد: "الكاهن القبطي"، الناشر: مكتبة كنيسة السيدة العذراء بالعمرانية، المطبعة: دار العالم العربي، الظاهر ـ القاهرة، الطبعة: الأولى، يوليو ١٩٨٦م، رقم الإيداع: ٤٦٣٧/ ٨٦، صفحة ٥.

وحسنٌ في تَعَهُّد الكاهن يوم سيامته، والذي أُضيف إلى طقس سيامة القس في عهد قداسة البابا شنودة الثالث؛ أن يقول أمام المذبح ويتعهَّد أمام الكنيسة: «ولا تكون لي منهم (الناس) جماعة مُختارة، بل أهتم بالكل. **وأتعهَّد أن أضع صالح الكنيسة فوق كل اعتبار**»[1].

الرعاية الصادقة هى التي تهدف إلى تحويل كل مُعطَيات الفداء والخلاص إلى كل إنسان، في كل مكان. فَليَلمس الكل في الراعي أنه صادِقٌ في أن يكون نائباً عن الله في الرعاية الروحية.

٥ـ إن كان لقب "راعٍ" يُطلَق بالدرجة الأولى على الأب الأسقف؛ لكن لا مانع من أن يُطلَق أيضاً، مَجازاً، على الأب الكاهن، حيث أنه أبٌ ويَرعَى قَطيعاً، وإن كان قَطيعاً أصغر عدداً.

٦ـ السيامة الكهنوتية ليست مكافأة نهاية (الخدمة) لخادمٍ أمين أو لراهبٍ مُجاهِد؛ بل هى دعوة إلهِيَّة وكَنَسِيَّة إلى بداية مُرافَقة المسيح على طريق الجلجثة.. الراعي هو (سمعان قَيرواني) آخَر حاملٌ للصليب خَلف يسوع المتألم لأجل خلاص شعبه.

٧ـ لِمَن كان يَكرِز السيد المسيح، هل فقط للمُثقَّفين والمحترمين ورجال الأعمال؟.. وأين كان يَكرِز، هل فقط في الهيكل وفي المواضع الأنيقة؟.. وبِمَ كان يتنقَّل، هل بمَركَبة full options (كي تتحمل عناء الخدمة)؟.. وأين كان يسكن، هل في قَصرٍ، أو بمنطقةٍ مَرموقة في أورشليم؟.. وماذا كان يأكل، هل أطعمةً قويةً غنيةً بالعناصر الغذائية (حتى يَقوَى على مُواصلة المَسير)؟.. وكيف كان يتعامل مع النَّجِسين والمَنبوذين، هل بالقِسط والميزان؟.. ومَن هُم الذين كانوا يُصاحِبونه، هل هُم فقط النُّظَفاء والمُعَطَّرون؟...

الأب الراعي، بهذا لَستُ أدعوك إلى أن تجعل سيارتك من نوع (Fiat) مو ١٩٧٥، أو أن تسكُن في حارة، أو أن تتغذَّى على البُقسُماط والخُضرة ـ وإنما أضع أمامنا النموذج المثالي لِراعينا الصالح، المسيح، الذي نَقيس أنفسنا عليه، وأيضاً لكي نستعمل البساطة قَدرَ إمكاننا.

كتب القمص يوسف أسعد:

---

[1] مجلة الكرازة: السنة السادسة، العدد ٣٥، الجمعة ٢٩/ ٨/ ١٩٧٥م، ٢٣ مسرى ١٩٦١ش، صفحة ١١.

[ولقد أنذَر الملاك القديس هرماس عن الرعاة المُنحرفين بِقَوله: «أُنظُر يا هرماس: **حيث يكون التنعُّم يكون الخِداع ـ أي التَّزييف ـ أمام الله**».. إن بَهاء الإكليروس في الشعائر الأرثوذكسية لا يعتمد على عَظَمة عالَمية من ملابس ومصنوعات، **إنَّما هو حقيقةٌ من الصلاة**][1].

٨ـ ينبغي للراعي أن يشتاق إلى الهدوء والحياة المُستترة، ويَعيشَها قَدر ما تسمح له الظروف، فمِن وقتٍ لآخَر ينسحِب من بين الجَمع نحو مِخدَعه الخاص، يلتقي فيه على انفِراد بِسيِّده ومَسيحه (مر٦: ٣١؛ مت١٧: ١؛ يو١٨: ٢)، في مُناجاة حُبٍ خالص، فَيمجِّده على عظيم أعماله مع كل نفس لأجل تَنقيتها وخلاصها وإسعادها، ولكي يُعيد هو (شَحن) قلبه وروحه حُباً وصلاحاً وطُهراً منه، وبهذا يَحمِل حُضورَه بين مَخدومِيه دون أن يَشعُر (أخبَرَني كاهنٌ شَيخ بأنه مُواظِبٌ أيضاً على صلاة السِّتار الرهبانية).. لأنه بدون هذه اللقاءات الحميمية، وبمرور الزمن، سَيَتسلَّل إليه الفتور الروحي ويَشعر بِالتجمُّد، وبصعوبة يعود إلى محبته الأولى.

كتب أيضاً القمص يوسف أسعد: [**وبمرور الزمن يَصير المَلل والضَّجر هُما علامة وصول الكاهن إلى الشيخوخة**، حيث يُصبح عَجولاً مُتململاً في أداء الصلوات أو الخدمات، وفَقد الرغبة في المُبادَأة إلى حَد مقاومة كل عنصر جديد حَي في الكنيسة، ويَرهَب أي شخصية تفكر في التكريس بِما في نفسه من مَرارة. وينتهي الأمر إلى المَوائد الشهية للأطعمة في الوَلائم، والنوم الطويل، والإنسِلاخ نهائياً من النشاط الرعوي.. **إنه يَبقَى شكلاً ولكنه يكون هَشَّاً مع الزمن وأمام أي تَحَدٍّ للإيمان**، إذ تبدو من أعماله ما لا يظهر في أعمالٍ لِأحداثٍ في الإيمان][2].

٩ـ فَليَحفظ الراعي جداً وَقار كهنوت المسيح الذي عليه، فلا يختلف تعامُله مع الناس بِاختلاف مستوياتهم الأخلاقية، ولا يَنحَني إلى طُرُقهم المُعوَجَّة، ولا يستخدم ألفاظَهم السُّوقِيَّة. فهو النموذج والمِثال، وقد وُضِع عليه أن يتصرف بطريقة مثالية كطريقة مُرسِله الذي يُمثِّله، المسيح. فَليَحترِس

---

[1] المتنيح الأنبا يمين والقمص يوسف أسعد: "الكاهن القبطي"، صفحة ٢٦٤.

[2] المرجع السابق: صفحة ٢٦٥.

الراعي لِنفسه اِحتِراس الطبيب من العَدوَى بين المَرضَى، فَوَإن لم تَصِل قامته الروحية إلى قياس قامة مِلء المسيح فَليَجتَهِد في أن يكون صورة للمسيح، فَيُحسَب له ذلك بِرَّاً.

وعن هذا كتب الأب يوحنا الدَّرَجي: [طوبى **للأطباء الذين لا يتعرضون لِغَثيان النفس وللرؤساء الذين انعَتَقوا من الأهواء**، لأن الأوَّلين إذ لا يشمئزون من شيء يستطيعون تأمين العناية اللازمة للمريض، رُغم نَتانته الشديدة، والثانين قادرون على بَعث النفوس المائتة... على الطبيب أن يكون مُجرَّداً من الأهواء كُليَّاً **لكي يستطيع في بعض المناسبات أن يتصنَّعها**، وخاصةً الغضب، لأنه **إن لم يكُن قد تَحَرَّر منها كُليَّاً فلا يقدر أن يتظاهَر بها دون أن ينفعِل**][1].

والقديس يوحنا ذهبي الفم:

[لِيَكُن الفارِق بين الراعي ورعيته **بمقدار ما بين الإنسان العاقل والمخلوقات غير الناطقة**، إن لم يَزِد... هكذا حَرِيٌّ بالكاهن أن يتصرف نحو رعيته **كما الوالِد نحو أصغر أطفاله**][2].

١٠ـ لا يَكُن الراعي، بِخَطَئِه، سبباً في أن أحداً يُهين كهنوت المسيح الذي فيه. فالراعي الذي يُخطئ يُسِيء لا إلى نفسه فقط بل إلى كهنوته فَيُؤلِم المسيح.. نعم؛ من غَير المطلوب من الراعي أن يكون ملاكاً، ولكن أيضاً من المُفترَض فيه أن يكون الفارِق بينه وبين الرعية هو كالفارِق بين الطبيب وبين مَرضَاه، أو بين الراعي وبين خِرافِه. وهذا هو الحُكم العام لِذَوي الوَكالات الإلهية:

"فَإِنِّي أَرَى أَنَّ اللهَ أَبْرَزَنَا نَحْنُ الرُّسُلَ آخِرِينَ، كَأَنَّنَا مَحْكُومٌ عَلَيْنَا بِالْمَوْتِ. لأَنَّنَا **صِرْنَا مَنْظَرًا** لِلْعَالَمِ، لِلْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ" (١كو٤: ٩)

---

[1] الأب يوحنا السُّلَّمي: "السُّلم إلى الله"، فصل "رسالة إلى الراعي". تعريب رهبنة دير مارجرجس الحرف، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، منشورات النور، بيروت، صفحة ٢٧٩.

[2] القديس يوحنا ذهبي الفم: "الكهنوت المسيحي"، ترجمة: كنيسة السيدة العذراء بالفجالة، أغسطس ١٩٧٤م، رقم الإيداع: ٤٦٣٥/ ١٩٧٤، المطبعة: دار الجيل للطباعة (الفجالة)، صفحتَي ٣٨، ١٢٤، عن:

St. CHRYCOSTOM: Treatise Concerning the Christian Priesthood, Nicene and p. Nicene Fathers. 1st ser. Vol. 9.

عن الاِحتراز الواجب على الراعي، تَجَنُّباً لإعثار أحد؛ كتب القديس يوحنا ذهبي الفم:

[فَهَفَوات الرجل العادي حين تعمل في الظلام تُهلِك صاحبها فقط وضَرَرُها لا يتعدَّاه، وأمَّا **زَلَّة الشخص المعروف لدى الجميع فإن ضَررَها يُصيب الكثيرين**، فَيَتمادَى الساقطون في شرّهم، ويأس السَّاعون نحو التوبة. وفَضلاً عن هذا فإن أخطاء غير المعروفين حتى لَو اِنكشفَت فلا تؤثر في أحد.. أمَّا الذين يَشغَلون مراكز ظاهرة فلأنهم على مَرأى من الجميع **فأخطاؤهم لها أثر كبير مَهما هان أمرُها**، ذلك لأن **الناس يَحكُمون على الخطية ليس بِمقدورها بل بِمنزِلة مُرتكِبِها**.. الناس يتأهَّبون للحُكم على الكاهن، ليس بِاعتباره بَشَراً من لحم ودم، **بل كَملاكٍ تَحَرَّر من كل أسباب الضعف البشري**][1].

والأب يوحنا الدَّرَجي:

[بقَدر ما يرى الرئيس أن ليس أبناؤه فقط بل الغُرَباء أيضاً يُولُونه ثِقة كبيرة، بهذا المقدار عليه أن يحترس كل الاحتِراس في كل ما يفعل ويقول، عالِماً أن **الجميع ينظرون إليه كإلى مثالٍ يُحتَذَى، ويُعِدُّون أقواله وأفعاله قياساً يُعمَل بِمُقتضاه**][2].

كما يقول كاتب كتاب "الكاهن القبطي":

[للناس من غير الكهنة خطاياهم الشخصية، إنَّما **انحِراف الفَرد قد يُهلِك فَرداً أمَّا انحِراف القائد فهو يُهلِك شعباً**. ولذلك فإن **عقوبة الفَرد عن خطيئِه لا تتساوَى مُطلَقاً مع عقوبة القائد لِذات الخطأ**. وهذا يجعل قلوبنا تَدمِي لا بسبب خطورة العمل الكهنوتي فَحَسب؛ بل ولأجل كارثة الدينونة الرهيبة أمام المِنبَر الإلهي في يوم الدينونة المَخوف المملوء مجداً][3].

[يكون نشاطُه وخُموله، كلامه وصَمته، أكله وجُوعه، مَشيه وقُعوده، هدوءُه وحِميَته ـ **مَحسوباً عليه يُطالَب فيه أكثر من غَيرِه بِالتدقيق**، لِيَكون صورة عن المسيح وَسط شعبه. والتدقيق هو

---

[1] المرجع السابق: صفحتَي ٧٠، ٧١.

[2] الأب يوحنا السُّلَّمي: "السُّلَّم إلى الله (رسالة إلى الراعي)"، صفحة ٢٨٠.

[3] المتنيح الأنبا بيمن والقمص يوسف أسعد: "الكاهن القبطي"، صفحة ٢٥٧.

أشبَه بِضَبط بؤرة العدسة، للسماح بِدخول كمية من الضوء صالحة لِظُهور الصورة الإلهية لِشَعبه، بِلا تَساهُل وبِلا مُغالاة أيضاً][1].

١١ـ لا يتعامَى الراعي عمَّا يَقترِفه **أُناسٌ تحت رعايته** من أخطاءٍ وتَعَدِّياتٍ ومَظالِم فيما بينهم، إنقِياداً لِوَضعٍ واقِعٍ قائِم، أو بِداعي تَجَنُّب التعارُض وحِفظ الهدوء. فاللهُ قد وَضَعَه في هذه المَكانة، ووضع في يَدِك السُّلطان **لِإعلان الحق ولِإعلاء الحق**، لِيُجري الحق الإنجيلي الذي تَسَلَّمه مِمَّن مَسَحَه وأرسَلَه به للناس. وهذا يكون في: حِفظ نظام الكنيسة، فلا سماح بِشَغَب أو تَشويش أو فَرض أحد لِذاته أو لِرَأيه ـ اِختيار المَسئولين الروحانيين الأكْفاء المُناسبين ـ فَض المُنازَعات... بِلا تَحَيُّزٍ لِصَديق أو بُغضةٍ لِمُعادٍ أو تَهَيُّبٍ لِسُلطة.

قال القديس يوحنا ذهبي الفم في إحدَى المناسبات: [قَولُ الحَق ما أبقَى لي صَديقاً].

أُفَضِّل الراعي الذي يُعابُ عليه بِأنه صارِمٌ في إجراء الحق وحِفظ النظام؛ عن ذلك الآخَر الذي يُرضي الناس ويَرضَخ للأوضاع الجارِية.. قِيل بِأنه لا يُساير التيار غير السمك الميِّت.

١٢ـ ولا يكُن (خَوَّافاً) في الشهادة أمام **الذين هُم من خارج**، بِقَوله: (ماليش دعوة ـ خلّيني بعيد ـ تيجي من غيري ـ مُش انا المسئول ـ مايخُصّنيش...)! لأن ما يخص مجد المسيح الرب، أيًّا كان الأمر، يَخص خُدَّامَه شُهودَه الذين أقامهم له: "أَمَّا أَنْتَ فَنَطِّقْ حَقَوَيْكَ وَقُمْ وَكَلِّمْهُمْ بِكُلِّ مَا آمُرُكَ بِهِ. **لاَ تَرْتَعْ مِنْ وُجُوهِهِمْ** لِئَلاَّ أُرِيعَكَ أَمَامَهُمْ" إر١: ١٧، "**لاَ تَرْتَعِبُوا وَلاَ تَرْتَاعُوا**. أَمَا أَعْلَمْتُكَ مُنْذُ الْقَدِيمِ وَأَخْبَرْتُكَ؟ **فَأَنْتُمْ شُهُودِي**..." إش٤٤: ٨، "...**أَنَّ اللهَ الْعَلِيَّ سُلْطَانٌ فِي مَمْلَكَةِ النَّاسِ وَأَنَّهُ يُقِيمُ عَلَيْهَا مَنْ يَشَاءُ**" دا ٥: ٢١.. إنه الرب الذي "**يُقلِب عُروشَ المُقتدِرين**" (حك٥: ٢٤).

إن من أهَم فوائد اِختيار الأساقفة من الرهبان؛ هو أنهم أُناسٌ قد ماتوا مُسبَقاً (مافيش حاجة يخافوا عليها): "**وَلكِنِّي لَسْتُ أَحْتَسِبُ لِشَيْءٍ، وَلاَ نَفْسِي ثَمِينَةٌ عِنْدِي، حَتَّى أُتَمِّمَ بِفَرَحٍ سَعْيِي وَالْخِدْمَةَ الَّتِي أَخَذْتُهَا مِنَ الرَّبِّ يَسُوعَ، لأَشْهَدَ بِبِشَارَةِ نِعْمَةِ اللهِ**" أع٢٠: ٢٤

[1] المرجع السابق: صفحة ٦.

ومن كتاب "الكاهن القبطي":

[**لا يَهاب الواعِظ أحداً أثناء إلقاء العِظة**، مَهما كان سِنه أو مركزه الأدبي أو الكَنَسِي أو سُلطانه المَدَني من الحاضرين. الجميع أمام العِظة أولاد الله، **والكاهن الأمين هو الذي يكون أميناً أن يقدِّم كل الحق بِغير تهيُّبٍ من ضِيق أو تذمر أو هجوم أحد**. إن الله يشهد على صِدق أمانة الكاهن في الوَعظ ولَو بعد زمن، وهو ما يجعل روح الله يأتمِن الكاهن أكثر على رِسالاتٍ أكثر قوة وروحانية.. فقلْب الكاهن المُتلامس مع الله غير المَرئي يؤمن أن يسمع بالإيمان رغبة الله في التعليم، فيُنفِّذ الوصية التي تقول: "**وَالَّذِي تَسْمَعُونَهُ فِي الأُذُنِ نَادُوا بِهِ عَلَى السُّطُوحِ**" (مت١٠: ٢٧). فالكاهن على سطح المِنبَر يُفضِي بِما سمِعه بالأُذن في مِخدَع قلبه، وبكل قوة وشجاعة وَقورة ووديعة **يُنادي بأعلَى إمكانياته بكل الحق، مُستعداً لأن يدفع ثمن كلمة الحق من راحته وسعادته ومَعيشته**][1].

١٣ـ إن وُضِع الراعي في موقف الخَصْم بِغَير إرادته فَليَكُن خَصْماً نبيلاً. فإن أراد أن يستعمل السياسة، حِيناً، في تدبير أمور البِيعَة فهذا جيدٌ، لكن السياسة النبيلة لا السياسة الكَذُوبة أو المُراوِغة، التي تهدف إلى التخلُّص من الخصوم أو الإضرار بهم، السياسة المُقادَة بالروح القدس، السياسة الأبَوِيَّة الحازِمة والحانِية معاً، سياسة ذات شفافية ومِصداقية، سياسة تُقَدِّر قيمة النفس المُفْداة بالدم الإلهي ولا تهدف إلَّا لِخلاصها، سياسة خاضعة لِوَصية الرب: "**بَلْ لِيَكُنْ كَلاَمُكُمْ: نَعَمْ نَعَمْ، لاَ لاَ**، وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ الشِّرِّيرِ" مت٥: ٣٧

١٤ـ مَن أُعطِيَ قيادة روحية فَليَتعهَّد وَزَناته ويَربح بها! فهو الآن مسئولٌ ليس عن نفسه فقط؛ بل قد اِئتُمِنَ على رعاية آخَرين، كثيرين أو قليلين، وقَبِل هو هذا الاِئتمان. فقد قال الرب: "فَكُلُّ مَنْ أُعْطِيَ كَثِيراً **يُطْلَبُ مِنْهُ كَثِيرٌ**، وَمَنْ يُودِعُونَهُ كَثِيراً **يُطَالِبُونَهُ بِأَكْثَرَ**" (لو١٢: ٤٨)، "لأَنَّ **مَنْ لَهُ سَيُعْطَى، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي يَظُنُّهُ لَهُ يُؤْخَذُ مِنْهُ**" (لو٨: ١٨). ولَعَل هذا ما عَناه بِقَوله أيضاً:

"هَئَنَذَا أَحْكُمُ بَيْنَ شَاةٍ وَشَاةٍ. بَيْنَ كِبَاشٍ وَتُيُوسٍ" (حز٣٤: ١٧).

---

[1] المرجع السابق: صفحة ١٣٧.

١٥ـ حينما يكون الرِّخاء أو التهاون هو سِمة قائد في قَطيع أو حَصاد أو صَيد الرب؛ فإن أكثر الفَعَلَة الباقين يُصابون بالتَّراخي أو الإهمال بل وباللامُبالاة، وإذ يضع الفَعَلَة هذا القائد ـ لا "الرَّاعي الصَّالِحُ" وخدمته وتَوصِياته لِمُرسَليه ـ مِثالاً يُحتذَى؛ يتبدَّدون، فَيُصاب الحقل بالآفات الروحية، ويتعرَّض لمخاطر العَطَب والسَّلب. هذه حقيقةٌ فِعلية لا يمكن تَجاهُلها: "لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: "أَنِّي أَضْرِبُ **الرَّاعِيَ** فَتَتَبَدَّدُ خِرَافُ **الرَّعِيَّةِ**" (مت٢٦: ٣١).

١٦ـ كُلما أقدَم الراعي على اتِّخاذ قرار؛ لِيَنتَبِه ألَّا يَخلِط بين أمرَين مُتمِيّزَين مُستقلَّين عن بعضهما، هُما: سُلطة اتِّخاذ القرار، والخِبرة الشخصية في موضوع ذلك القرار. فَبِحُكم المسئولية؛ للراعي صَلاحية اتِّخاذ قرار في أي مجال في حقله الكَنَسِي المَنوط به، لكنه بالتأكيد ليس خَبيراً في كل مجال..

فقد يكون خَبيراً، مثلاً، في مجال الإنشاء المِعماري المطلوب في كنيسته، وله سُلطة اتِّخاذ قَرارٍ بِشأن بِنايةٍ ما، من جهة المساحة أو التصميم أو العلاقات مع المهندس المِعماري والمقاوِل أو.. لكنه قد لا يكون خَبيراً، مثلاً، في مجال العلوم الكَنَسِية والبحث العِلمي، فَمَعَ كَونه له سُلطة اتِّخاذ قَرارٍ بِشأن طريقة سَير الخدمة التعليمية؛ إلَّا أنه يجب عليه ألَّا يتَّخِذ قراراً فَردياً دون مُشاوَرة المُختصِّين به، والنزول على إجماع رؤيتهم وتنظيمهم له، حتى لو كانوا أصغر منه سِنَّاً أو مَكانة.

١٧ـ اِعتَدنا أن نحتفل بتِذكار إعلان صعود جسد أُمِّنا القديسة العذراء مريم والدة الإله في شهر مِسرَى، ولكن التاريخ الأساسي والأهَم هو تذكار نياحتها في **٢١ طوبة**، بينما نحن لا نُعطي هذه المناسبة الاعتبار اللائق، بل وقد يمُر علينا حتى دون أن ننتبِه إليه أو نتذكَّره!.. إن هذا الحَدَث الذي بِهذا التاريخ، **٢١ طوبة**، هو عيدٌ للكنيسة كلها، لأنه فيه اِنضَمَّت القديسة والدة الإله إلى، بل تقدَّمت، سحابة الشهود بِتَشَفُّعها ذِي الدَّالَّة العالية عند ربنا يسوع المسيح لأجلنا..

لَيتَنا نُعطي لِعِيد نياحة والدة إلهنا الاهتمام الأولَى والاحتفال اللائق به في **٢١ طوبة**.

وفيما يَختَص أيضاً بِأُمِّنا القديسة العذراء مريم والدة الإله؛ نحن نمجِّدها بِهُتافِنا:

Ⲁⲍⲓⲁ Ⲁⲍⲓⲁ Ⲁⲍⲓⲁ ϯⲁⲥⲓⲁ Ⲙⲁⲣⲓⲁ ϯⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ

أي: مُستحقة مُستحقة مُستحقة أيتها القديسة مريم العذراء.. ولكن هذا التمجيد لا يكفي لِوَصف "والدة الإله"، ولا يَفي كرامة ومجد أُمِّنا المحبوبة الغالية. لأنه ما الذي يُميزّها هنا عن سائر القديسات؟ فهناك قديسات كثيرات اسمُهُن مريم وعَذراوات؛ ولكن أهَم صِفة أكسَبَتها هذا المجد وأوْجَبَت علينا تمجيدَها هى أنها "والدة الإله".

[نِساءٌ كثيرات نِلْنَ كرامات، تَعَالَيتِ أنتِ أكثر من جميعهن، لأنك أنت فخرُ العذارَى يا مريم **والدة الإله**] ـ من ثيؤطوكية يوم الجمعة: ٤.

لِذا يناشد الكاتب لَجنة الطقوس بالمجمع المقدس تقرير أضافة صفة ولَقَب ⲑⲉⲟⲧⲟⲕⲟⲥ (تي ثيؤطوكوس = والدة الإله) في آخر عبارة التمجيد المذكورة أعلاه، فتُصبح هكذا:

Ⲁⲅⲓⲁ Ⲁⲅⲓⲁ Ⲁⲅⲓⲁ ⲑⲁⲥⲓⲁ Ⲙⲁⲣⲓⲁ ⲑⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ ⲑⲉⲟⲧⲟⲕⲟⲥ

مُستحقة مُستحقة مُستحقة أيتها القديسة مريم العذراء والدة الإله

وعند تَلحينه لن تَطرَأ عليه صُعوبة، بل سَيَكون أكثر تَنَاغُماً وعُذوبة، بِأن يَجري تَلحين التمجيد كالمُعتاد، مع عدم الإطالة في حرف ⲁ الذي بِلَفظَة ⲑⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ بل تُكَمَّل اللَّفظة مباشرةً ويُدمج بها كلمة ⲑⲉⲟⲧⲟⲕⲟⲥ بنفس اللحن ومُدَّته الزمنية.

١٨ـ فَليَحفظ القادة للكنيسة لُغتها القبطية. صحيحٌ أن اللغة القبطية لَيسَت عقيدة ولَيسَت مُنزَلة من السماء، أو التي سَنُسَبِّح بها في الملكوت؛ لكنها لُغة آبائنا التي تحمل لنا في تسابيحها وكتاباتها وفنونها حَضارة مَسيحيَّتنا القَومية.. إن اللغة القبطية ليست (فولكلور) بل تُراثاً. اللغة **القبطية** هى طابع الكنيسة **القبطية**.. فمادُمنا في أيام جهادنا على الأرض يتعيَّن علينا ألَّا نُفَرِّط فيها.

١٩ـ لقد مَرَّت الكنيسة من قبل مِراراً بِظروفٍ مُشابِهةٍ لِظُروف غَلق الكنائس أيام وباء كورونا، من أوبئة ومن إضطهاد أو غَيرِه.. إنَّما حقيقةً ضِيقها الآن هو الأصعب، بِحَسَب ما أنبأنا به السيد المسيح مُسبَقاً، بِقَوله: "لأَنَّهُ يَكُونُ حِينَئِذٍ **ضِيقٌ عَظِيمٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ** مُنْذُ ابْتِدَاءِ الْعَالَمِ إِلَى الآنَ وَلَنْ يَكُونَ" مت٢٤: ٢١. هذا يُفَسِّره الإيقان بِأننا حقاً نعيش زمن الأيام الأخيرة!

لقد كان الرعاة الأُمَناء، في كل زمن، يقِفون وقوف الأسود مُقابل المُضادِّين لِحِماية صِغارهم وعائلاتهم.. فَهَل تتخلَّى الكنيسة ـ أقصِد المَنظومة الرعوية ـ عن أولادها في هذه المِحنة الصعبة، أو غيرها، دون أن تُوجِد لهُم بَديلاً يُعوِّض بعضاً مما كانت تُقدِّمه لهم وقت مُباشَرة أنشِطتها؟ وإن تَعَطَّل عمل الكنيسة الطقسي بِداخلها؛ فهل بالتالي يتعطَّل عملها الخدمي الرعوي بِخارجها..؟!

لَإن أُغلِق البناء المادي للكنيسة: الحِجارة والأخشاب والأبواب الحديدية، لكن البناء الروحي للكنيسة: جسد المسيح مَفدِيُّوه نحن، وخدمتها وكِرازتها ـ في حالة نموٍ وامتدادٍ مُتواصِل..

فإن كان الاتجاه العالَمي في التعامُل والتواصُل الآن هو تَقنِيَة الميديا؛ لِذا فإن نُظُم الخدمة المُكافِئة والأساسية التي يجب أن تستغلَّها الكنيسة الآن، بشكلٍ مُتواصل، لِإيصال كلمة الرب إلى الرَّعِيَّة، لِتَقِيها خطر الجوع الروحي ـ هى المواقع الإلكترونية والقنوات الفضائية، كَنوعٍ من الافتقاد، كما من أجل مَن يتعذَّر اِفتقادهم الافتقاد الخاص بالزيارة المنزلية، أو بالاتصال الهاتِفي.

فَضلاً عن هذا؛ إعداد نشرات أو نبذات أو رسائل روحية هادِفة، فإرسال خُدام لِتَوزيعها على بيوت المؤمنين.. صَدَق الرب في قَولِه: "هُوَذَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، **أُرْسِلُ جُوعاً فِي الأَرْضِ، لاَ جُوعاً لِلْخُبْزِ، وَلاَ عَطَشًا لِلْمَاءِ، بَلْ لاسْتِمَاعِ كَلِمَاتِ الرَّبِّ**" عا٨: ١١

مرةً كنت بِالمدينة، ولاحَظتُ أن كثيراً من الشباب يعملون في منطقةٍ تجارية واحدة كبيرة تقع بين كَنيستَين، أعرف عنهم منذ زمنٍ أن غالبيتهم مسيحيون، فَفَكرت: لِمَ لا يُنشَأ اِجتماع روحي خاص لِخِدمتهم؟ فذهبْت إلى إحدى الكَنيستَين، وتقابلت مع الأب كاهِنها الذي وجدْتُه، وعرضْتُ عليه الفِكرة، فاستحسَنَها وقال لي أنه سَيَبحث الأمر، وشعرت في كلامه بِالجِدِّية.. ثم ذهبت إلى الكنيسة الأخرى لَعَله توجد لهم خدمة بها، وتكلَّمْت أيضاً مع الأب كاهِنها الذي وجدْتُه، لكنه فاجَأني بِالقَول بأن الخدمة مُتوقِّفة تماماً الآن! ومع أن حديثي معه كان بِتَوَدُّد؛ إلَّا أنه بَدَت على وَجهه مَلامح غضب وتغيَّرت لَهجَتُه، فهِمتُ منها أنه يعتبرني مُتَدَاخِلاً في اِختِصاصاته! هذان مِثالان لِأبَيِّن كاهِنَين. إن هذه الضِّيقة لَهِيَ بِمَثابة فَحصٍ لِمَدى أمانة وأحشاء رأفات الرعاة، لِإفراز ذَوي الإنجازات الرعوية الإيجابية من بين الباقين أمام المِنبَر الإلهي المَخوف أخيراً.

٢٠ـ عند عَقد اِجتماعاتٍ لِتدبير شئون الخدمة؛ يجب ألَّا تقوم فقط على إجراء التنظيمات واتِّخاذ القرارات؛ بل تكون مُفتتَحة بِقراءة الكلمة، ومقدسة بِذِكر اِسم المسيح، ومَدعومة بالصلوات.

٢١ـ تَناقَلَت الألسُن مَقولة، دون تفكير، يَحسُن أن نُفَنِّدها، وهى: (مَعَندِناش في المسيحية حرام وحلال لكن عندنا يَليق ولا يَليق). فمَن ذلك الذي (شَرَّع) حديثاً في المسيحية عدم وجود حرام وحلال ؟! إن الكتاب المقدس، بِعَهدَيه، يتضمَّن أمثلة كثيرة على ما هو مُحَرَّم وما هو مُحَلَّل، من فَم الرب ذاته ومن فَم رُسُلِه، بِاللَّفظ الصريح وبِاللَّفظ المُرادِف.. فمِن العهد الجديد وَحده:

"خُبْزَ التَّقْدِمَةِ الَّذِي **لَمْ يَحِلَّ** أَكْلُهُ لَهُ وَلاَ لِلَّذِينَ مَعَهُ" (مت١٢: ٤)، "كُلُّ **مَا تَرْبِطُونَهُ** عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ **مَرْبُوطاً** فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ **مَا تَحُلُّونَهُ** عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ **مَحْلُولاً** فِي السَّمَاءِ" (مت١٨: ١٨)، "**يَحِلُّ** فِعْلُ الْخَيْرِ فِي السُّبُوتِ" (مت١٢: ١٢)، "**لاَ يَحِلُّ** أَنْ تَكُونَ لَكَ امْرَأَةُ أَخِيكَ" (مر٦: ١٨)، "وَلكِنْ إِنْ بَشَّرْنَاكُمْ نَحْنُ أَوْ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ بِغَيْرِ مَا بَشَّرْنَاكُمْ، فَلْيَكُنْ **أَنَاثِيمَا**! (= مَحروماً)" (غل١: ٨، ٩)، "عِبَادَةِ الأَوْثَانِ **الْمُحَرَّمَةِ**" (١بط٤: ٣)..

وهناك **الحِل** الكَنَسِي للتائب، وقوانين الكنيسة تحتوي على كثير من **التَّحريمات**، حتى على رِجال الإكليروس، وهناك **الحُرومات** الـ ١٢ للقديس كيرلس عَمود الدين.. وهل مَبدأ (يَليق ولا يَليق) وَحده يَضمن اِستِقامة سلوكيات الرعية ؟! لَو كان الأمر هكذا لَمَّا سُنَّت أيَّة قوانين مجتمعية.

٢٢ـ إن كنتَ قد ألَّفتَ كتاباً وتريده أن يكون كتاباً مُؤثِّراً حقاً؛ فلا تَعجَل في نَشرِه بل أبقِه عندك "**تَحْتَ الْحِفْظِ**"، لا لِشَهرَين أو ثلاثة بل لِسَنتَين أو ثلاثة وقد أكثر، "**حَتَّى اخْتَمَرَ الْجَمِيعُ**" (لو١٣: ٢١).

اِنتظر أمام الله لِيُبارِكَه، ويُرسِل لك الأفكار المَطلوبة والتعبيرات الهادِفة، لِتُغَذِّيه وتَسقِيه كل يوم بِإضافةٍ فارِقة، ثم يُعطيه (مَسحةً) تجعل كلامَه روحياً حَيَّاً، لا مجرد بَلاغة لَفظِية أو ثَرثَرة فلسفية، إنَّما رسالة روحية تخرج كما من قلب الله مارَّةً بِقلب الكاتب إلى قلوب القارئين. وكَقَول المُعَلِّم الصالح: "كُلُّ كَاتِبٍ مُتَعَلِّمٍ... يُخْرِجُ مِنْ كَنْزِهِ **جُدُدًا وَعُتَقَاءَ**" (مت١٣: ٥٢)..

بل وقد تكتَشِف في كِتابتِك خطأً ما قد ذَلَّ قَلَمُك فيه. كما لكي تُدَعِّم كِتابتَك بِشَواهد من الكتاب المقدس، وتُراجِع العبارات التي تحتاج إلى تَعديل في الصِّياغة، والتنسيق الذي يحتاج إلى تَجميل.. ويَجدُر بِك أن تُشرِك مُتخصِّصاً معك في المُراجعة. إن "**الْعَتِيقُ أَطْيَبُ**" (لو٥: ٣٩).

بهذا يَخرُج كتابُك مُشْرِقاً مُشَرِّفاً، فَيَكون لا للتسلية ولا لمجرد التثقيف بل غنياً مُشبِعاً يَحمِل رِسالة فعَّالة، فَيَكون سبباً في خلاص أُناس. فَيَأخذ ليس فقط مكاناً بين أُلوف الكتب المَصفوفة فوق رُفوف المكتبات؛ بل مكانةً يستحقها في العقول وفي التاريخ. إن أكثر الكتب التي لها ثِقَلها وتأثيرها في شعوب العالم، وكانت سبباً في تغيير مَساراتها؛ هي التي استغرق (بِناؤها) السنوات.

٢٣ـ إن كنت قد قَبِلتَ أن تُراجِع كتاباً لِأحَد تلاميذك، ويُوضَع عليه اسمُك، المَوثوق فيه من شعبك، كَي يَنتَفِعوا منه؛ فلا تكُن مُراجَعَتُك له هي مُجرَّد إلقاء نَظرات عَشوائية أو تَصَفُّح لِبَعض مَوضوعاته، بل لِتَكُن مُراجَعَتُك لذلك الكتاب هي قراءة بِعَين النَّقد، سَطراً بِسَطر وكلمةً بِكلمة، وتسجيل تَصحيحاتك أو تَعليقاتك أو إضافاتك، وكلٌ منها يُدَوَّن بِجوار عِبارة المُؤلِّف المكتوبة.

هكذا يكون المُراجِع (بهذا المنهج راجَعَ كُتُبي القليلة آباءٌ مطارنة وآباءٌ أساقفة وآباءٌ رهبان وكهنة وأساتِذةٌ مُتخصِّصون. وكنت أوَد أن أحَد الآباء الرعاة يُحرِّر كلمة تقديم في اِفتِتاحِيَّة هذا الكتاب.....!).

٢٤ـ إن اِرتفع قلب الراعي إثْر إنجاح الله لِعَمَله بِواسطته؛ فَليَتذكَّر أيامَ انغِلابه، وأخطاءَه، وتَقصيراتِه.. وإن شَعَر في عِظاته أنه صار ذَهَبي الفَم ولِسانَه يَقطُر شَهداً؛ فَليُحَدِّث نفسه بِأن الله من قَبل قد أنطَقَ أتان بَلعام (عد٢٢: ٢٣ـ ٣١).. وإن رأى أنه صار مَحَل أسرار الناس وعارِفاً بِخطاياهم؛ فَليَقُل في نفسه: (إن عملي هذا أشبَه بِجامع قِمامة، والناس يُلقون نُفاياتهم عندي)..

٢٥ـ مَن وكَّله الربُّ على رعاية جانبٍ من قَطيع خِرافه الناطِقة؛ لا يتقدم إلى عمل الرب كَمَن قد أقامه الربُّ لِيُصلِح ما أفسَدَه مَن كانوا قَبله، أو لِيَعمل ما كان يجب أن يعملوه ولم يعملوا، بل كَمَن يُكمِّل على ما وَصَلوا إليه، كَمَن يبدأ من حيث أنهوا. وليَذكر دائماً أقوال الرب:

"**لَيْسَ التِّلْمِيذُ أَفْضَلَ مِنْ مُعَلِّمِهِ**، بَلْ كُلُّ مَنْ صَارَ كَامِلاً يَكُونُ مِثْلَ مُعَلِّمِهِ" لو٦: ٤٠،

"أَنَا أَرْسَلْتُكُمْ لِتَحْصُدُوا مَا لَمْ تَتْعَبُوا فِيهِ. **آخَرُونَ تَعِبُوا وَأَنْتُمْ قَدْ دَخَلْتُمْ عَلَى تَعَبِهِمْ**" يو٤: ٣٨...

٢٦ـ على الراعي أن يُنَبِّه كبير الشمامسة؛ إلى أن الذين يَختارهم لِقراءة الفصول الكتابية: النبوات ـ الإنجيل ـ البولس ـ الكاثوليكون ـ الابركسيس؛ يجب أن يكونوا مِمَّن يُحسِنون القراءة، ومن بينهم يَختار أمهَر القَرَّائين لِقراءة البُولس نَظَراً لِتَشَبُّعِه بِالعقائد اللاهوتية، ولِفَلسَفِيَّة ألفاظِه وعِباراتِه. فَالقِراءات والطقوس في الكنيسة لَيست عُرُوضاً (show) تُوَزَّع أدوارُها على (مُمَثِّليها)، عَشوائِيَّاً أو مُجامَلَةً.. يمكن تَخصيص بعض الوقت من اِجتماع الشمامسة لِشَرح القِراءات الكَنَسِية، على الأقَل الأكثر تِكراراً، كَدِراسة للكلمة، كما لِإكسابِهم مَهارة قراءة الآيات بِعَلامات التَّشكيل.

٢٧ـ بخصوص لقب "الوحيد (ὁ μονογενής)"، الخاص بالله الابن الكلمة المتأنس..

في السنوات الماضِية شاعَت خِلال الصلوات الليتورجية إضافة لَفظَة (الجنس) إلى لَفظَة "الوحيد"، فَيَقولون: "الوحيد (الجنس)". لكن هذا المَنطوق غير سليم، وهذا ليس مجرد رأي، بل بِالبحث والاتصال المباشِر بِالعَديد من كِبار مُعَلِّمي يوناني العهد الجديد؛ اِستَبعَدوا لَفظة (الجنس)، وقرَّروا بأن ترجمة ὁ μονογενής السليمة هي "الوحيد" فقط (وحَرفِيَّاً: المولود الوحيد). وللكاتب بحثٌ مُفَصَّلٌ في هذه الأمر، مُنشَرٌ في كُتَيب بِعنوان "الوحيد أم الوحيد (الجنس)؟".. لَيتَ لجنة الإيمان والتعليم تُصدِر بَياناً بِالمَنطوق السليم لهذا التعبير، الذي تَتَّفِق عليه الكنائس ـ كهنةً وشعباً ـ في الصلوات.

٢٨ـ توجد بعض الأعراف الوَضعية التي تَتَناقلها المجتمعات، فتتَّبِعها وتُجريها وكأنها مُسَلَّمات مُنَزَّهة عن المراجعة، حتى في المجتمع الكَنَسي. فمثلاً: في تسبحة البَصخة المقدسة؛ جميع الكنائس والأديرة تقريباً تُرَدِّد: (لك القوة والمجدِ...) بِكَسر حَرف (د)، بينما النُّطق السليم هو: "لك القوةُ والمجدُ..." بِضَم حَرف (د). لأن لَفظة "القوةُ" تُعرَب: مُبتدأٌ مؤخَّرٌ مَرفوعٌ بِالضَّمَّة، ولَفظة: "المجدُ" تُعرَب: مَعطوفٌ على "القوةُ" مَرفوعٌ بِالضَّمَّة.. هذا مثالٌ فقط.

٢٩ـ فَليَجتهِد الراعي ألَّا يترك الأرامِل، الذين خَلَا البيتُ عليهم؛ أن يعيشوا بمُفرَدهم. فهذا نشاطٌ رَعويٌ قبل أن يكون واجباً اِجتماعياً.. فقد لُوحِظ عِدة حالات من النساء الأرامِل المُسِنَّات، أو من الأرامل الحَدَثات؛ أنهن قد جُرِّينَ بِالشهوة الرديئة وانحَرَفنَ لا أخلاقِيَّاً، بِالرُّغم من كِبَر سِنِّهِن. هذه القضية المجتمعية قديمة ومُتكررة، لِذا فقد سَبَق الإنجيل المقدس بمُعالجتها، كما بِالآيات التالية:

"أَمَّا الأَرَامِلُ الْحَدَثَاتُ فَارْفُضْهُنَّ، لأَنَّهُنَّ مَتَى بَطِرْنَ عَلَى الْمَسِيحِ **يُرِدْنَ أَنْ يَتَزَوَّجْنَ**، وَلَهُنَّ دَيْنُونَةٌ لأَنَّهُنَّ **رَفَضْنَ الإِيمَانَ الأَوَّلَ**. وَمَعَ ذَلِكَ أَيْضاً يَتَعَلَّمْنَ أَنْ يَكُنَّ **بَطَّالاَتٍ، يَطُفْنَ فِي الْبُيُوتِ**. وَلَسْنَ بَطَّالاَتٍ فَقَطْ بَلْ **مِهْذَارَاتٌ** أَيْضاً، **وَفُضُولِيَّاتٌ، يَتَكَلَّمْنَ بِمَا لاَ يَجِبُ**... فَإِنَّ **بَعْضَهُنَّ قَدِ انْحَرَفْنَ وَرَاءَ الشَّيْطَانِ**" ١تي٥: ١١ـ ١٦

كتب القديس إيسوذوروس الفَرَمي لِأرملة كانت تتصرَّف كأنها شابَّة: [إذا واجهتِ الترمُّل بِالصبر، لَمَا تصرَّفتِ وكأنكِ شابة، لكن بما أنكِ تتزيَّنين، وفي نفس الوقت يقولون إنك في حُزن، هذه الأمور لا تتفق مع بعضها. إذن، أمامكِ إمَّا أن تتركي أحَد الاِثنَين، أو لا تُهيني الوقار][(١)].

فَليَبحث الراعي مدى إمكانية:

+ جمع مُسِنَّات أرامل هذه الحالات في بيتٍ كَنَسِي مُشتَرَك للمُسِنات.

+ مُباحَثة أقارب هذه الحالات من الدرجة الأولَى، بِهَدف إقناعِهِم بِواجِب اِلتِزامهم بِتَوفير مكان لِأُمهاتهم المُسِنَّات في بيوتهم، وإعالَتهن مَعنوِيَّاً وإن لَزِم الأمر ماديَّاً أيضاً، عملاً بِتَعاليم الإنجيل:

"**أَكْرِمِ الأَرَامِلَ** اللَّوَاتِي هُنَّ بِالْحَقِيقَةِ أَرَامِلُ. وَلكِنْ إِنْ كَانَتْ أَرْمَلَةٌ لَهَا أَوْلاَدٌ أَوْ حَفَدَةٌ، فَلْيَتَعَلَّمُوا أَوَّلاً أَنْ **يُوَقِّرُوا أَهْلَ بَيْتِهِمْ وَيُوفُوا وَالِدِيهِمِ الْمُكَافَأَةَ**، لأَنَّ هذَا صَالِحٌ وَمَقْبُولٌ أَمَامَ اللهِ... إِنْ كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَوْ مُؤْمِنَةٍ أَرَامِلُ **فَلْيُسَاعِدْهُنَّ وَلاَ يُثَقَّلْ عَلَى الْكَنِيسَةِ**، لِكَيْ تُسَاعِدَ هِيَ اللَّوَاتِي هُنَّ بِالْحَقِيقَةِ أَرَامِلُ" ١تي٥: ٣، ٤، ١٦

+ تنظيم خدمةً يُنَسِّق فيها بين بعض الخادمات المُنتخَبات (هذا إن لم يُؤسِّس لهن اجتماع خاص مُستقِل) لِرعاية هذه الحالات مَنزِلِيَّاً، رعاية روحية ونفسية، في مَواعيد مُحدَّدة..

---

(١) رسائل القديس إيسوذوروس الفَرَمي، الناشر: المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ترجمة د. جورج عوض، أغسطس ٢٠١٨، صفحة ١٩٠.

٣٠ـ "إخوة الرب".. عند قراءتك لهذا العنوان قد تظُن للوَهلة الأولى؛ أنني سَوف أحُثُّك على السَّخاء في العَطاء، ولكن الأمر ليس هكذا..

فكثيرون من المسيحيين الآن قد اِمتَهَنوا التَّسَوُّل، كِباراً وشباباً، رجالاً ونساء.. بِحَبْك روايات الاِحتياج والمُعاناة، في مكاتب الخدمة بِالكنائس وفي الشوارع، على الكهنة وعلى الرهبان، مِمَّن يعرفونهم ومِمَّن لا يعرفونهم.

الجديد هو أن ذلك المُحتال ليس بِالضرورة من الذين اعتَدتَ أن تُمَيِّزهم من ثِيابهم الرَّثَّة أو من مَبثُوري الأطراف؛ بل رجلاً يبدو عليه الوَقار يتقدم إليك بِجُرأةٍ اِعتاد عليها، قائلاً لك بأنه يريد العودة لِبَلَده طالِباً منك ثمن تذكرة السفر، أو اِمرأةً يبدو عليها اليُسر طالِبةً (العِيدِيَّة). وبهذا لا يكونون فقط مُتسوِّلين بل ومُحَدِّدين لك بِلا استِحياء الحَد الأدنَى الذي عليك أن (تُسَدِّدَه)!

قد يكونون في بَدء سلوكهم هذا في ضائِقةٍ اِضطَرَّتهم لِمَد أيديهم، لكنهم بعد اجتيازهم تلك الضائِقة يَصعُب عليهم أن يتخلَّوا عنه بل يَستَمرِئوه، ولا يُؤنِّبهم ضميرُهم بل يأخذون لأنفسهم ما لا يستحِقونَه مِمَّا يحتاجُه آخَرون، أو يَستحِلُّون مَذَمَّتهم هذه بأنهم يأخذون من الكنيسة (بركة)!

لِفَترةٍ طويلة ـ ولا أعرف ما إذا كان ذلك الوضع قد أُنهِيَ أم لا ـ اِنتشر بِفِناء الكاتدرائية العَديدُ من مُمتَهِني التسول، نساءً ورجالاً، يَقضون فيه اليوم من أوَّله إلى آخِره، بِصِفةٍ يَومية، يتجوَّلون فيه هنا وهناك، فهذه هى مِهنَتُهم، حيث وجَدوا فيه الظروف المُلائمة لِمُمارسة نشاطهم.

لَمَّا رأت إحداهُن راهباً شَيخاً وَقُوراً؛ أرادت أن (تَضغَط) عليه حتى تأخذ منه ما يمكنها أن تأخذه، لكن مَسئول الأمن قال له ـ كما حَكَى هو ـ بِأن تلك تَحوز في حقيبتها مبلغ ٥٠٠٠٠ (خمسين ألف) جنيه (كان ذلك حوالي سنة ٢٠١٤). هذا مثالٌ..

مِثالٌ أخَر: أخبَرَني أحَد آباء كهنة كنيسةٍ ما؛ بِأن في منطقة خدمته بَوَّاباً اِستطاع دَفع مبلغ ١٠٠٠٠٠٠ (مليون) جنيه قيمة شِراء شقة، وليس هذا فقط، بل وهو في طريقه الآن لِتدبير مبلغ ١٥٠٠٠٠٠ (مليون وخمسمائة ألف) جنيه قيمة شِراء شقة أخرى!



كثيرون من أولئك، بهذه الطريقة، عَبَروا مرحلة الإحتياج وبَلغوا حَد الإكتِفاء النسبي، والبعض منهم أيضاً إقتَنوا مُدَّخَرات، وذلك على حِساب العَطَّائين من عَرَقهم العامِلين بِوَصية الرب تجاه المحتاج، وحُباً للقَريب.

الأمر يحتاج من خُدام "إخوة الرب" ـ بجانب الأمانة ـ إلى التمييز في تدبير أمانات الرب. فَمَن هُم الذين يمكن أن يُدعَوا "**إخوة الرب**"، الذين يَقصدهم **الرب** بِقَوله: "بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ **إِخْوَتِي** هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ" (مت٢٥: ٤٠)، حتى تقوم الكنيسة بِالإعتِناء بهم؟

لا أقول إنهم هُم القانِعون بِما لَديهم، أو الذين في عِفَّة نفسٍ أو عِزَّة نفسٍ يتمنَّعون في قبول الإعانة؛ لكن على الأقل هُم:

أ ـ الذين لا تتوفَّر في بيوتهم الأدوات الضرورية للمَعيشة (غسَّالة/ ثلاجة..).

ب ـ الذين لا يتمكَّنون من الصُّمود أمام المصروفات الشهرية الثابتة (الإيجار/ الكهرباء/ المياه..).

ج ـ الذين (ينكسِرون) أمام الطوارئ (مصروفات المدارس/ تكاليف مُعالَجة إصابة..).

٣١ـ عَفواً، من فضلك إرتَدِ قميصاً ذي أكمامٍ من تحت جِلبابك، حتى في وقت الحَر، فليس بلائقٍ أن تنكشِف ساعِداك عندما تُحرِّك ذِراعَيك أثناء الوَعظ أو غَيره.

٣٢ـ جَيدٌ للراعي أن يستخدم وسائل التواصُل العَصرية لِأجل مُضاعَفة مُنجَزات العمل الرعوي، وأيضاً يُمتَدَح راعٍ على عدم اِستخدامه لِبَعض هذه الوسائل بِداعي الزُّهد أو الحياة البسيطة.

٣٣ـ غِياب، أجازة، اِستِقالة، تَقاعُد... هذه الألفاظ ومثلها لا وجود لها في قاموس حياة كاهن المسيح. فَهَل يوجَد جائعٌ يَغيب عن طَعامه (يو٤: ٣٤)؟ هل يوجد أبٌ يأخذ أجازة من أولاده؟ وهل يوجد مُحِبٌ يَستقيل من طبيعته؟ وهل يوجد صَديقٌ لِمَلِكٍ يتقاعَد عن صَداقته له..؟!

وحتى حال اِعتراض الراعي على رئيسِه لا يكون التصرُّف الأمثَل (المُريح) هو التخلّي عن الوَزنة (المَسئولية). أليس مكتوباً أنه:

"إِنْ صَعِدَتْ عَلَيْكَ رُوحُ الْمُتَسَلِّطِ، **فَلاَ تَتْرُكْ مَكَانَكَ، لأَنَّ الْهُدُوءَ يُسَكِّنُ خَطَايَا عَظِيمَةً**" جا١٠: ٤

"لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ: **بِالرُّجُوعِ وَالسُّكُونِ تَخْلُصُونَ. بِالْهُدُوءِ وَالطُّمَأْنِينَةِ تَكُونُ قُوَّتُكُمْ**. فَلَمْ تَشَاءُوا" إش٣٠: ١٥

وقد يدل تَرك المكان على التمرُّد، مثل الملائكة الذين تركوا أماكنهم (يه: ٦)، ولكن التمسُّك بِالدعوة يمنع خسائر كثيرة، للراعي ولِرَعيته.. "الرَّاعِي الصَّالِحُ" لم يترك مُهِمَّتَه حتى النهاية، وهكذا يكون "الْوَكِيلُ الأَمِينُ الْحَكِيمُ"، الذي دَعاه هو الذي يُوَجِّهه.

٣٤ـ المُدبِّر الحكيم هو الذي يتضمن تدبيره، بِمُعاوَنة شُرَكائه من كهنةٍ وخُدام، أنه في حال غِيابه لِسَببٍ أو لِآخَر (خُلوة ـ مَرَض ـ سَفَر...)؛ يستمر التدبير قائماً والعمل جارِياً. وحتى في حالة نِياحته لا يَنهار النظام بل يَدوم مُتماسِكاً.

٣٥ـ من الصفات المَرجُوَّة في الراعي الحقيقي..

أ ـ عاكِفٌ بِصفةٍ خاصة على الصلاة المخدعية:

"وَكَانَ إِذَا رَفَعَ مُوسَى يَدَهُ أَنَّ إِسْرَائِيلَ يَغْلِبُ وَإِذَا خَفَضَ يَدَهُ أَنَّ عَمَالِيقَ يَغْلِبُ. فَلَمَّا صَارَتْ يَدَا مُوسَى ثَقِيلَتَيْنِ أَخَذَا حَجَراً وَوَضَعَاهُ تَحْتَهُ فَجَلَسَ عَلَيْهِ. وَدَعَمَ هَارُونُ وَحُورُ يَدَيْهِ الْوَاحِدُ مِنْ هُنَا وَالآخَرُ مِنْ هُنَاكَ. فَكَانَتْ يَدَاهُ ثَابِتَتَيْنِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ" خر١٧: ١١، ١٢

"فَقَالَ بِإِهْلاَكِهِمْ. لَوْلاَ مُوسَى مُخْتَارُهُ وَقَفَ فِي الثَّغْرِ قُدَّامَهُ لِيَصْرِفَ غَضَبَهُ عَنْ إِتْلاَفِهِمْ" مز١٠٦: ٢٣

"وَطَلَبْتُ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلاً يَبْنِي جِدَاراً وَيَقِفُ فِي الثَّغْرِ أَمَامِي عَنِ الأَرْضِ لِكَيْلاَ أَخْرِبَهَا، فَلَمْ أَجِدْ!" حز٢٢: ٣٠

ب ـ عاملٌ لا لِيَكون أميناً في وَكالته فقط بل أيضاً، مثل سيِّده، مُتشوِّقٌ لخلاص الناس:

"لأَنِّي لاَ أُسَرُّ بِمَوْتِ مَنْ يَمُوتُ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. فَارْجِعُوا وَاحْيُوا" حز١٨: ٣٢

"الَّذِي يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ" ١تي٢: ٤

"...وَهُوَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ" ٢بط٣: ٩

"مُؤَدِّباً بِالْوَدَاعَةِ الْمُقَاوِمِينَ، عَسَى أَنْ يُعْطِيَهُمُ اللهُ تَوْبَةً لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ" ٢تي٢: ٢٥

ج ـ مُتألِّمٌ غالِباً، مثل سيِّده، في خدمته:

إن الخدمة الحقيقية هى الخدمة التي تكتنِفها الآلام، بِأي نوع (تعب ـ حزن ـ مقاومة..). لأن الخدمة التي على مثال خدمة السيد المسيح، في حقيقيَّتها، هى شركته في كِرازته المُتألمة.

وأمَّا صلاة القداس والوَعظ والاحتفالات وحدها، التي يجد الخادم فيها نَشوَة وراحة؛ فهى أنشِطة روحية وأنشِطة مُجتمعية، هى مَصادِر عزاء للخادم (المُرَفَّه)، وقد يُغذي بها ذاته فتُحسَب لا له بل عليه، فأيَّة شركة آلام في هذه؟!

"...إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي، فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ كُلَّ يَوْمٍ، وَيَتْبَعْنِي" لو٩: ٢٣

"كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ **لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ**" مت٢٠: ٢٨

"أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ، **وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذِلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ**" يو١٠: ١١

"فَإِنَّنَا لاَ نُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ ضِيقَتِنَا الَّتِي أَصَابَتْنَا فِي أَسِيَّا، أَنَّنَا **تَثَقَّلْنَا جِدّاً فَوْقَ الطَّاقَةِ**، حَتَّى أَيِسْنَا مِنَ الْحَيَاةِ أَيْضاً" ٢كو١: ٨

"مَنْ يَضْعُفُ وَأَنَا لاَ أَضْعُفُ؟ مَنْ يَعْثُرُ وَأَنَا لاَ أَلْتَهِبُ؟!" ٢كو١١: ٢٩

"غَيْرَ أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ يَشْهَدُ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ قَائِلاً: إِنَّ وُثُقاً وَشَدَائِدَ تَنْتَظِرُنِي. وَلَكِنَّنِي **لَسْتُ أَحْتَسِبُ لِشَيْءٍ وَلاَ نَفْسِي ثَمِينَةٌ عِنْدِي حَتَّى أُتَمِّمَ بِفَرَحٍ سَعْيِي وَالْخِدْمَةَ الَّتِي أَخَذْتُهَا مِنَ الرَّبِّ يَسُوعَ** لأَشْهَدَ بِبِشَارَةِ نِعْمَةِ اللهِ" أع٢٠: ٢٣، ٢٤

"لأَعْرِفَهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ، **وَشَرِكَةَ آلاَمِهِ، مُتَشَبِّهاً بِمَوْتِهِ**" في٣: ١٠

د ـ جائِلٌ بنفسه، مثل سيّده، حيث أماكن الرعية:

فَمَن هُم أوَّل من نَعِموا بِالبِشارة بميلاد المُخلِّص؟ إنهم (الرعاة) الذين كانوا **"يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ"** (لو٢: ٨).

"كَمَا يَفْتَقِدُ الرَّاعِي قَطِيعَهُ يَوْمَ يَكُونُ فِي وَسَطِ غَنَمِهِ الْمُشَتَّتَةِ، هَكَذَا **أَفْتَقِدُ غَنَمِي** وَأُخَلِّصُهَا مِنْ جَمِيعِ الأَمَاكِنِ الَّتِي تَشَتَّتَتْ إِلَيْهَا... **وَأَطْلُبُ الضَّالَّ، وَأَسْتَرِدُّ الْمَطْرُودَ، وَأَجْبِرُ الْكَسِيرَ، وَأَعْصِبُ الْجَرِيحَ...**" حز٣٤: ١٢، ١٦

"وَكَانَ يَسُوعُ **يَطُوفُ الْمُدُنَ كُلَّهَا وَالْقُرَى** يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهَا، وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ..." مت٩: ٣٥

"فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّهُ **يَنْبَغِي لِي أَنْ أُبَشِّرَ الْمُدُنَ الأُخَرَ أَيْضاً** بِمَلَكُوتِ اللهِ، لأَنِّي لِهَذَا قَدْ أُرْسِلْتُ" لو٤: ٤٣

"...إِنْ كَانَ لإِنْسَانٍ مِئَةُ خَرُوفٍ، وَضَلَّ وَاحِدٌ مِنْهَا، أَفَلاَ **يَتْرُكُ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ عَلَى الْجِبَالِ وَيَذْهَبُ يَطْلُبُ الضَّالَّ**؟" لو١٨: ١٢

"...الَّذِي **جَالَ يَصْنَعُ خَيْراً وَيَشْفِي** جَمِيعَ الْمُتَسَلِّطِ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ لأَنَّ اللهَ كَانَ مَعَهُ" أع١٠: ٣٨

هـ ـ غير مُشتهٍ لِشَيءٍ مِمَّا لِأحدٍ من رَعِيَّته (مُثل: إبراهيم أبي الآباء ـ صموئيل النبي ـ بولس الرسول):

"فَقَالَ أَبْرَامُ لِمَلِكِ سَدُومَ: رَفَعْتُ يَدِي إِلَى الرَّبِّ الإِلَهِ الْعَلِيِّ مَالِكِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ **لاَ آخُذَنَّ لاَ خَيْطاً وَلاَ شِرَاكَ نَعْلٍ وَلاَ مِنْ كُلِّ مَا هُوَ لَكَ** فَلاَ تَقُولُ: أَنَا أَغْنَيْتُ أَبْرَامَ" تك١٤: ٢٢، ٢٣

"هَئَنَذَا فَاشْهَدُوا عَلَيَّ قُدَّامَ الرَّبِّ وَقُدَّامَ مَسِيحِهِ: **ثَوْرَ مَنْ أَخَذْتُ، وَحِمَارَ مَنْ أَخَذْتُ**، وَمَنْ ظَلَمْتُ، وَمَنْ سَحَقْتُ، **وَمِنْ يَدِ مَنْ أَخَذْتُ فِدْيَةً** لِأُغْضِيَ عَيْنَيَّ عَنْهُ، فَأَرُدَّ لَكُمْ؟" ١صم١٢: ٣

"**هَلْ طَمِعْتُ فِيكُمْ** بِأَحَدٍ مِنَ الَّذِينَ أَرْسَلْتُهُمْ إِلَيْكُمْ؟" ٢كو١٢: ١٧، "فِضَّةَ **أَوْ ذَهَبَ أَوْ لِبَاسَ أَحَدٍ لَمْ أَشْتَهِ**. أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ **حَاجَاتِي وَحَاجَاتِ الَّذِينَ مَعِي خَدَمَتْهَا هَاتَانِ الْيَدَانِ**" أع٢٠: ٣٣، ٣٤

و ـ صديقٌ للسمائيين:

ألا نَصارِح أنفسنا بأنه قد شَحَّت الاتصالات الروحية بيننا وبين السمائيين، وما عُدنا نشعُر بِمُعاوَنتهم لنا؟.. بالرُّغم من أنهم بِالفِعل يُحيطون بنا ويُقدِّمون لنا المُعاوَنة.

فَحِينما رأى خادمُ رجل الله أليشع جيشَ الأراميين مُحيطاً بِهِما، "خَيْلاً وَمَرْكَبَاتٍ وَجَيْشاً ثَقِيلاً" (٢مل٦: ١٤)؛ اضطَرَب، لكن صديق السمائيين أليشع النبي طَمأَنَه: "فَقَالَ: لاَ تَخَفْ، لأَنَّ **الَّذِينَ مَعَنَا أَكْثَرُ** مِنَ الَّذِينَ مَعَهُمْ. وَصَلَّى أَلِيشَعُ وَقَالَ: يَا رَبُّ، افْتَحْ عَيْنَيْهِ فَيُبْصِرَ. فَفَتَحَ الرَّبُّ عَيْنَيِ الْغُلاَمِ فَأَبْصَرَ، وَإِذَا **الْجَبَلُ مَمْلُوءٌ خَيْلاً وَمَرْكَبَاتِ نَارٍ** حَوْلَ أَلِيشَعَ" ٢مل٦: ١٦، ١٧

وتُذَكِّرنا بهذا أيضاً وتُؤكِّده لنا كلمةُ الله في العَهد الجديد:

"لِذلِكَ نَحْنُ أَيْضًا إِذْ **لَنَا سَحَابَةٌ مِنَ الشُّهُودِ مِقْدَارُ هذِهِ مُحِيطَةٌ بِنَا**، لِنَطْرَحْ كُلَّ ثِقْل، وَالْخَطِيَّةَ الْمُحِيطَةَ بِنَا بِسُهُولَةٍ، وَلْنُحَاضِرْ بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا" عب١٢: ١

فإن ما لِنَفعِنا وخلاصنا هو لِنَفعِهم أيضاً، لأن إكمالَهم لا يتِم إلَّا بِإكمالِنا:

"فَهؤُلاَءِ كُلُّهُمْ، مَشْهُودًا لَهُمْ بِالإِيمَانِ، لَمْ يَنَالُوا الْمَوْعِدَ، إِذْ سَبَقَ اللهُ فَنَظَرَ لَنَا شَيْئًا أَفْضَلَ، **لِكَيْ لاَ يُكْمَلُوا بِدُونِنَا**" عب١١: ٣٩، ٤٠

"فَأُعْطُوا كُلُّ وَاحِدٍ ثِيَابًا بِيضًا، وَقِيلَ لَهُمْ أَنْ يَسْتَرِيحُوا زَمَانًا يَسِيرًا أَيْضًا **حَتَّى يَكْمَلَ الْعَبِيدُ رُفَقَاؤُهُمْ**، وَإِخْوَتُهُمْ أَيْضًا، الْعَتِيدُونَ أَنْ يُقْتَلُوا مِثْلَهُمْ" رؤ٦: ١١

ز ـ وَدودٌ مع الرؤساء ومع الشُّرَكاء في الخدمة، بِالفِعل وبِالقَول:

في هذا قال القديس الشهيد إغناطيوس:

[لَيتَه لا يصنع أحدٌ شيئاً يَخص الكنيسة بدون اِستِشارة الأسقف، **إخضَعوا للأسقف، وليَخضَع كلٌ منكم للآخَر خضوع المسيح للآب** وخضوع الرسل للآب والابن والروح القدس، **حتى تكون بينكم وَحدة بحَسب الجسد والروح**][(١)].

ومن كتاب "الكاهن القبطي":

[**فلا شيء يُمجِّد اسم الله قَدر وجود محبة حقيقية بين شُركاء الكهنوت**، وخِبرة الأيام تؤكِّد أنه لم توجد محبة حقيقية لم تمُر بأزمات وخِلافات وجهات نظر، لكن بالوداعة والصبر وعدم التَّجريح يمكن عِلاجها بل والخروج منها **بحُب أقوى وأمتَن وأكثر اِستِقامة وثباتاً**][(٢)].

ح ـ لا يَفرح بِإسناد مسئوليات إضافية إليه:

"الْوَكِيلُ الأَمِينُ الْحَكِيمُ" لا يفرح بِإسناد حِمْلٍ رعويٍّ إضافيٍّ إلى مسئولياته، حتى يَحصُل بواسطته على اختِصاصٍ أشمَل وسُلطَةٍ أوسَع مَجالاً. بل "يَجْلِسُ أَوَّلاً وَيَحْسِبُ النَّفَقَةَ، هَلْ عِنْدَهُ مَا يَلْزَمُ لِكَمَالِهِ؟"، هل عنده الطاقة والإمكانية والوقت اللازِمين لِتَكميله أمانته من نحو مسئولياته الحالية ومسئوليته الجديدة معاً؟.. إنه بِالحَريّ يَمتَنُّ إذا أعانَه راعٍ آخَر بِتَحَمُّل واحدة أو أكثر من مسئولياته، لكي يمكِنه أن (يتنفس) بِطَبيعيَّة بعد إعفائه من عِبءٍ كان مُستَميتاً في البَرِّ به، لأنه كان سَيُحاسَب عنه، أو لكي يُحَوِّل طاقته أو إمكانيته أو وقته لِحساب مسئولياته الجِسام الباقية.

وماذا أيضاً من صفات الراعي الحقيقي؟ المِصداقِية ـ الإيجابية ـ الانقِياد بِالروح...

---

(١) القس تادرس يعقوب: "الحب الرعوي"، ديسمبر ١٩٦٥، صفحة ٧٨٦.

(٢) المتنيح الأنبا يمن والقمص يوسف أسعد: "الكاهن القبطي"، صفحة ١٩٧.

٣٦ـ الراعي بين الأُبُوَّة الحانِيَة والقيادة الحازِمة..

أُبُوَّة وحُنُو الراعي فَيشتمِلان على: الحب، الاتضاع، وطُول الأناة على ضعفات الرعِية... ويتضمَّنان: السهر على خدمة الرعِية، النُّصح، والسَّتر على الخطايا الفردية...

وأمَّا قيادة وإدارة الراعي فَيشتمِلان على: التخطيط، التنظيم، التوجيه، والمتابعة... ويتضمَّنان: الحَزم، التوبيخ، والتأديب...

الأب الحاني يجب أن يكون قائداً حازِماً أيضاً، والقائد الحازِم يجب أن يكون أباً حانِياً أيضاً. فهل يُدلِّل أبٌ اِبنه حتى يُفَشِّله؟ أو يَقسو عليه حتى يَكسِره؟! (كان أبٌ لجماعةٍ رهبانية متشدداً بدرجةٍ بالغة، فكانت النتيجة عِصيان وتمرد بعضهم. وأبٌ آخَر مُتغاضِياً بدرجةٍ بالغة أيضاً، فكانت النتيجة انحراف وفساد بعضهم).

وفي الواقع يجب الاعتراف بِالصُعوبة البالِغة التي يُكابِدها الراعي ذو العمل الإداري، حتى يظل مُحتفِظاً بأُبُوَّته ويَثبُت على اتِّضاعه، ولا يُصاب بِروح الرئاسة أو التسلُّط، ذلك الذي يَنشَط في أوساط الرئاسة أو السُّلطَة، لأن العمل الرعَوي الإداري في كنيسة المسيح، لا يمكن بِحالٍ أن يُرضي "**أَحْشَاءِ رَحْمَةِ إِلَهِنَا**" إلَّا لو كان نابِعاً من روح الأُبُوَّة والاتضاع ومُتشبِّعاً بهما.

ففي تَعامُلاته وفي إدارته، في حِفظه للإيمان وحِفظه للنظام؛ عَليه أن يحكُم بِروح الوداعة ويؤدِّب بِروح الأُبُوَّة: "**مُؤَدِّباً بِالْوَدَاعَةِ** الْمُقَاوِمِينَ، عَسَى أَنْ يُعْطِيَهُمُ اللهُ تَوْبَةً لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ، فَيَسْتَفِيقُوا مِنْ فَخِّ إِبْلِيسَ إِذْ قَدِ اقْتَنَصَهُمْ لإِرَادَتِهِ" (٢تي٢: ٢٥، ٢٦)، ولسان حاله يقول: "**يَارَبُّ لَمْ يَرْتَفِعْ قَلْبِي وَلَمْ تَسْتَعْلِ عَيْنَايَ**" (مز١٣١: ١).

هناك أمرٌ آخَر يواجهه الراعي؛ وهو أن البعض من أفراد الرعية يتعاملون معه على أنه جُعِلَ ليكون (مَنفَذاً اِستهلاكياً) يحصلون منه بِالضرورة على ما يَسُد احتياجاتهم، الروحية منها والزمنية، وفي أي وقتٍ يطلبونه مَفروضٌ عليه أن يُجيبهم، مُعتبِرين أن هذا حقٌ مُكتسَب ومَشروع. وفي هذا يكون رد فعل الراعي الحديث العهد بالعمل الرعوي؛ أنه يَرفَض لهذا الأسلوب، لكنه بعد فترة

يتحول إلى استخدام أسلوب التعامل (بحكومة)، وقد يتطور إلى (الدكتاتورية)، كَرَد فعلٍ دِفاعي، أو وِقائي، مقابل أسلوبهم هذا. فلا يكُن الراعي صارماً في تعامُلاته مع رعيته أو في أحكامه عليهم. لأن تَعاملات الله في حياة كل واحدٍ منهم، وكذا ظروف كل واحدٍ منهم؛ ليست واحدة، وأحياناً تبدو عجيبة!.. "لأَنَّ الإِنْسَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْعَيْنَيْنِ، **وَأَمَّا الرَّبُّ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ**" (١صم١٦: ٧).

اذكر أنه لو تَعامل الله معنا بالميزان ما خلص مِنَّا أحدٌ. لهذا إن صادفتَ أحداً قد تَصَرَّف ليس حسب (الأعراف) المرسومة؛ فاستمع إليه وتَفَهَّم في أمره وتَحَقَّق من نِيَّته، وإن وجدتَ أنه يُعوِزه صلاحٌ فَقَوِّمه بحسب أدوات الطبيب.

لِذا فإن دُعِي أحدٌ لِعملٍ رعوي؛ فَليَستَعفِ منه أولاً إلى أن يتحقق من إلهِيَّة الدعوة. فإن كان الأمر من قِبل الله وسمع دعوة الرب له: "**ارْعَ خِرَافِي... ارْعَ غَنَمِي... ارْعَ غَنَمِي**" (يو٢١: ١٥-١٨) - وردت عبارة "ارْعَ غَنَمِي" في الأصل اليوناني: "Βόσκε τὰ πρόβατά μου"، وفي الترجمات الإنجليزية (K.J.V.)، (N.I.V.): "Feed my sheep"، بمعنى: "أطعِم غَنَمي" - فَليَعلم أنه قد نَصَبَ نفسَه ذبيحةً تُنفَق من أجل الرب دائماً. لماذا؟ لأن أعباء الخدمة أثقل بكثير مما يُدرك وأخطر بكثير مما يتوقع. لهذا صرخ موسى، وهو مَدعُوُّ الله، مُقدِّراً المسئولية: "لاَ أَقْدِرُ أَنَا وَحْدِي أَنْ أَحْمِلَ جَمِيعَ هذَا الشَّعْبِ لأَنَّهُ ثَقِيلٌ عَلَيَّ" (عد١١: ١٤). فَضلاً عن هذا فإننا نعيش في زمن صعب، قد أنبأنا عنه سابِقاً رُسُل ربنا يسوع المسيح، بولس وبطرس ويهوذا:

"وَلَكِنِ اِعْلَمْ هَذَا أَنَّهُ **فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ سَتَأْتِي أَزْمِنَةٌ صَعْبَةٌ**، لأَنَّ النَّاسَ يَكُونُونَ مُحِبِّينَ لأَنْفُسِهِمْ، مُحِبِّينَ لِلْمَالِ، مُتَعَظِّمِينَ، مُسْتَكْبِرِينَ، مُجَدِّفِينَ، غَيْرَ طَائِعِينَ لِوَالِدِيهِمْ، غَيْرَ شَاكِرِينَ، دَنِسِينَ، بِلاَ حُنُوٍّ، بِلاَ رِضىً، ثَالِبِينَ، عَدِيمِي النَّزَاهَةِ، شَرِسِينَ، غَيْرَ مُحِبِّينَ لِلصَّلاَحِ، خَائِنِينَ، مُقْتَحِمِينَ، مُتَصَلِّفِينَ، مُحِبِّينَ لِلَّذَّاتِ دُونَ مَحَبَّةٍ لِلَّهِ، لَهُمْ صُورَةُ التَّقْوَى وَلَكِنَّهُمْ مُنْكِرُونَ قُوَّتَهَا. فَأَعْرِضْ عَنْ هَؤُلاَءِ" ٢تي٣: ١-٦

"عَالِمِينَ هَذَا أَوَّلاً: أَنَّهُ **سَيَأْتِي فِي آخِرِ الأَيَّامِ** قَوْمٌ مُسْتَهْزِئُونَ، سَالِكِينَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ" ٢بط٣: ٣

"فَإِنَّهُمْ قَالُوا لَكُمْ إِنَّهُ **فِي الزَّمَانِ الأَخِيرِ** سَيَكُونُ قَوْمٌ مُسْتَهْزِئُونَ، سَالِكِينَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ فُجُورِهِمْ. هَؤُلاَءِ هُمُ الْمُعْتَزِلُونَ بِأَنْفُسِهِمْ، نَفْسَانِيُّونَ لاَ رُوحَ لَهُمْ" يه: ١٨، ١٩

فليَكن المَثَل الأعلَى للراعي، في التوازُن في الشخصية الرعوية؛ هو "رَاعِيَ الْخِرَافِ الْعَظِيمَ"، "رَئِيسُ الرُّعَاةِ" ربنا يسوع المسيح. ففيما كان وديعاً لم يَكُن ساذِجاً، وفيما كان حازِماً لم يَكُن قاسِياً. وفيما كان مُتباسِطاً كان مَرهوباً، وفيما كان مُنذِراً كان مَحبوباً..

عن هذا التوازُن في الشخصية الرعوية لدى الراعي؛ كتب القديس يوحنا ذهبي الفم:

[ينبغي أن يكون **عزيز النفس في غير كبرياء، حازِماً لكنه رحيم، إدارِياً بغَير دكتاتورية، مُنصِفاً بغَير مُجامَلة، متواضعاً في غير خنوع، صارِماً ورقيقاً معاً**][1].

والأب يوحنا الدَّرَجي:

[**لا يضعنَّ الرئيس ذاته كل حين بِغَباوة ولا يرفعنَّ ذاته دوماً بِحَماقة**، بل فَليَنظر إلى بولس سالكاً تارةً هذا المَسلك وتارةً ذاك (٢كو١١: ١٢)][2].



[1] القديس يوحنا ذهبي الفم: "الكهنوت المسيحي"، صفحة ٧٩.

[2] الأب يوحنا السُّلَّمي: "السُّلَّم إلى الله (رسالة إلى الراعي)"، صفحة ٢٨٢.

٣٧ـ هذه مخاطر تهدد الراعي:

السُّلطان، توفُّر الإمكانيات، تدليل الجسد، وتقديم الناس إيَّاه للمكان الأول وللمكانة الأولى..

لأنها قد تؤدي به إلى: المجد الباطل، برودة القلب، الفتور الروحي، هَجر التوبة، نسيان الغُربة، التكاسل في الجهاد والاستعداد الروحي الشخصي، تَقَسِّي المشاعر، تَبَلُّد الضمير، الاعتِداد بالذات، الاستِعلاء، اِستيقاظ الأوجاع، ومحاباة الوجوه..

عن كتاب "الكاهن القبطي" أيضاً:

[**نتيجة للسُّلطان الكهنوتي وتنفيذ الأوامر ومَدح الرعية على حُسن تصرُّفه**.. يُصاب وهو مُحاطٌ بِمظاهر التكريم في الخارج بِقلبٍ خالٍ من الحق المتواضع.. يجعله يظُن أن أفراد الرعية أقَل شأناً منه وغير مُساوِين له حسب الطقس والنظام الطبيعي، مُعتقداً أنه من (السوبر) أو أنه يمتاز بِميزات عن أولئك الذين يتقدمهم بِحُكم مَركزه الديني، وأنه الأكثر حكمة من جميع الناس لأنه يَفوقُهم في السُّلطان... **وهكذا ترتفع نفسه في عَينَيه**، ويَنسَى أنه إذا ظَنَّ في نفسه أنه عظيم كان في ذات الوقت حقيراً وصغيراً عند **الله، الذي يتخلَّى عنه، ويتركه لِذاته لا لِنعمته**][(١)].

وإلى جانب خطر أن تَكبُر نفسه في عَينَيه؛ فهناك خطر آخَر وهو مُساوَمته مع المَبادئ:

[**فالتفاوُض مع المَبادئ أو الثوابِت هو بداية السقوط**، الذي يَرفضه الكاهن التَّقي مُفَضِّلاً عنه مَذلَّة قيود الإنجيل عن حرية الشر!][(٢)].

[فاللحظات التي يرجع فيها إلى الوَراء: في العاطفة، في القرار، في المال، في الطاعة، في السهر، في الاحتمال، في المُعاشَرات والصَّداقات، وفي كل ما يختص بمبادئ الملكوت ـ **يعني رجوعاً عن الروحيات إلى الجسديات، ومن الجسد يَحصُد الفساد**][(٣)].

---

(١) المتنيح الأنبا يمن والقمص يوسف أسعد: "الكاهن القبطي"، صفحة ٢٥٩.

(٢) المرجع السابق: صفحة ١٨٦.

(٣) المرجع السابق: صفحة ١٢.

وكان قد كتب القديس يوحنا ذهبي الفم:

[وأوَّل هذه المَصاعِب هى **صخرة المجد الباطل الخطيرة**، التي تعيش فيها حيوانات مُفترِسة كثيرة، قادرة على أن تُمزِّق حياة الإنسان يوماً بعد يوم. هذه **الحيوانات المُفترِسة التي تتربَّى على المجد الباطل هى:** الغضب، واليأس، والحسد، والخِصام، والنميمة، والإدانة، والكذب، والرياء، والدَّسيسة، والغضب دون وجه حق، والفرح بأخطاء الزملاء، والحُزن لنجاحهم، وحُب المَديح، وشهوة الكرامة التي - في الواقع أكثر من غيرها - تقود النفس البشرية للهلاك، والفتاوَى الغاشَّة لإرضاء النَّزَوات، واحتِقار الفقراء، وتملُّق الأغنياء وخوف العبيد، والبُعد عن صَراحة الرأي، ومُجافاة الحق، والاتضاع المُصطَنَع، والامتناع عن التبكيت والتوبيخ، أو بالحَري اِستعمالها بشدة مع الفقراء في حين السكوت الكُلّي مع ذَوي السُّلطان... **كل هذه الوحوش وغيرها ترعَى فوق صخرة حُب المَديح، وَوَيلٌ لمَن يسقط فيها فإنه يُستعبَد لها حتى يفعل ما لا يليق**][1].

مسكينٌ الراعي! يراه الناس مُبجَّلاً مُعظَّماً ولا أحد يشعر بمُعاناته الروحية غير راعي الرعاة. لأنه كان عليه أولاً أن يرعى نفسه وأما الآن - وفوق هذا - فهو راعٍ للآلاف.

فما الحل لِرَدء ذلك المجد الباطل؟! لَعَلَه هو هذا التدبير: أن يُحدِّد الراعي وقتاً يومياً، فيه يُسرِع إلى قَلايته، ويُغلِق بابَه وتليفوناتِه، يكشِف رأسه، يَخلع حُلَّتَه، يَلبَس مِسْحاً أو ثِياباً ذَرِيَّة، يَفتَرِش الأرض (فهكذا فعل الأقدَمون: إش٥٨: ٥؛ با٤: ٢٠؛ دا ٩: ٣؛ يؤ١: ١٣؛ يون٣: ٦؛ رؤ١١: ٣)، يَطرَح نفسه أمام الله ويَبكي له، يَذكُر أمامه ضَعفَه ويعترف له بضَعفاته، ويطلب منه الحِفظ والمعونة.. بِكُل هذا يَحفظ قلبه ويتحصَّن مقابل المجد الباطل.

إن الراعي المُتضع هو الذي يستطيع في أي وقت أن يقول: "أخطأت"، "أنا آسِف".. وبهذه الطريقة ينصح الأبُ يوحنا الدَّرَجي الراعي:

[**أذكر في كلامك دائماً أنك تُخطِئ** بما يُخطِئ به الآخَرون، وهكذا لن يُعوِزك يوماً اِتِّضاعٌ عظيم][2].

---

[1] القديس يوحنا ذهبي الفم: "الكهنوت المسيحي"، صفحة ٦١.

[2] الأب يوحنا السُّلَّمي: "السُّلَّم إلى الله (رسالة إلى الراعي)"، صفحة ٢٨٠.

٣٨ـ لِمَ العَجَلة؟!

لكثرة مسئوليات ومهام وأعمال الذين هُم في موضع مسئولية وقيادة؛ يتكون لَدَى كثيرٍ منهم تَوَجُّه سلوكي ليس من طبيعة روح الرب، الروح الوديع الهادئ والحليم، وهو أنه يربط طريقة مباشَرته لأعماله وتصرُّفاته، لا بِعامل الروح، بل بِعامل الزمن، فيظهر دائماً أنه (مِستعجِل)!

للعجلة مَضارٌ كثيرة للمَرء فَكَم بالحري للراعي.. منها أنه:

١ـ لا يستطيع أن يكون في حالة صلاة وهو في هذه الحالة.

٢ـ لا يكون مُستمعاً جيداً لمُحَدِّثه، ولا يمَكِّن مُحَدِّثَه من التعبير عن مُراده حسناً.

٣ـ يكون أكثر عُرضة للوقوع في أخطاء، سَهواً أو عَمداً...

فهل سَتَكون اِهتمامات الراعي أكثر أو أكبر من اهتمامات "رَئِيسُ الرُّعَاةِ"؟! إنه كان وديعاً هادئاً رزيناً: في تفكيره، في تصرُّفاته، في كلامه، وفي أعماله.. إن أمهَر القادة هُم الذين يمكنهم أن يحتفظوا بِهدوئهم أثناء كافَّة أعمالهم وتعامُلاتهم، بل وإزاء مُواجَهاتهم للمَتاعِب.. الراعي الروحاني هو المَقود بِروح الرب، روح الوَداعة والحِلم. لِذا فَليَكُن في حركاته وتَحَرُّكاته هادئاً مُتَّزِناً. وليَقُم بمَهامِّه قَدر ما يمكنه، وما لا يمكنه إتمامه الآن يمكنه القيام به لاحِقاً، وقد يجد أن الرب قد تَمَّمَه له فِعلاً.

وماذا يُقال عن العَجَلة في صلوات القُداس والليتورجيات؟! أقول هذا وبِداخلي حُزنٌ غائِرٌ. فقد صارت المُمارسات الطقسية لَدَى بعض الكهنة والرهبان كمِثل فَرائِض ناموسية ثقيلة يُريدون الإنتهاء من إتمامها، وكأنه وَباءٌ إنتشر وأصاب مُسَبِّحي الله.. وأكثر ما يُؤرِّقني هو أن كلاً من أولئك لا يُقَدِّر أنه ماثِلٌ أمام مذبح رب الجنود: **"حَيٌّ هُوَ رَبُّ الْجُنُودِ الَّذِي أَنَا وَاقِفٌ أَمَامَهُ"** (١مل١٨: ١٥؛ ٢مل٣: ١٤). فإن كانت رَهبَة خدمة رب الجنود في العَهد الأول هكذا؛ فَكَم تكون رَهبَة وقُدُسِيَّة كهنوت ومذبح وأقداس الرب المسيح الذَّبيح في العَهد الجديد!!.. إن الذي يقرأ جريدة يقرأها بِفَهم، والذي يَتلو نشرة الأخبار للمُستمعين يَتلوها بِاحترام؛ أفالذي يقوم مَقام المسيح على المذبح يُبيح لِنَفسه أن تتقاذَف من فمه كلمات الصلوات هكذا؟!!

٣٩ـ "كَنِيسَةً مَجِيدَةً، لاَ دَنَسَ فِيهَا وَلاَ غَضْنَ"..

إن الاضطهاد الذي تُعانيه الكنيسة المقدسة اليوم؛ ليس هو بالدرجة الأولى اضطهاداً دموياً كَسالِف عصورها ـ وإن كان لا يخلو عصرٌ تتكلَّف فيه الكنيسة شهداءَ ـ ولكنه اضطهادٌ مَعنَوِي، بأشكالٍ مُتنوعة، مثل: الهَرطقة ـ الإباحية ـ الفساد ـ العُنف...

ويمكن تصنيف هذا الاضطهاد إلى نَوعَين: اضطهادٌ فِكري، واضطهادٌ أخلاقي.

أولاً؛ الاضطهاد الفِكري:

١ـ مُخادَعة العقول السَّاذِجة بأفكارٍ خاطئة.

٢ـ مُحاورة العقول الناضِجة بحكمة سُفُسطائية (صار اِسم السُّفُسطائية الآن رمزاً للحُجة المَغلوطة).

٣ـ اِستغلال فُرصة الجَدب العقلي لَدَى العُموم من جهة العقائد الإيمانية ومن جهة المَعارِف الإيجابية، لِبَث اِعتقاداتٍ مُضادة للحق وللحقائق.

٤ـ الإعلام المُوَجَّه: دينياً ـ سياسياً ـ اِجتماعياً.

٥ـ قِلَّة زُعَماء التنوير والتَّوعِية من المجتمعات الصغيرة أو الفقيرة أو المُنغلِقة.

٦ـ مُحارَبة قادةُ التضليل لِرُوَّاد الإصلاح، بالتهديد أو بالإيذاء.

٧ـ سَواد عُرف القوة على مبادئ النُظُم والمرجعية والتوجيه.

ثانياً؛ الاضطهاد الأخلاقي:

١ـ قُرب أدوات الخطية، ورِخَص ثمنها.

٢ـ تَدَفُّق تيار الانحلال الأخلاقي.

٣ـ تَوَفُّر عُروض الإباحية إعلاميًّا.

٤ـ مُجاذبة أطراف غريزة الجنس لَدَى الأفراد، لِتَسهيل إسقاط بِنائهم الروحي والإنساني.

٥ـ إستخدام مِصيَدة غريزة الاستكشاف لَدَى الأفراد: "إعرف ـ إختبِر ـ جَرِّب"، وكذا خِدعة الحرية الشخصية، إحتِيالاً: "أُرفُض عندما تشاء"، لِإكسابهم سلوكاً منحرفاً لا يتمكنون من الإقلاع عنه فيما بعد بسهولة.

٦ـ عثرة إنهيار نماذج أو رموز للقامة وللقُدوَة.

٧ـ قِلَّة رموز الأخلاق والفضيلة من المجتمعات الصغيرة أو الفقيرة أو المُنغلقة.

٨ـ إستغلال فرص الفقر الروحي، أو الأحباط النفسية لَدَى العُموم، نتيجة الضغوط الاجتماعية والاقتصاية، لتقديم وسائل تَعزية وَهمية ضارة.

لِذا؛ فَليَحفظ الراعي مجال حَقلِه، أقصِد ألَّا يجعل الكنيسة مُنفتحة على الخُطاة غير التائبين أو المؤمنين الأشرار بلا ضابط ولا محدِّد. ولَإن تَسَاهَل مع المُنحرِف وتَغَاضَى عن بعض سُلوكِيَّاته فلا يتنازل عن تَوبَته.

صحيحٌ أن الكنيسة هى مستشفى الخُطاة؛ لكن الخُطاة الذين في التوبة لا الخُطاة العُصاة، الخُطاة الممتثِلين لأدوِيَتِها الخاضِعين لتأديبها لا المُعانِدين المُقاوِمين، **"لأَنَّهُ أَيَّةُ خِلْطَةٍ لِلْبِرِّ وَالإِثْمِ؟ وَأَيَّةُ شَرِكَةٍ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ؟!"** (٢كو٦: ١٤). فما الذي يُميِّز "بَيْتِ اللهِ، الَّذِي هُوَ **كَنِيسَةُ اللهِ الْحَيِّ**"، المجتمع الروحي للمؤمنين، عن سائر مجتمعات الدُّنيا؛ إلَّا بِكَونه "عَمُودُ **الْحَقِّ** وَقَاعِدَتُهُ" (١تي٣: ١٥)؟! وإلَّا؛ فكيف تكون الكنيسةُ بعدُ كنيسةً؟!

لِيَذكُر الراعي مَثَل السيد المسيح، عن الملك الذي أرسل عبيده **لِيَدعوا الجميع** إلى عُرس إبنه، قائلاً: "فَاذْهَبُوا إِلَى مَفَارِقِ الطُّرُقِ، **وَكُلُّ مَنْ وَجَدْتُمُوهُ فَادْعُوهُ إِلَى الْعُرْسِ**. فَخَرَجَ أُولَئِكَ الْعَبِيدُ إِلَى الطُّرُقِ، وَجَمَعُوا كُلَّ الَّذِينَ وَجَدُوهُمْ **أَشْرَاراً وَصَالِحِينَ**"، لكنه لمَّا "رَأَى هُنَاكَ إِنْسَاناً **لَمْ يَكُنْ لاَبِساً لِبَاسَ الْعُرْسِ**"؛ أمَر خُدَّامه قائلاً: "اِرْبُطُوا رِجْلَيْهِ وَيَدَيْهِ، وَخُذُوهُ **وَاطْرَحُوهُ فِي الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ**" (مت٢٢: ١ـ ١٥)، وما هو "لِبَاسَ الْعُرْسِ" غَير **التوبة**.

ولِيَذكُر الراعي تعليم الكتاب:

"اَلَّذِينَ يُخْطِئُونَ وَبِّخْهُمْ أَمَامَ الْجَمِيعِ، **لِكَيْ يَكُونَ عِنْدَ الْبَاقِينَ خَوْفٌ**" ١تي٥: ٢٠

وقد رتَّبت الكنيسة المقدسة وضع العِظة التالية للأنبا شنودة رئيس المتوحدين، مرتَين، في أيام البصخة المقدسة، يَتلوها الراعي على شعبه، هذا نَصُّها:

[قد توجد أعمال نَخالُها أنها صالحة ولكنها رديئة عند الله، وذلك أننا **نرى مَن يُخطئ في المواضع المقدسة ويصبر عليه، وهذا ما يجعله يتمادَى في الشر**. لأن الرب لم يغرِس في الفردوس الأشجار الصالحة وغير الصالحة، بل غَرَسه من الأشجار الصالحة فقط، ولم يجعل فيه أشجاراً غير مثمرة ولا بها ثمرٌ رديء. وليس هذا فقط، بل والإنسان نفسه الذي جعله فيه، عندما خالَف لم يُهمِل أمره بل أخرجَه منه.

فمِن هذا اِعلموا أيها الأخوة الأحباء أنه **لا يجب أن تكون بيوت الله المقدسة مَلأى من الناس الأشرار والصالحين كما في العالم المملوء من الخطاة والظالمين والقديسين والأنجاس**، بل يجب علينا أن نقول لكل مَن نَراه يسلك بغير ترتيب في بيت الله.

أنا أعرف أن الأرض كلها هى للرب، **فإذا كُنا نجعل بيته كباقي الأرض، فما هى الميزة إذاً له عن غيره؟!** فإن كنت وأنا الكاهن أعمل الشر كما يفعله الأشرار على الأرض؛ فلا يَحِق لي أن أُدعَى كاهناً، لأنه مِراراً كثيرة نُخطئ ولا نعرف كيف نَدين أنفسنا بما نقول. لأنه لا يتجرَّأ أحد أن يملأ بيتك قذارة إلَّا إذا رأى مِنك التهاون، ولا حُجَّاب الملك يتجرَّأون أن يَدخلوا بكل إنسان إلى بيته من الحافِظين مَراسيمه والمخالفين لها إلَّا بأمره، ومتى عمِلوا بخلاف ذلك يُعاقَبون][1].

كتب القديس يوحنا ذهبي الفم:

[هكذا حال الكنيسة **إذا احتضنَت الأشرار**، فإن سلامها يتبدد لِيَحل محله الشر والهَوان][2].

وكتب الأب يوحنا الدَّرَجي:

---

[1] يوم الإثنين ويوم الخميس.

[2] القديس يوحنا ذهبي الفم: "الكهنوت المسيحي"، صفحة ٧٩.

[وَرِّث أبناءك قبل كل شيء **إيماناً خالصاً وعقيدة سليمة**، وهكذا تقود إلى الرب في طريق إستقامة الرأي ليس فقط أبناءك بل أبناء أبنائك][1].

[**لنسمع قول الكتاب عن بعضهم:** إقطَعه لماذا يُعطِّل الأرض أيضاً (لو١٣: ٧)، و: إعزِلوا الخبيث من بينكم (١كو٥: ١٣)، و: لا تُصَلِّ عن هذا الشعب (إر٧: ١٦)، وقوله أيضاً عن شاول (١صم١٦: ١). **فيَقتضي على الراعي أن يعرف على مَن يُطَبِّق هذه الأقوال وكيف ومتى**، إذ ليس أصدَق من الله][2].

إن وجد الراعي وسط قطيعه خروفاً أجرَب أفَلَا يُفرِزه وحده إلى أن يكتمل عِلاجه حتى لا يُصيب الآخَرين؟!.. لِيَشترك الراعي في العمل مع المسيح رب الكنيسة الذي أحَبَّ "الْكَنِيسَةَ **وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا**، لِكَيْ يُقَدِّسَهَا، مُطَهِّراً إِيَّاهَا بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ" (أف٥: ٢٥، ٢٦)، وهو يُعِدُّها الآن، حتى في مجيئه الثاني "يُحْضِرَهَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَجِيدَةً، **لاَ دَنَسَ فِيهَا وَلاَ غَضْنَ** أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ، بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً **وَبِلاَ عَيْبٍ**" (أف٥: ٢٧).

أن تكون الكنيسة مَضغوطة من الخارج فهذا أمرٌ صِحي ويُحوِّله الرب لِنَفعها، أمَّا أن يَدِب في جِسمها الضعف ويَستَشري في أعضائها العَطَب فهذا يعرف ويقتَدِر جيداً أن يُعالجه. يمكن أن يكون جسد المسيح ـ الكنيسة ـ مُجَرَّحاً، لكن لا يمكن بِحالٍ أن يكون جزءٌ منه فاسِداً!

نَبِّه نِساء شعبك إلى الإقلاع عن تلك العادة الوثنية الذَّميمة، وهى (الزغاريد) المُضادة لِمخافة بيت الله. وكذلك عن (الملابس الخَليعة) في المناسبات. نَبِّه ولا تَمَل من التنبيه أن يَسلُكن "كَمَا يَلِيقُ بِنِسَاءٍ مُتَعَاهِدَاتٍ بِتَقْوَى اللهِ بِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ" (١تي٢: ١٠)، لا بِعادات نِساء "**بَعْضَهُنَّ قَدِ انْحَرَفْنَ وَرَاءَ الشَّيْطَانِ**" (١تي٥: ١٥)، "**لأَنَّهُ بِسَبَبِ هذِهِ الأُمُورِ يَأْتِي غَضَبُ اللهِ عَلَى أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ**" (أف٥: ٦).

---

[1] الأب يوحنا السُّلَّمي: "السُّلَّم إلى الله (رسالة إلى الراعي)"، صفحة ٢٩٠.

[2] المرجع السابق: صفحة ٢٨١.

وأيضاً من كتاب الكاهن القبطي:

[كما يتميَّز عمل الله بالتركيز المُتعمَّد... فَفي الخير الذي صَنعَه بِالشعب المَقهور الصَّارِخ نَحوه؛ ظَلَّ يُركِّز على فرعون بِضَرباتٍ عَشر حتى أتَمَّ العبور لِشَعبه من العبودية إلى الحرية، **وعندما يُؤدِّب أو يُفني فإنه - بِتعمُّدٍ - يَفتح طاقات الغَمر أربَعين يَوماً مُتصِلة إلى أن يُهلِك مَن يريد هلاكَهم**][1].

لم يَذكُر الكتاب المقدس لِعالي الكاهن خطيةً ما، ولكن الله قد غَضِب عليه، فقط، لأنه لم يَردَع اِبنَيه حُفْني وفينَحاس (الكاهِنَين)، إلَّا بكلماتٍ ناعِمات لا تتكافأ مع مقدار جَسامَة خطاياهُما، حتى قال له الربُّ: "**تُكْرِمُ بَنِيكَ عَلَيَّ**" (١صم٢: ٢٩).

كما وقد أنذَرَ ملاك كنيسة بَرغامُس قائلاً له: "وَلَكِنْ عِنْدِي عَلَيْكَ قَلِيلٌ: أَنَّ **عِنْدَكَ هُنَاكَ قَوْماً مُتَمَسِّكِينَ بِتَعْلِيمِ بَلْعَامَ**... هَكَذَا **عِنْدَكَ أَنْتَ أَيْضاً قَوْمٌ مُتَمَسِّكُونَ بِتَعَالِيمِ النُّقُولاَوِيِّينَ** الَّذِي أُبْغِضُهُ. **فَتُبْ** وَإِلا فَإِنِّي آتِيكَ سَرِيعاً وَأُحَارِبُهُمْ بِسَيْفِ فَمِي" (رؤ٢: ١٤- ١٧)، وهكذا ملاك كنيسة ثياتيرا: "لَكِنْ عِنْدِي عَلَيْكَ قَلِيلٌ: **أَنَّكَ تُسَيِّبُ الْمَرْأَةَ إِيزَابَلَ**... **وَسَأُعْطِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ**" (رؤ٢: ٢٠- ٢٤).

لنذكُر أن الله قد غضب على البابا أرشيلاوس البطريرك الـ ١٨، **وأماتَه بعد ستة أشهُر فقط من تَولِّيه الرئاسة**، بسبب قبوله آريوس الفاسِد المُعتقَد في الشركة.. وذلك الأسقف الذي كان يُصلِّي القُدَّاس تارِكاً الشعب يُثَرثِرون، حتى **نَبَّهَه ملاك الرب إلى أن يَنهى عن التكلُّم أثناء صلاة القُدَّاس الإلهي**.

وعن أهمية تَنبيه الراعي للشعب وإنذاره إيَّاهم، دون كَلَل أو مَلَل؛ يقول الكتاب:

"أَمَّا الشُّيُوخُ الْمُدَبِّرُونَ حَسَنًا فَلْيُحْسَبُوا أَهْلاً لِكَرَامَةٍ مُضَاعَفَةٍ، **وَلاَ سِيَّمَا الَّذِينَ يَتْعَبُونَ فِي الْكَلِمَةِ وَالتَّعْلِيمِ**" ١تي٥: ١٧

[1] المتنيح الأنبا يمين والقمص يوسف أسعد: "الكاهن القبطي"، صفحة ٩.

وقد وَرَدَ بِالدسقولية ما نَصُّه:

[إذا لم تُوصُوا يا أساقفة الشعب وتشهَدوا له بِالتعليم؛ **فخطية الذين لا يَعرِفون هى عليكم**].

كما وَرَدَ في سِيرة القديس مكاريوس أسقف قاو أنه:

[رأى مرةً السيد المسيح في الهيكل والملائكة يُقدِّمون له أعمال الشعب، وسمِع صَوتاً يقول له: لا تَغفَل يا أسقف عن شعبك، لأنه **يجب على الأسقف أن يَعِظ الشعب**، فإن قَبِلوا فَلِخَيرهم وإلَّا فَدَمُهم على رؤوسهم][1].

هذا قليلٌ من كثير، من الكتاب المقدس، بِعَهدَيه، ومن تاريخ الكنيسة..

ولَعَل أيَّ ضَرَرٍ يَحدُث، إن كان على المستوى الفَردي أو على مستوى المجتمع الكَنَسِي، يكون له وَجهان: أمَّا الوَجه الأول فهو الاضطهاد الظالِم من مملكة هذا العالم، وهذا يَسمَح به الرب لِتَزكِية مُصابيه. وأمَّا الوَجه الثاني فهو التأديب العادِل من "مَلِكَ الْقِدِّيسِينَ"، وهذا يُجريه الرب لكي لا يتبقَّى لَدَى قابِليه دَينٌ ما يكون سبب دَينونة لهُم مع أهل العالم، كما هو مكتوبٌ: "وَلكِنْ إِذْ قَدْ حُكِمَ عَلَيْنَا، **نُؤَدَّبُ مِنَ الرَّبِّ لِكَيْ لاَ نُدَانَ مَعَ الْعَالَمِ**" ١كو١١: ٣٢



[1] السنكسار: اللجنة المجمعية للطقوس، مكتبة دير السيدة العذراء السريان، الجزء الأول، طبعة ثانية ٢٠١٣ (٢٧ بابة، إستشهاد القديس مكاريوس أسقف قاو) صفحة ١٥٦.

٤٠ـ هل تُشارِك الرَّعِيَّة راعيها في نتيجة بِرِّه؟ وفي نتيجة تقصيره؟

هل تتأثَّر الرَّعِيَّة بِحالة الراعي الروحية؟.. وهَل تُشارِكه في فَيض نعمة الله عليه، وبِالتالي تُشارِكه في نتيجة خطيته هو؟.. وهل الأمثلة التالية هى حالاتٌ عارِضة أم مَظاهر لِمَبدأٍ ثابت..؟

أ ـ لمَّا كان آدَمُ في الروح وفي الحَق؛ كان في سُلطانه "جَمِيعَ الْبَهَائِمِ وَطُيُورَ السَّمَاءِ وَجَمِيعَ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ" (تك٢: ٢٠). ولكن لمَّا خالَف اللهَ؛ فإن الأرض ـ التي كان هو وَكيلاً عليها من قِبَل الله ـ شاركَته نتيجة خطيته، بِقَول الله له: "مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ **بِسَبَبِكَ**" (تك٣: ١٧).

ب ـ نَسَبَ الرب شَعبَه إسرائيل، أكثر من مرة، إلى موسى بِقَوله له: "شَعْبُكَ" (خر٣٢: ٧؛ خر٣٤: ١٠)، بِاعتِباره وَكيله عليه. فعندما كان موسى النبي (حارًّا) بِالصلاة كان شَعبُه يَغلِب، وعندما كان (يَكِل) كان شَعبُه يَنهَزِم: "وَكَانَ **إِذَا رَفَعَ مُوسَى يَدَهُ** أَنَّ إِسْرَائِيلَ **يَغْلِبُ**، **وَإِذَا خَفَضَ يَدَهُ** أَنَّ عَمَالِيقَ **يَغْلِبُ**" خر١٧: ١١

ج ـ في أمرٍ ما يَخص تدبير خِراف الرب أخطأ داودُ الملك فَضَرَبَ الربُّ الشعبَ، وكان داودُ يَعلَم أنه هو المُتَسبِّب في هذا، "فَقَالَ دَاوُدُ لِلرَّبِّ عِنْدَمَا رَأَى الْمَلاَكَ الضَّارِبَ الشَّعْبَ: **هَا أَنَا أَخْطَأْتُ وَأَنَا أَذْنَبْتُ، وَأَمَّا هؤُلاَءِ الْخِرَافُ فَمَاذَا فَعَلُوا؟** فَلْتَكُنْ يَدُكَ عَلَيَّ وَعَلَى بَيْتِ أَبِي" ٢صم٢٤: ١٧

د ـ حِينما كان إيليا النبي في المَشيئة الإلهية "وَكَانَتْ يَدُ الرَّبِّ عَلَى إِيلِيَّا"؛ فاضَت بركة الرب من خلاله على مَن معه، حتى في أيام المجاعة (١مل١٧: ١٤ـ ١٧)، وكانت له الهَيبَة الروحية حتى رَد الشعب إلى الرب (١مل١٨: ١٩ـ إلخ). ولكن لمَّا "قَامَ وَمَضَى لأَجْلِ نَفْسِهِ" قال له الرب: "امْسَحْ أَلِيشَعَ بْنَ شَافَاطَ مِنْ آبَلَ مَحُولَةَ نَبِيًّا عِوَضًا عَنْكَ" (١مل١٩: ٣، ١٦).

هـ ـ في عِتاب الرب لِمَلاك كنيسة أفَسُس على تَقصِيره وتَقاعُسِه عن إتمام واجباته التي كان يقوم بها أولاً ـ أنذَره قائلاً: "فَاذْكُرْ مِنْ أَيْنَ سَقَطْتَ وَتُبْ، وَاعْمَلِ الأَعْمَالَ الأُولَى، وَإِلا فَإِنِّي آتِيكَ عَنْ قَرِيبٍ **وَأُزَحْزِحُ مَنَارَتَكَ** مِنْ مَكَانِهَا، إِنْ لَمْ تَتُبْ" رؤ٢: ٥ ["مَنَارَتَكَ" = كنيستك، لأن **"الْمَنَايِرُ** السَّبْعُ... هِيَ السَّبْعُ **الْكَنَائِسِ**" (رؤ١: ٢٠)]..

٤١ـ لماذا يتفاوَت تأثير قوة العمل الكهنوتي من كاهنٍ إلى آخَر؟

إن السُّلطان الروحي الكهنوتي السَّمائي، الذي يَنقِل مَفاعيل خلاص الرب المسيح للناس؛ هو واحدٌ، من البطريرك حتى القس؛ فلماذا يتفاوَت تأثير هذا السُّلطان من كاهنٍ إلى آخَر عند ممارسة الصلوات الطقسية (بِغَض النظر عن المواهب الفَردية)؟!

هناك ثلاثة أطراف في عملية مَنح النِّعمة الروحية: الروح المانِح والكاهن الوَسيط والمَخدوم. إذاً أسباب هذا لا تَرجِع إلَّا لِحالة أحَد الطرفَين الأخِيرَين، أو كِلَيهما: الكاهن الوَسيط أو المَخدوم. ولَعَل من أهَم هذه الأسباب:

١ـ بخصوص الكاهن:

بِر الكاهن عُنصُر فعَّال في نقل مفعول النعمة: "طَلِبَةُ **الْبَارِّ** تَقْتَدِرُ كَثِيرًا فِي فِعْلِهَا" (يع٥: ١٦).. كما يجب أن يكون الكاهن له روحٌ حار، هكذا يجب أن يكون رِجالُ الله، فقد ذُكِر عن يوسف: "**رَجُلاً فِيهِ رُوحُ اللهِ**" (تك٤١: ٣٨)، وعن يشوع: "**رَجُلاً فِيهِ رُوحٌ**" (عد٢٧: ١٨)، وعن دانيال: "**فِيهِ رُوحُ الآلِهَةِ الْقُدُّوسِينَ... فِيهِ رُوحًا فَاضِلَةً**" (دا ٤: ٨؛ دا ٥: ١١؛ دا ٦: ٣)، فلا يَسلُكَنَّ الكاهن بِوجهات النظر بل بِقيادة الروح.. كما يجب أن يكون الكاهن له ذِهنٌ حاضِرٌ أثناء الصلاة. اِمتَثَل أحَدُهُم أمام كاهنٍ لكَي يُصلي عليه، فَلِكَي يُجامِلَه الكاهن وضع يَدَه على رأسه بينما بِالأُخرى كان يتكلم في الموبايل، فهل يمكن أن يعمل الروح القدس في (وَسَط) مثل هذا؟!

٢ـ بخصوص المَخدوم:

تَوبة الفَرد الشخصية شَرطٌ لِعَمل الروح القدس واقتِباله للنعمة.. كما يجب أن يتوفَّر لَدَيه الإيمان بمفعول الصلاة. إن رب المجد لم يُجرِ مُعجِزاته إلَّا حال تَوَفُّر إيمان قابِلي المعجزة: "وَلَمْ يَصْنَعْ هُنَاكَ قُوَّاتٍ كَثِيرَةً **لِعَدَمِ إِيمَانِهِمْ**" (مت١٣: ٥٨)، "**وَصَلاَةُ الإِيمَانِ** تَشْفِي الْمَرِيضَ" (يع٥: ١٥).. كثيرون يَضَعون رجاءَهم في الطبيب ولا يَثِقون في قُدرة الروح القدس العامل في الكاهن!.. لِنَحذَر الإنحِراف في ممارسة الطقس: أن كان يميناً بِاعتباره فرائض ناموسية، وأن كان يَساراً بِاستِضعافِه.

٤٢ـ فلنتعهَّد كنائسنا التي نؤسِّسها في الخارج..

عند تأسيس كنيسةٍ في بَلَدٍ خارجي؛ ينبغي ويتعيَّن على مَن قاموا بِتأسيسها ألَّا يتركوها، مُعتبِرين أن دَورَهم تجاهها قد اِنتهى، بل يستمروا في تَوَلِّيها وتَعَهُّدها. لأن التأسيس هو النصف الأول من المُهِمة أو الرسالة، وأمَّا النصف الثاني، الذي لا يَقِل أهمية عنه؛ فهو المُتابَعة والافتقاد.. هكذا كان يفعل الكارز العظيم الرسول بولس: "لِنَرْجِعْ **وَنَفْتَقِدْ إِخْوَتَنَا فِي كُلِّ مَدِينَةٍ نَادَيْنَا فِيهَا بِكَلِمَةِ الرَّبِّ**، كَيْفَ هُمْ" (أع١٥: ٣٦).

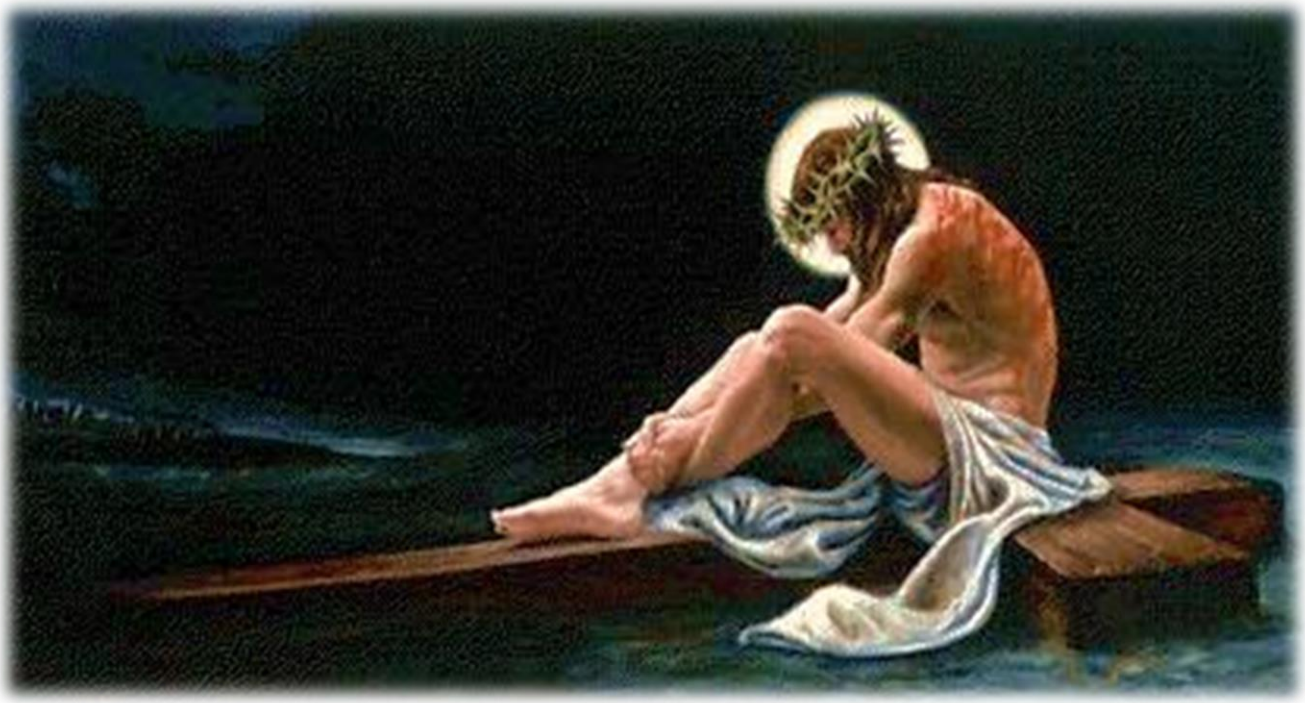
وإلَّا فَلَسوف تقتحِمها الذِّئاب الخاطِفة، التي من خارجها أو حتى من بعض الذين هُم من داخلها، كَقَول الرسول بولس أيضاً: "لأَنِّي أَعْلَمُ هذَا: أَنَّهُ بَعْدَ ذِهَابِي **سَيَدْخُلُ بَيْنَكُمْ ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ** لاَ تُشْفِقُ عَلَى الرَّعِيَّةِ. **وَمِنْكُمْ أَنْتُمْ سَيَقُومُ رِجَالٌ يَتَكَلَّمُونَ بِأُمُورٍ مُلْتَوِيَةٍ لِيَجْتَذِبُوا التَّلاَمِيذَ وَرَاءَهُمْ**" (أع٢٠: ٢٩، ٣٠). هذا ما حدث بِالفِعل، فقد كانت البِدَع والهَرطَقات تظهر من داخل الكنيسة منذ بدء الكرازة، مثلما "قَامَ **أُنَاسٌ مِنَ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ آمَنُوا** مِنْ مَذْهَبِ الْفَرِّيسِيِّينَ، وَقَالُوا: إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُخْتَنُوا، وَيُوصَوْا بِأَنْ يَحْفَظُوا نَامُوسَ مُوسَى" (أع١٥: ٥)، ومثل "**الإِخْوَةِ الْكَذَبَةِ**" (غل٢: ٤؛ ٢كو١١: ٢٦).

لا سِيَّما وأن نُمُو وسلام كل كنيسة يتعلَّق بِالعَوامل السياسية في البَلَد الكائنة به.. وأوضَح مَثَل لِهذا الأمر في العصر الحديث؛ هو امتداد الكنيسة الأرثوذكسية القبطية في إثيوبيا، ولكن بسبب رِسامة البابا شنودة الثالث لها بطريرك، ثُم ترْكها وشأنها؛ قد أدَّى ذلك إلى أن نَأى قادةُ الكنيسة في إثيوبيا بأنفسهم عن أُمهم الكنيسة القبطية.. ذلك كان يُمثِّل نِصف المشكلة فقط، وأمَّا النصف الثاني من المشكلة فهو الأحداث السياسية والاجتماعية فيها، مِما كان له أثَراً بالِغاً على نُمُو وعلى سلام الكنيسة في إثيوبيا، بل وعلى علاقتها بِالكنيسة القبطية.

وسبب كل هذا هو تَوَقُّف الكنيسة القبطية الأُم عن تَعَهُّد الكنيسة الإثيوبية الابنة.. قرأنا عن رِسامة الكنيسة القبطية مِراراً أساقفة للكنيسة الإثيوبية؛ لكن لم نقرأ أنها رَسَمَت لها بطريركاً.

أبي الكاهِن..

١ـ [الكاهن الأفضل هو ذلك الكاهن الذي تبدأ ليتورجية الإفخارستيا، بالنسبة له؛ في الشارع بعد انصرافه من الكنيسة إنما بشكلٍ آخَر.. وهكذا تعكس حياة هذا الكاهن بأمانة وإخلاص السر الذي كمل على المذبح. **ففي ظِل هذه القرابين المقدسة يُعلِن يسوع المسيح حضوره بكل مَسكنة وتواضع وسكون.** لقد أعطى نفسه بالكامل وأسلم نفسه لإرادة البشر وبين أيديهم. لقد ألقَى بكل أسلحة الدفاع عن النفس، **إنه فقط ليس سِوَى ذبيحة تقدِّم ذاتها. هكذا ينبغي أن يكون الكاهن**][1].



إن كان العالم الآن صار أشبَه بِالجحيم، بِالرُّغم من خدمة الرعاة الباذِلين الكثيرين، الذين أقامهم الرب في كنيسته الجامعة في كل زمن حول العالم ـ فَكَم يحتاج الأمر الآن من الرعاة إلى الجهد بل إلى البَذل!.. وكالأم التي ما أن تحبَل وتلِد كل وَلَد من أولادها؛ إلَّا وتبتدئ ـ إراديَّاً ـ

[1] الأب ليف جيلليه: "كُن كاهناً لي"، ترجمة بيت التكريس بحلوان، عن الطبعة الفرنسية الصادرة في بيروت تحت إسم: SOIS MON PRETRE ، بإذن من الناشر: منشورات النور ـ بيروت، إصدار دار مجلة مرقس، فبراير ١٩٧٣، مطبعة مؤسسة فايقة محفوظ (يوسف كمال)، رقم الإيداع: ٢٢٠٣ لسنة ١٩٧٣، صفحة ٣٨.

مُعاناتُها ولا تعود تذوق معنى الراحة؛ هكذا الراعي المِثالي، ما أن يتسلَّم وَكالته إلَّا وتبتدئ مُعاناتُه ـ إراديَّاً ـ ولا يعود شيء يُريحه ويُسعِده سِوَى خلاص وخَير كل وَلَد من أولاده:

"مَنْ يَضْعُفُ وَأَنَا لاَ أَضْعُفُ؟ مَنْ يَعْثُرُ وَأَنَا لاَ أَلْتَهِبُ؟" ٢كو١١: ٢٩

٢ـ لا يَصِح أن يَدعو الراعي أحداً بِهذه الألقاب: "أبي ـ أمي ـ عَمُّو ـ خالو ـ عَم فلان..". لأن إرساليَّته وخدمته هُما إلى حَدٍ ما على مثال إرسالية وخدمة الرُّسُل، الذين أوصاهم السيد المسيح قائلاً: "**وَلاَ تَدْعُوا لَكُمْ أَباً عَلَى الأَرْضِ، لأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ** الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت٢٣: ٩).

إن لَزِم الأمر يمكنه أن يستعمل الألقاب: الوالد ـ الوالدة ـ العَم أو الخال فلان..

٣ـ إن كان الراعي مُعَلِّماً في أحَد المعاهد التعليمية؛ فلا يُلَقِّن تلاميذه مُسبَقاً الأسئلة التي سَيمتحِنهم فيها، لِئَلا تَصير الامتحانات غير حقيقية وبالتالي مؤهلات تلاميذه وَهمِية، وهذا لا يُنشِئ كَوادِرَ من القديسين أو العُلَماء. إن ما يُبنَى على باطِلٍ فَحَتماً سَوف يأتي اليوم الذي فيه يَتهاوَى أنقاضاً.

ولا يَقُل: (الدُّنيا كلها كِدة)، لأننا لَسنا من الدُّنيا (يو١٥: ١٩؛ يو١٧: ١٤، ١٦)، بل أننا الكنيسة، أبناءُ الله.. لا يَخشَ مُجابَهة نُفور تلاميذه، أو حتى زملائه، واتِّهامهم إيَّاه بِالتَّزمُّت!.. ولا يَحتَج في ذلك بِأن هذا المِدرَس مجرد مركز تعليمي لتشجيع أبناء الكنيسة على المعرفة، فهذه الحُجَّة مُساوَمة على حساب الحق المسيحي الإنجيلي. إن كان الراعي مُعلِّماً ومُهذِّباً ومُرشِداً لتلاميذ وسَلَكَ ذلك المَسلك فإنك بهذا يُعطيهم نموذجاً للمُعلِّم غير الصادق وغير الأمين.

٤ـ وإن أراد إنشاء جِيل مقدس لله؛ فَعَلَيه **بِفَصل إعداد الخُدام**، وتَغذِيَته **بِالقادَة**، لا أولاً بِذَوي المؤهلات العِلمية أو الدراسات الكَنَسِية الأعلَى؛ بل **بِأكثر أُمَناء الخدمة روحانيةً + بِرّاً + نُسكاً**.

٥ـ فَليُنَبِّه الراعي شعبَه إلى أنه لَيسَت كل القنوات المسيحية يمكنهم أن يُشاهدوها بِثِقة، فقد توجد قنواتٌ مسيحية تُقدِّم أحياناً مَواداً غير نقِيَّة، إيمانياً أو كتابياً أو فِكرياً، أو أن أحَد مُقَدِّمي برامجها أحياناً لا يتكلم بِرُوح الله، بل بما يَرتَئيه من نفسه على أنه كلام الحق، وقد يكون من المَشاهير! قنواتٌ تنشغل بِتَطرُّف بِالاجتماعيات والسياسات مُشابِهَةً قنوات العالم.

٦ـ الرعاةُ هُم قادةُ الكنيسة وأعمِدَتُها، وإذا اهتزَّت الأعمِدة سقط البناء كله: "لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنِّي أَضْرِبُ الرَّاعِيَ فَتَتَبَدَّدُ خِرَافُ الرَّعِيَّةِ" (مت٢٦: ٣١). لهذا تُركِّز قوات الجحيم حُروبَها الآن على الآباء الكهنة، وعائلاتهم، أكثر من أي وقت. فلا يُحَبَّذ أن يستقبل الراعي أحداً في بيته لِمُباشَرة أحَد أمور الخدمة، لا خادماً ولا راهباً، لا في غير وجوده ولا في وجوده (ماتدَخَّلش حَد بيتك).

٧ـ "بابا يسوع".. التعبير الذي دأبَ خدام التربية الكَنَسِيَّة أن يُلَقِّنوه لِأطفالهم؛ تعبيرٌ غير أصيل بل مُستحدَث في كنيستنا، وهو من مَصدرٍ غَير أرثوذكسي.. إنه يُنشئ إزدِواجية في الأُبُوة في وجدان الطفل لا شعورياً، فَضلاً عن أنه يُثير بِداخله تَساؤلاتٍ وجدانية غير مُعبَّرٍ عنها، مثل:

ـ مَن هو "بابا يسوع" هذا؟

ـ وهل لي أبَّان؟ ولماذا لا أراه مثل (بابا) في البيت؟

ـ وأيهما يحبني أكثر من الآخَر؟ وأيُّهما عليَّ أن أحبه أكثر من الآخَر: (بابا)؛ أم "بابا يسوع"...؟!

إن لَقَب (بابا يسوع) لا يُمَثِّل خطأً عقائدياً لأنه حقاً أبٌ، ولكن تَلقيب الرب يسوع بِلَقَب (بابا) وَحدَه، دُون لَقَبٍ تَعَبُّدِي، يَفتقِر إلى إكرامه ومَهَابَته الإلَهيَّين، بينما في القداس الإلهي يَدعوه الكاهن: "ربنا وإلهنا ومُخلصنا يسوع المسيح"، ورَبُّنا نفسُه قد قال: "**فَإِنْ كُنْتُ أَنَا أَبَاً، فَأَيْنَ كَرَامَتِي؟** وَإِنْ كُنْتُ **سَيِّدَاً**، فَأَيْنَ **هَيْبَتِي**؟ قَالَ لَكُمْ **رَبُّ الْجُنُودِ**" (ملا١: ٦).

لِذا؛ يُرجَى تصحيح مفهوم العلاقة بين الطفل وبين رَبِّه، ويمكن هذا عن طريق تَنبيههم إلى استِبدال المَنطوق "بابا يسوع" بـ **"ربنا يسوع"** مثلاً.

٨ـ إعتاد خُدام مدارس التربية الكَنَسِية على أن الهدايا التي يُوَزِّعونها على أولادهم هى الحَلوَى أو الألعاب، وهكذا انغَرَسَت في أذهان المَخدومين ثقافة المُكافأة بالطعام أو بالمُقتَنيات المادِّية. وليس هذا فقط بل إمتَدَّ ذلك التَوَجُّه نحو البالِغين، فصارت أكثر الهدايا عبارة عن (إكسسوارات)..

قد يَهدِف الخُدام بهذا إلى تَحفيز المَخدومين على المُواظبة على الحضور، ولكن ماذا كانت النتيجة؟ جِيلاً من نفوسٍ هَشَّة وعُقولٍ خاوِيَة تَجهَل الحق ولا تَسعَى إلى معرفته!

في صِغَري أثناء المرحلة الابتدائية، وفي (مدارس الأحد)؛ أذكر أن الهَدايا التي كان (الأستاذ) يوزعها علينا في الفصل كانت هدايا هادِفة. مثل كُتَيبٍ يَحكي قصة مُصَوَّرة من الكتاب المقدس، علينا أن نَقوم بِتَلوينها.. وأذكر أنني في آخِر المرحلة الإعدادية وبداية المرحلة الثانوية؛ كانت هدية خادِمي، الأمين، لي هى "الكتاب المقدس"، وكان أغلَى هدية اقتَنَيتُها في حياتي، فبِه كان بدءُ زمان اِفتقاد النعمة لي.. وفي مناسبةٍ أخرى كانت هديته لي هى الأجبية، وفي أخرى كتاب الخولاجي..

كانت هذه الهدايا هى عُدَّتي في طريقي الروحي المُفرِح ـ وليس خادِمي فقط؛ بل كانت غالبية هدايا الكنيسة لأبنائها من هذه الأنواع ـ حتى تَكَوَّنت لَدَيَّ مكتبة قَيِّمة. فَبعض الكتب تخص دراسة الأسفار الإلهية، وبعضها تخص الإيمان الأرثوذكسي، وبعضها في الروحيات، وأخرى في طقوس كنيستنا، وأخرى في تاريخ كنيستنا وسِيَر آبائنا القديسين، وأخرى في لُغَتنا القبطية..

لَيتَنا نرجع إلى السُّبُل القديمة في طُرُق التَّنشِئة والتربية الكَنَسِية، لأنه: "هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: قِفُوا عَلَى الطُّرُقِ وَانْظُرُوا، **وَاسْأَلُوا عَنِ السُّبُلِ الْقَدِيمَةِ**: أَيْنَ هُوَ الطَّرِيقُ الصَّالِحُ؟ وَسِيرُوا فِيهِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. وَلكِنَّهُمْ قَالُوا: لاَ نَسِيرُ فِيهِ!" إر٦: ١٦

٩ـ لِيُلاحِظ الراعي البعضَ من الذين، داخل الحَقل الكَنَسِي، يَهدِفون لا إلى مجد الله وخلاص **النفوس**، بل إلى تحقيق الذَّات وكَسب (**الفلوس**)، وذلك في شكل مَعروضاتٍ، أو إنتاج ترانيم هى لَيسَت ترانيم، أو فنون غير مسئولة، أو أطعِمة، خصوصاً في أيام المَواسِم بِهَدَف المُتاجَرة..

ليس بِالأمرِ الخاطِئ أن تقدم الكنيسة لِأبنائها مَعروضاتٍ نافِعة، حتى لَو مادِّية، بِأسلوبٍ روحيٍّ ونَزيه؛ لكن لا يكون هذا مَدعاةً للبعض للمُتاجَرة. فالكنيسة لَيسَت سُوقاً للبَيع والشراء.. فَعَن مثل هؤلاء يقول الإنجيل: "مِثْلَ هَؤُلاَءِ **لاَ يَخْدِمُونَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ بَلْ بُطُونَهُمْ**... الَّذِينَ **إِلَهُهُمْ بَطْنُهُمْ** وَمَجْدُهُمْ فِي خِزْيِهِمِ، الَّذِينَ **يَفْتَكِرُونَ فِي الأَرْضِيَّاتِ**" (رو١٦: ١٨؛ في٣: ١٩).

الراعي هو المسئول قبلهم وأكثر منهم عن قُدُسِيَّة بيت الآب. لئلَّا يَصيرَ مثل قادة الشعب قديماً، الذين كانوا يتركون للباعة أن يعملوا فيه ما يُريدون، ومن تلك التجارة كانوا يَستفيدون.

لِنَذكر دائماً أن الرب يسوع المسيح قد بدأ خدمته الجهارية بِتَطهير هَيكَلِه، وقد خَتَمها أيضاً بِتَطهير هَيكَلِه:

"وَوَجَدَ فِي الْهَيْكَلِ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ بَقَراً وَغَنَماً وَحَمَاماً، وَالصَّيَارِفَ جُلُوساً. **فَصَنَعَ سَوْطاً مِنْ حِبَالٍ وَطَرَدَ الْجَمِيعَ مِنَ الْهَيْكَلِ، الْغَنَمَ وَالْبَقَرَ، وَكَبَّ دَرَاهِمَ الصَّيَارِفِ وَقَلَّبَ مَوَائِدَهُمْ.** وَقَالَ لِبَاعَةِ الْحَمَامِ: ارْفَعُوا هَذِهِ مِنْ هَهُنَا! **لاَ تَجْعَلُوا بَيْتَ أَبِي بَيْتَ تِجَارَةٍ!**" يو٢: ١٤- ١٧

"وَدَخَلَ يَسُوعُ إِلَى هَيْكَلِ اللهِ، **وَأَخْرَجَ جَمِيعَ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِي الْهَيْكَلِ، وَقَلَبَ مَوَائِدَ الصَّيَارِفَةِ وَكَرَاسِيَّ بَاعَةِ الْحَمَامِ**، وَقَالَ لَهُمْ: مَكْتُوبٌ: **بَيْتِي بَيْتَ الصَّلاَةِ يُدْعَى. وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ!**" مت٢١: ١٢، ١٣



١٠ـ هناك مِلَفٌ فَرَضَ وُجودَه مُؤَخَّراً على واقِع حَقل الخدمة الكَنَسِية، وهو التمثيل المَسرَحي، يَتَعَيَّن على الراعي مُراقبته بِنَفسه. لأن هذا النشاط تَغلب عليه الصِّفة العلمانية أكثر منها الصفات الإنجيلية المقدسة، لِذا هناك إقبالٌ أكثر من غير الكَنَسِيّين (أي الذين لا يَفِدون إلى الكنيسة أو الذين لا يَحيَون بِحَسَب السلوك الكَنَسِي) على الاشتِراك فيه، وأنه هناك فَرقٌ واضِحٌ في القامات الروحية بين المُشتَرِكين فيه وبين المُشتَرِكين في مَجالات الخدمة الكَنَسِيَّة الأخرى.

فالهدف من هذا النشاط ليس مجرَّد تَثقيف المُشاهدين أو تَسلِيَتهم، بل أنه من أكثر طُرُق التعليم العَمَلي تأثيراً، وإن لم يُجرَ تحت إشرافٍ كَنَسِيٍّ مُباشِر (كاهن/ أمين خدمة/ خادم واعٍ أمين)؛ فَلَسوف يؤدي إلى انحِرافاتٍ مُصَدَّقٍ عليها من الكنيسة، والتي تتمثَّل مَظاهِرُها في: مَلابس خارِجة عن اللياقة ـ ألفاظ غير مُنضَبِطَة ـ إيماءات غير روحية ـ إيحاءات غير تَقِيَّة ـ مُوسيقَي مُنافِية لِروح الأرثوذكسية.. فَليَتنبَّه القادةُ الروحِيون لتلك الانحِرافات حتى لا تتسلَّل إلى الرعية.

لقد صادَفتُ انحِرافاتٍ مُشابِهَةً لِتلك التي تُجرَى في قاعات (الأفراح) التي في المُدُن خارِجاً، فأثناء عَرْضٍ لِإحدَى الأُسَر الجامِعيَّة الكَنَسِيَّة؛ فُوجِئتُ بِوُجود فتاة على المسرح تتغنَّى مُتراقِصَةً بِمَلبَسٍ خَليع، تَدعَمها موسيقى رديئة بِوَسائل موسيقية دُنيَوِية، وكأن المكان قد تَحَوَّل من مسرحٍ كَنَسِي إلى مَلهَى، وللأسَف قد حَدَثَ ذلك على مسرح الأنبا رويس بِالكاتدرائية المقدسة!

يَجِب ألَّا يَنسَى المُؤلِّفون، والمُخرِجون، والمُمثِّلون؛ أنهم في نشاطهم هذا يُمَثِّلون الكنيسة، وأن نشاط التمثيل المَسرَحي هو أحَد الخدمات الروحية المُعاصِرة، وأن الهدف منه هو تقديم مادَّة روحية إنجيلية كَنَسِيَّة.. فَلَو قَدَّمُوا لإخوَتهم وأبنائهم مُدخَلاتٍ غير كَنَسِيَّة، أو لَو قَدَّمُوها بِطَريقةٍ غير روحية، بِمَدعَاة الواقِعِيَّة في عَرض قَضايا مُجتمِعية، بَدَلاً من أن يكونوا مُقَدِّمين لِخِدمةٍ روحية تُسهِم في خلاص نفوسهم ـ لَصَاروا هُم بِأنفسهم الذين يَنقِلون العالم إلى داخل الكنيسة، وسَيَكون هذا النشاط أو هذا المجال بيئة خصبة لِنمو الزوان وَسط الحِنطَة ورَعي الذِّئاب وَسط الخِراف.

لِذا على الراعي مُراقبته بِنَفسه بِصِفةٍ شُمُولية: النَّص، البُروفات، سُلوك المُمثلين.. قَدْرَ إمكانه.

١١ـ الكهنوت ليس بسبب أولَوِية في المُنتخَب له، وليس ضامِناً لِأفضَليةٍ له..

لا يتسلَّل إلى الاِعتِقاد الباطِني للكاهن أنه أُقِيم في خدمة الكهنوت الأقدس لأجل شيءٍ ما فيه أولَى مِمَّا في باقي الناس، أو أن هذا هو مكانه الطبيعي وهذه مكانته الحقيقية.. لأنه هو أيضاً تحت الآلام وله ضَعفاته التي يَعرفها هو وَحده عن نفسه. صحيحٌ أنه دَرَس بعض علوم البِيعَة، وله رصيد قديم في خدمة التربية الكَنَسِيَّة، وأنه ذو خُلُق، وله فضيلة؛ لكن هذا ليس فَضلاً مِنه بل نعمة روحية كانت تَشمَله. وَليَعلَم أيضاً أن هناك مَن كانوا أكبر قُدرة وأكثر بَذلاً مِنه.

فبِافتراض أن دعوته هى من الله؛ فهذا لا يرجع لأولَوِيةٍ له عن باقي أفراد الرعية، فالأولَوِية المُعطاة له هى أولَوِية خدمة، وهذه الخدمة دَورٌ من أدوار حياته قد أُعطاها ليُؤدِّيها، رُبما منحه الله إيَّاها ليس فقط لأجل خلاص رَعِيَّته إنما أولاً لأجل خلاصه هو، حتى إذا وجد نفسه "**مَنْظَراً لِلْعَالَمِ لِلْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ**" (١كو٤: ٩)؛ تكون مكانته دافِعاً له لِلتَّخلِّي عن مَذَماتٍ فيه ولِلتَّحلِّي بمِيزاتٍ لَدَيه.. ورُبما لأنه لو كان قد تَعَرَّض للظروف التي يتعرض لها أولاد الله في مُعتَرَك المجتمع ـ الظروف الروحية أو المادية أو العملية ـ لَكان يمكن لِتلك الظروف أن تُعيق خلاصَه!.. وَليَعرِف أن كثيرين من أفراد رعيته، وهُم لَيسُوا من الإكليروس، مَن هُم أكثر نقاوة وروحانية من أفرادٍ من ذَوِي الزِّي الأسوَد..

ليَذكُر الكاهن أنه واحدٌ ضِمن عبيده وخَدَمه، فهكذا قال السيد الرب: "فَمَنْ هُوَ **الْعَبْدُ** الأَمِينُ الْحَكِيمُ الَّذِي **أَقَامَهُ سَيِّدُهُ عَلَى خَدَمِهِ** لِيُعْطِيَهُمُ الطَّعَامَ فِي حِينِهِ؟" مت٢٤: ٤٥

كما أن الكهنوت وإن كان سِمَةً روحيةً جليلةً لِحامِله؛ إلَّا أنه لا يُغَيِّر الكاهن لِما هو أفضل دون إرادته هو واجتهاده وأمانته، [فكَهَنوت الكهنة الخاص **ليس من شأنه بِحَد ذاته أن يجعلهم مسيحيين أرقَى من غيرهم أو أفضل**، لأن الكتاب المقدس يقول أنهم مُحاطُون بالضعف، "وَلِهَذَا الضُّعْفِ يَلْتَزِمُ أَنَّهُ كَمَا يُقَدِّمُ عَنِ الْخَطَايَا لأَجْلِ الشَّعْبِ **هَكَذَا أَيْضاً لأَجْلِ نَفْسِهِ**" (عب٥: ٣)][1].

[1] المتنيح الأنبا يمن والقمص يوسف أسعد: "الكاهن القبطي"، صفحة ٢١.

١٢ـ هل يَحِل للكاهن إستعمال "المذبح المُتنقِّل" أينَما أراد؟

كان يوجد في دَيري بِضعَة رهبان ماكِثين في مَغائِر مُتقارِبة بمنطقة من برية الدير، تَبعُد عن مجمعِه بِحوالي ٧ كم، وكانوا يَعرفون كاهناً من بَلدةٍ ما، وفي إحدَى زِياراته لهُم جاء ومعه اللَّوح المقدس وعُدَّة سِر الإفخارستيا وأدوات القداس (القُربان ـ الأباركة ـ الشورية..)، وأقام القُداس الإلهي بِإحدَى تلك المَغائر. هذا حَدَثٌ..

حَدَثٌ آخَر: أثناء جائِحة "كورونا" وعدم وجود تَناوُل للشعب بِالكنائس؛ قام كاهنٌ بِإقامة القُداس الإلهي في أحد البيوت لِبَعض الخُدام وأُسَرِهم.. فَهَل يَجوز هذا؟

هل من كرامة سِر الإفخارِستيا الأقدَس، قُدس أقداس الأسرار الإلهية، أن يُقام في أي مكانٍ خارج الكنيسة؟ هل يَصِح اِستِدعاء الروح القدس لِتَحويل الخُبز والخَمر إلى الجسد والدم الإلهي الكريم؛ في مَواضِعَ على مَقرُبَةٍ منها يَنفي الرهبان بولَهم وبرازَهم، أو في منازِل بِجوار مَراحِيض؟!

إن كان الربُّ، مُنذ القديم، قد حَكَمَ بِألَّا يُقام حتى طقس الفِصح، وهو ذبيحة حَيَوانية؛ إلَّا في مَقدِسه، بِقَوله: "**لا يَحِلُّ لكَ** أَنْ تَذْبَحَ الفِصْحَ فِي أَحَدِ أَبْوَابِكَ التِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، **بَل فِي المَكَانِ الذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلهُكَ لِيُحِل اسْمَهُ فِيهِ. هُنَاكَ تَذْبَحُ الفِصْحَ**..." (تث١٦: ٥، ٦)، كما قد أظهَر غضبَه من شعبِه على فعلٍ مثل ذلك، بِقَوله: "**يُجْرُونَ رَأْيًا وَلَيْسَ مِنِّي**، وَيَسْكُبُونَ سَكِيبًا وَلَيْسَ بِرُوحِي، لِيَزِيدُوا خَطِيَّةً عَلَى خَطِيَّةٍ" (إش٣٠: ١)، "وَلاَ يُنَجِّسُ بَعْدُ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ اسْمِي الْقُدُّوسَ... **بِجَعْلِهِمْ عَتَبَتَهُمْ لَدَى عَتَبَتِي وَقَوَائِمَهُمْ لَدَى قَوَائِمِي**" (حز٤٣: ٧، ٨) ـ أفَبَعدَ كل هذا يُقيم الكاهن السِّر الأرهَب أينَما أراد؟!!

فلِأولئك الرهبان أقول: ألم تتوفَّر لَكُم في الدير كنيسة واحدة من بين كنائِسه المُتعددة، ولا لِيَومٍ واحد، تُصَلُّون فيها القُداس؟.. ولِأولئك الخُدام أقول: أتَتَحايَلون على التأديب الإلهي الذي وضعه الله على كنيسته، وليس هذا فقط؛ بل وتُقيمون السِّر الأرهَب خارج الهيكل والكنيسة؟!

وقد علِمتُ في ما بعد أن هذا الأمر، وللأسَف، قد تَكَرَّرَ في أماكِن أُخرَى عديدة.

إن اللجوء إلى استعمال "المذبح المُتنقل" هو استِثناء، فلا يُصَيَّر الاستِثناء قاعدة.

لا يَحِق للكاهن إستعمال "المذبح المُتنقل" أينَما أراد، بل فقط لِأسبابٍ قوية، وبِضَوابِط مُقَنَّنة، مثل:

١ـ وجود كنيسة واحدة بِالمنطقة، وقد بُنِيَ جِسمُها الخَرساني بِالفِعل وهى تحت التَّشطيب، لكنها لم تُدَشَّن بَعد.

٢ـ الخدمة في قريةٍ لا يوجد بها كنيسة، أو يوجد بها اضطِهادٌ دِيني.

٣ـ الكِرازة في بَلَدٍ خارجيٍ لا يوجد به كِرازة.

وفي جميع الحالات؛ لا يُقام السِّر إلَّا:

٤ـ بِحِلٍ كَنَسِيٍّ كهنوتِيٍّ من رئيسِه الأسقف.

٥ـ في بَيتٍ لِرَجُلٍ مُقدسٍ، أكثر من بَيت أبيناداب الذي أصعَدوا تابوتَ الرب وأدخَلوه إليه، والذي "قَدَّسُوا أَلِعَازَارَ ابْنَهُ لأَجْلِ حِرَاسَةِ تَابُوتِ الرَّبِّ" (١صم٧: ١)، مَشهوداً له من الأكثَرين (يُفضَّل أن يكون مُتبتِّلاً).

"أَمْ نُغِيرُ الرَّبَّ؟ أَلَعَلَّنَا أَقْوَى مِنْهُ؟!" ١كو١٠: ٢٢

لِذا لَيت لجنة الرعاية والخدمة ـ المُقَرِّر والأعضاء ـ تُصدِر قَراراً مجمعياً بِضَوابِط لُجوء الكاهن إلى استعمال المذبح المُتنقل الخمسة هذه.



١٣ـ خدمة الكاهن الأساسية هى خارج سُور الكنيسة، أي: "الافتقاد"..

بِالطبع هناك آباءُ كهنة كثيرون يَجتهِدون في اِفتقاد رَعِيَّتهم، ويُجهِدون أنفُسَهم ساعِين في رَد البَعيدين، وقد لا يشعر أحد بمقدار البَذل الذي يُقدِّمونه قُرباناً لله، عن أنفسهم وعَمَّن يخدمونهم، لكن هل جميعهم هكذا؟

لقد باتت مُهِمَّة الكاهن الحَيَوية في هذه الأيام الأخيرة؛ ليست هى في جلوسه على كُرسيه الدَّوَّار بمكتبِه المُكيَّف، مثل مُوَظَّفي العمل الحكومي الذين يَفِد إلَيهم مَن له طَلَب، ولا حتى بين أروِقَة الكنيسة لِتَفَقُّد سَير أعمال الخدمة، فهذه يمكن أن يُتممها الأب كبير كهنة الكنيسة بأقل مجهود ـ بل هى، مثل سيِّده ومُرسِله، خارج أسوار الكنيسة.

الكاهن الذي يهتم بِنشاطٍ آخَر على حساب اِفتقاد البعيدين؛ قد اِنحرف عن إرساليَّته. أن تُخلِّص **نفساً واحدةً** من فَم الجحيم وتَربَحها للمسيح؛ لَهُو أفضل جداً بما لا يُقارَن من إنجازك لِربواتِ أنشِطةٍ ثانَوية: "**لأَرْبَحَ الأَكْثَرِينَ... لأُخَلِّصَ عَلَى كُلِّ حَال قَوْمًا**" (١كو٩: ٢٠ـ ٢٣). فالذين هُم خارج الكنيسة الآن أكثر بِكَثير جداً مِمَّن هُم بِداخلها، واحتياجهم لها أكثر بِكَثير جداً مِمَّن هُم بِداخلها!

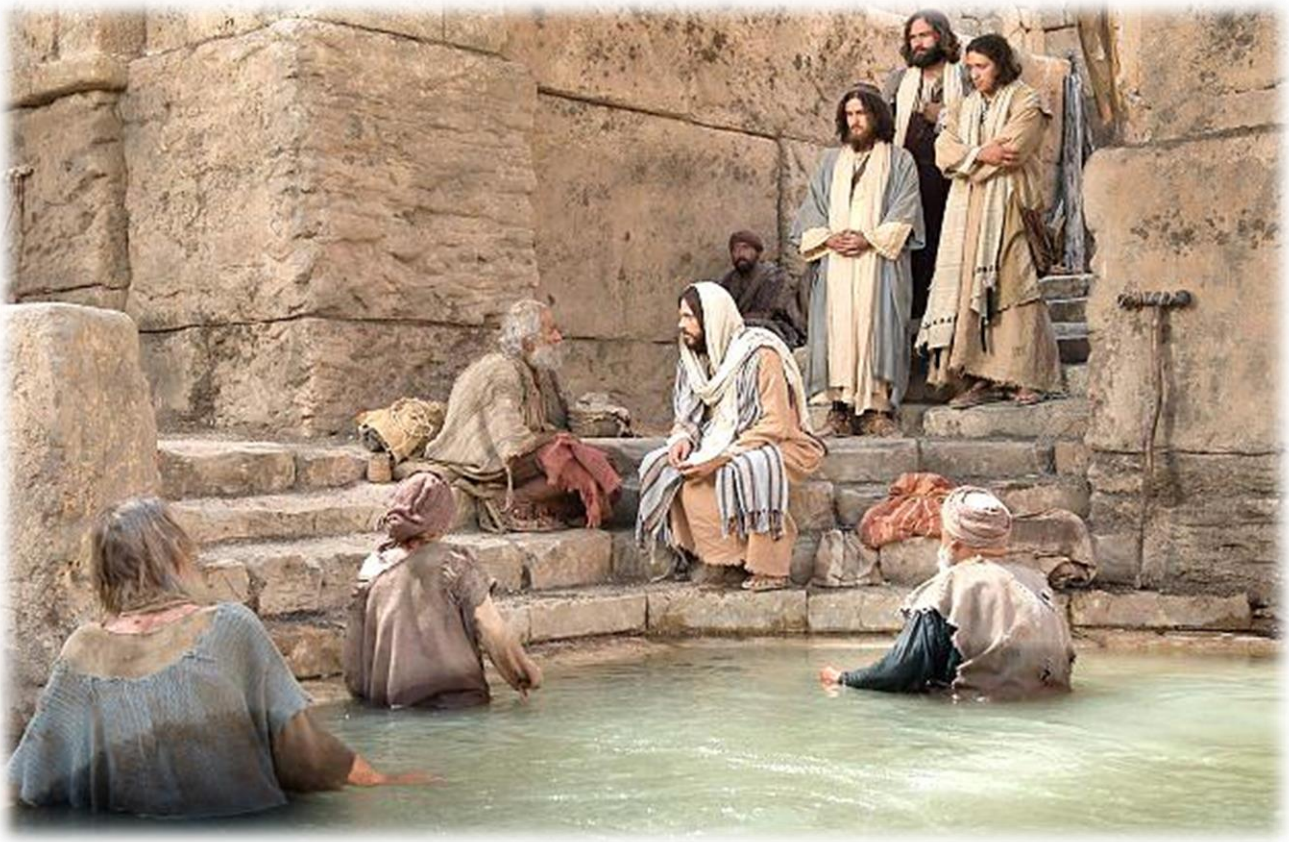
سمِعتُ طبيب عِظام كبير يَصِف الآباء الكهنة بِأنهم يُصابون بِالبَدانة أو بمشاكل في العِظام، مُعَلِّلاً هذا بِأنهم (قاعدين مابيعملوش حاجة). هذا ما يُقال عن الآباء الكهنة!.. والربُّ نفسُه يقول عن الرعاة المُتوانين: "لأَنَّ **الرُّعَاةَ بَلِدُوا** وَالرَّبَّ لَمْ يَطْلُبُوا. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَمْ يَنْجَحُوا **وَكُلُّ رَعِيَّتِهِمْ تَبَدَّدَتْ**" إر١٠: ٢١

يَحسُن أن يضع الكاهن التعهُّد الذي قرأه يوم سِيامته، مكتوباً، أمام عَينَيه دائماً، وقد تعهَّد فيه ـ ضِمن ما قد تعهَّد ـ قائلاً:

[وأتعهَّد بأن أحب الرعية، وأُعامِلها بالرِّفق والحكمة، **وأبذل ذاتي في اِفتقاد الشعب**، والاهتمام به من كل ناحية حسب طاقتي. **وأن أبحث عن الضال، وأسعَى لِرَدِّه، وأجمع خِرافَ الله المتفرقة**، ولا أغفل عن العاجزين والمُنطرِحين والذين ليس لهم أحَد يَذكُرهم].

"لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا أَسْأَلُ عَنْ غَنَمِي **وَأَفْتَقِدُهَا... وَأُطْلُبُ الضَّالَّ، وَأَسْتَرِدُّ الْمَطْرُودَ، وَأَجْبِرُ الْكَسِيرَ، وَأَعْصِبُ الْجَرِيحَ**، وَأُبِيدُ السَّمِينَ وَالْقَوِيَّ، وَأَرْعَاهَا بِعَدْل"

حز٣٤: ١١، ١٦



عن أهمية الافتقاد كتب الأب يوحنا الدَّرَجي:

[المحبة هى التي تُظهِر الراعي الحقيقي، لأن **الراعي العظيم بِدافِع المحبة شاء أن يُصلَب...**

لا شيء يُظهِر محبة الخالق وعَطفه علينا مثل تَركِه التسعة والتسعين خروفاً لِيَطلب الخروف الذي ضَلَّ (لو١٥: ٤). فانتبِه إذاً أيها الأب الجليل **وزاوِل كل غَيرتك ومحبتك ووَرَعك وعنايتك وكل تضرُّعاتك أمام الله في سبيل مَن ضَلَّ كلياً وانكسَر**. لأنه حيث خطورة الأسقام والجراحات هناك أيضاً ـ ولا شَك ـ الجوائز العظيمة][1].

[1] الأب يوحنا السُّلَّمي: "السُّلَّم إلى الله (رسالة إلى الراعي)"، صفحتَي ٢٨٠، ٢٨٧.

وعن الافتقاد الرعوي للأب الكاهن لِأبنائه خارج الكنيسة؛ كتب أيضاً القمص يوسف أسعد في كتابه "الكاهن القبطي":

[يُحقِّق في هذه الزيارات اِفتقاداً روحياً للكل، **يُعبِّر فيه عن الله الراعي الذي يسأل عن غَنَمِه ويفتقِدها** (حز٣٤: ١١)، **(كل غَنَمَة)**. فَيَهتم بِلَيئة المكروهة أكثر من راحيل المَحبوبة، وبالأسرة الغريبة أكثر من المعروفة، وبالأسرة الفقيرة أكثر من الغَنية.. فَدخول مثل هذه البيوت من كاهن يَشهد لله بِحياته، التي تتفق مع الحق الإلهي؛ **يقود الشعب لا شعورياً على التفكير في الله وفي نفوسهم كُلما قابَلوه**، بل إن **مجرد رؤيته تُنعِش روحياتهم وتُجدِّد ذاكرتهم عن وصايا الله المُعاشة فيه...**

نعم إن مثل هذا الافتقاد يُحقِّق من جديد عمل السامري الصالح الذي دَلَّ على حنان في قلبه، واستِقامة في أسلوبه، وعِناية في تدبيره، لا يُلزِمه به عمل وظيفي إنما يَأسِره به حُبٌ إلهي تُجاه المُجرَّبين.. **والافتقاد المتكرر في مَهد المشاكل يُوفِّر الحلول** التي تَروق للقلب البشري، قبل أن يُقَسَّى ويرفض الاستجابة...

الكاهن يَسير على قدمَين، **وخدمته تَسير على قدمَين هُما الافتقاد والقُدوَة**][1].

ملاحظات قبل الافتقاد:

أ ـ إن خديعة الشيطان هى صَرف الرعاة إلى الأنشطة وتَركهم يعملون ما يَشَاءون بعيداً عن مِخدَع الصلاة، وهو يضمن أن كل أنشطتهم بدون صلاة هى ميِّتة من قبل أن تُولَد (يو١٥: ٥).

ب ـ لا يتوقف هدف الراعي في اِفتِقاداته لِرَعيَّته عند حَد مَجيئهم إلى الكنيسة، أو اشتراكهم في أنشطتها؛ بل توبة كلٍ منهم، وعلاقته الشخصية الوَثيقة والحَميمة بِالسيد المسيح.

ج ـ لِيَنتَبِه الكاهن في اِفتِقاداته أن لا يسمح لإحدى نِساء أهالي البيوت التي يَفتقدها؛ أن تَفرِض عليه أن يكون لها عنده دالَّة..

[1] المتنيح الأنبا يمن والقمص يوسف أسعد: "الكاهن القبطي"، صفحتَي ١٢٥، ١٢٨.

١٤ـ الروحيات أولاً؛ ثم الجسديات والزمنيات..

ما أكثر الآباء الكهنة الذين ساروا على النَّهج الصحيح في قيادة النفوس إلى الحياة الأبَدية، حتى أوصَلوا جموع رعيتهم إلى "مُشْتَهَى كُلِّ الأُمَمِ"، فكانوا بِحَقٍ آباء.. لكن لَعَل كثرة مَهام الرعاية جَذَبَت البعض إلى الاهتمام بها أكثر من مَبادئ المَهام عَينها، لِذا يَحسُن التأكيد على هذه المَبادئ..

+ **قبل** الاهتمام بخدمات الكنيسة الاجتماعية (الحضانة ـ العيادة ـ الكمبيوتر ـ النادي..)؛ الاهتمام **أولاً** بِتحقيق رسالة الكنيسة الأساسية كَميناءٍ للخلاص.

+ **قبل** تَزيين الكنائس بِاللَّافِتات والتكييفات؛ تَزيين نفوس الناس **أولاً** بِالفضائل ورائحة المسيح.

+ **قبل** الاِنهماك في تدبير حاجات فقراء المال؛ الاِنهماك **أولاً** في إعمار الفقراء من ثمار الروح القدس.

+ **قبل** مُجامَلَة المَعارِف وذَوي النفوذ بِالتَّوَدُّد إلَيهم وزياراتهم في مُناسباتهم؛ اِفتقاد **أولاً** المَسحوقين والضائعين والذين ليس لهم أحَد يسأل عنهم.

+ **قبل** التدبير للمؤتمرات والمهرجانات؛ رَد **أولاً** قلوب البَعيدين من الرعية إلى مَسيحهم بالتوبة.

+ **قبل** الاِقتِباس من الكتب لِلوَعظ أو لِإعداد الأبحاث؛ التأكد **أولاً** من أُرثوذكسية (فِكر) كاتِبيها.

+ **قبل** عَقد كورسات المَشورة الأُسَرية، وكيفية اِختيار شريك الحياة، و (الثقافة الجنسية)؛ الاِهتمام **أولاً** بِإنشاء وتَفعيل "المذبح العائلي" في كل بيت.

+ **قبل** عَقد الاجتماعات التقليدية للشعب؛ عَقد **أولاً** اجتماعاتٍ خاصة بِالصلاة والتسبيح.

+ **قبل** تنظيم رحلات ذهابهم إلى القُدس؛ تعليمهم **أولاً** كيف يدخلون إلى مَقادِس حَضرة الله أبيهم بِالصلاة بِالروح والقلب.

+ **قبل** البحث عن كيفية الحصول من الشعب على تَصفيق الأيدي إثر الخَطابات؛ البحث **أولاً** عن كيفية الحصول منهم على دَمع الأعيُن، بِنَخس الروح القدس لِقلوبهم إثر العِظات.

+ **قبل** الإعداد لحفلة نهاية السنة وبداية السنة الجديدة؛ إعداد قلوب وأذهان الناس **أولاً** لهذه الأيام الأخيرة وبداية الحياة الجديدة الأبدية المُقتَرِبة..

١٥ـ على الكاهن أن يحث الشعب على التناول، مع تَحذيرهم من مَوانِع التناول..

اِعتاد كبير كهنة كنيستي قديماً في عِظاته، في المَواسم التي تَزدَحِم فيها الكنائس بِالحاضرين الذين لا يتواجَدون إلَّا في المناسبات والأعياد السنوية؛ أن يقول للشعب: (أنا عاوِزكم كلكم تخُشُّوا تِتناولوا النهاردة، عاوز اشوف كل العدد اللي قُدامي دَه دِلوقتي في الهيكل بِيتناول، وماتخافوش إحنا مش ها نِتعب من مناولتكم كلكم).. ولكن في إحدى المرات التي ذكر فيها هذه الكلمات، وعند بدء مناولة الكهنة السِّر الأقدس للشعب؛ إنبَرَى له أحد الكهنة مُحَذِّراً الشعب، ومُكرِّراً تَحذيره علانيةً، قائلاً: (إللي مش مستعد ما يِتقَدمش للمناولة).

من الضروري بل من الواجب على الأب الكاهن أن يحث أبناءه على التقدم إلى التناول من جسد ودم الرب، موضحاً الأهمية الخلاصية الكثيرة الأنواع لهذا السر الأقدس، ليس فقط لِمَرَّاتٍ قليلة مُتناثِرة بين أيام السنة بل بمُواظبة وبمُداوَمة، خصوصاً أن هذه هى وصية رَب السِّر نفسه: "**إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ**" (يو٦: ٥٣). على أن يشرح ويوضح ويُحذِّر من حساسية اِقتناء هذه النعمة، ويكرر تحذيره، لِضرورة بل ولِوُجوب اِستعدادهم اللائق والكافي، روحيَّاً وجسديَّاً، قبل التقدم لتناول جسد ودم المسيح الرب، فَيَضع كل واحدٍ من السَّامعين في امتِحان نفسه ومسئولية اِختياره، مُصرِّحاً لهم بهذه التحذيرات الكتابية:

"لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَشْرَبُوا **كَأْسَ الرَّبِّ** وَكَأْسَ شَيَاطِينَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَشْتَرِكُوا فِي **مَائِدَةِ الرَّبِّ** وَفِي مَائِدَةِ شَيَاطِينَ" (١كو١٠: ٢١)،

"إِذاً **أَيُّ مَنْ أَكَلَ هَذَا الْخُبْزَ أَوْ شَرِبَ كَأْسَ الرَّبِّ بِدُونِ اسْتِحْقَاقٍ يَكُونُ مُجْرِماً فِي جَسَدِ الرَّبِّ وَدَمِهِ**. وَلَكِنْ لِيَمْتَحِنِ الإِنْسَانُ نَفْسَهُ وَهَكَذَا يَأْكُلُ مِنَ الْخُبْزِ وَيَشْرَبُ مِنَ الْكَأْسِ. **لأَنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بِدُونِ اسْتِحْقَاقٍ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ دَيْنُونَةً لِنَفْسِهِ غَيْرَ مُمَيِّزٍ جَسَدَ الرَّبِّ**. مِنْ أَجْلِ هَذَا فِيكُمْ كَثِيرُونَ ضُعَفَاءُ وَمَرْضَى وَكَثِيرُونَ يَرْقُدُونَ. لأَنَّنَا لَوْ كُنَّا حَكَمْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا لَمَا حُكِمَ عَلَيْنَا" (١كو١١: ٢٧ـ ٣٢).

كنتُ حاضِراً في أحَد القُداسات في إحدَى كنائس دَيري؛ وإلى مِيعاد التناول كان يتوافَد على الكنيسة مجموعاتٌ من الزائرين، وأثناء التناول فوجِئتُ بِراهبٍ ـ لا هو كاهن ولا هو مُدبِّر روحي بِالدير ولا هو مسئول إداري، ولكنه فقط من هُواة التحدُّث بِالميكروفون ـ يُقاطِع ألحان التوزيع ويقول للشعب: (إللي جِه مِتأخَّر وعاوز يِتناوِل يِتناوِل).. أبِهَذه السهولة يمكن لِمَن يُريد أن يُحَلِّل أو يُحَرِّم أو يُشَرِّع أو يُضيف أو يَحذِف من المَبادئ المُسلَّمة للاشتراك في السِّر الأرهَب؟!.. فالقداسات تُقام كل يوم والكنائس كثيرة. أم أن التَّقدُّم للجسد والدم الإلهي هو لمجرَّد (التَّبَرُّك)؟!

عن كتاب "كُن كاهناً لي"؛ كتب الأب ليف جيلليه:

[إن الاشتراك في عشاء الرب يُثير أمام الكاهن مشاكل عملية صعبة، **فهل عليه أن يُشجع تكرار إشتراك المؤمنين بكثرة؟ أم على عكس ذلك عليه أن يحافظ على قُدسية التناول بأن يجعل الإشتراك فيه قليل التكرار؟**

إننا لا نستطيع أن نقدم إجابة عامة ومُطلَقة على هذا السؤال. فمِما لا شك فيه أن المخلِّص يدعو إلى مائدته المقدسة كل مَن تَطَهَّر قلبه وضميره واشتاق بكل إخلاص أن يتَّحد بخُبز الحياة. ومن المؤكد أيضاً أن الكنيسة تريد أن يتقدم المؤمنون كثيراً إلى الأسرار المقدسة. **وقد نخطئ إذا ما اعتبرنا الإشتراك في الأسرار مكافأة لِبِر الأبرار، وإنما هو علاج لأجل الخُطاة**، وكثيراً ما يساعد بعض النفوس الضعيفة على تَفادي التجربة والقِيام فوراً بعد السقوط.

ومن ناحيةٍ أخرى **يجب على الكاهن أن يحترس من أن يؤخَذ الإشتراك في التناول بِاستِخفاف** وألَّا يصبح مجرد عادة أو روتين وألَّا يدفع ذلك إلى **نظرة مادية** للأسرار تُعتبَر فيها **ممارسة التناول في حَد ذاتها أهم من نِيَّة الشركة الفعلية مع الرب** والرغبة في نَوال النعمة.

وأخيراً يجب على الكاهن أن يُراعي الظروف والأوضاع المحلية، وأن يُعالج بِفِطنة ما يَعتَري بعض النفوس من خجل، وأن يَقبل بمحبة من جانبه تَعَفُّف[1] بعض الناس عن ذلك العمل الممتاز

[1] لعل الكاتب، أو المُترجِم، كان يقصد بكلمة تَعَفُّف هنا: "إستِعفاء".. (المؤلِّف).

في حَد ذاته. ويجب على الكاهن بالطبع أن يستشير أُسقُفه ويَستلهِم منه بعض التوجيهات، **وعليه أن يبحث كل حالة مُعيَّنة على حِدة ويجِد لها الحَل المناسب** وذلك بكل حِرص وفق حالة كل شخص واحتياجه.

وللكاهن **أن يَغتبِط حينما يرى المؤمنين يتقدمون للشركة مراتٍ عديدة، وبِاستحقاق**. وعليه أن يحث المؤمنين على الاتحاد بجسد ودم المسيح في جميع مناسبات الأعياد المسيحية الكبرى. **غير أنه يجب عليه أن يُولي إهتماماً أعظم للإدراك الصحيح لِسِر الإفخارستيا والاستعداد التقوي الحار له أكثر من إهتمامه بمجرد تكرار التناول**. وهذه هى النقاط التي يجب على الكاهن أن يُكثِر الحَث عليها: التناول من الأسرار، ليس فقط وليس أساساً، قبول الرب يسوع كَضَيف وكَغِذاء للنفس؛ **بل قبل كل شيء إشتراك في جسدٍ مَذبوحٍ ودمٍ مَسفوك...**][1].

والقديس يوحنا ذهبي الفم:

[سمِعتُ بِنَفسي عن قسيس شيخ وقور تَعَوَّد أن يرى رُؤى.. وقال أنه رأى في إحداها ـ وبمقدار ما أمكَنَه أن يمد بَصره ـ **سحابة من الملائكة في ملابس بَرَّاقة يُحيطون بالمذبح ويَنحَنون كما يليق بجنود في حَضرة مَليكهم**.. كما رَوَى آخَر ـ ليس كَناقِل قصة بل كمُستحق أن يكون شاهد عيان ـ أن الناس الذين على وَشَك الانتقال، **متى تَناولوا من الأسرار المقدسة بِضمائر نقية، عند آخِر نسمتهم تزفهم الملائكة وتحملهم تكريماً لِذاك الذي تَناولوه**][2].

---

[1] الأب ليف جيلليه: "كُن كاهناً لي"، ترجمة بيت التكريس بحلوان، عن الطبعة الفرنسية الصادرة في بيروت تحت إسم: SOIS MON PRETRE ، بإذن من الناشر: منشورات النور ـ بيروت، إصدار دار مجلة مرقس، فبراير ١٩٧٣، مطبعة مؤسسة فايقة محفوظ (يوسف كمال)، رقم الإيداع: ٢٢٠٣ لسنة ١٩٧٣، صفحة ٣٢.

[2] القديس يوحنا ذهبي الفم: "الكهنوت المسيحي"، صفحة ١٣٩.



هناك قضيةٌ أخرى هامة عَصرِية.. خلال حواري مع أحد الأشخاص، أخبَرَني بِأنه يتناول في كنيسة مارونية، فسألتُه: ولماذا لا تتناول في كنيستك الأرثوذكسية؟ أجابني: (أنا بَتناول على إيماني)!.. وقد أخبَرَني آخَر بِأنه يتناول في كنيسة إنجيلية، فسألتُه السؤال عَينه، وأجابني الإجابة عَينها تقريباً، وكأنهما قد تَلَقَّنا الرَّد من مَصدرٍ واحد.. وعلى العكس من هذَين؛ فقد أخبَرَني رجلاً كاثوليكياً بِأنه يتناول في كنيسته الكاثوليكية أو في الكنيسة الأرثوذكسية.

وعلى هذا؛ فقد يوجد آخَرون كثيرون غير أرثوذكسيِّين يتناولون في الكنيسة الأرثوذكسية، وآخَرون أرثوذكسيُّون ولكنهم مُتزوِّجون خارج كنيستهم الأرثوذكسية، أو مُطَلِّقون خارج كنيستهم الأرثوذكسية؛ يتناولون في الكنيسة الأرثوذكسية.. ما كل هذا؟! فهل يجب على الآباء الأساقفة والكهنة المُناوِلون، قبل كل مرة يُناوِلون فيها الشعب؛ أن يَتلوا عليهم موانِع التناول من جسد ودم المسيح الرب؟.. أعرف أكثر من كاهنٍ عند بدء مُناوَلته الشعب يُنَبِّههم لِمَوانِع التناول، وأوَّلها: (إللي بِتقدم للمناولة يكون أرثوذكسي، عِماداً وزَوَاجاً).

إلى وقتٍ قريب كانت قِمة تَعَجُّبي من أعمال محبة الله للبشر؛ هى من تَواضُعه وتجسُّده وقبوله ضعف طبيعتنا واحتماله آلام فِدائنا وحَمله خطايانا وتَحَمُّله كل نتائج سقوطنا ـ ولكن ما زاد على هذا هو أنه بِواسطة سِر الإفخارستيا الأقدَس يُوَحِّدنا به، بِالرُّغم مما نَحتَويه من جسد الموت وطبيعته الطِّينية والخطية الساكنة فينا والنَّقائص والعيوب والمَذَمَّات.. حقاً إنه "قَدْ أَحَبَّ خَاصَّتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ، **أَحَبَّهُمْ إِلَى الْمُنْتَهَى**" (يو١٣: ١)!!!.. ومع كل هذا؛ فهناك الكثيرون ممَّن يُشيحون بِوُجوههم عن هذا الحُب الإلهي ويُحجِمون عن التقدُّم لِهذا السِّر الأقدَس لِفَتَراتٍ طَويلة. وهناك الكثيرون ممَّن يَحِلُّون لأنفسهم أن يتقدموا له بِدون اِستعداد، الاستعداد الروحي أو الاستعداد الجسدي. وهناك الكثيرون ممَّن يتقدمون بِدون تَوبة. وهناك الكثيرون ممَّن يَهجرون كنيستهم الأُم لكي يتناولوا خارجاً. وهناك الكثيرون مِن غَير الأرثوذكسيين ممَّن يتناولون في الكنيسة الأرثوذكسية. وهناك الكثيرون ممَّن يتناولون وهُم يَعرِفون أنهم مُخالِفون لِشَريعة الإنجيل ولِقَانون الكنيسة..!

١٦ـ تَصَرُّفات شائِنة..

المَشاهد التالية هى **تَصَرُّفات حَدَثَت في الواقِع من آباء كهنة**، إن كانت بِطريقة عَفوِية أو إرادية، وسَردُها هنا هو بِهَدَف الاِحتِراز منها، **اِتِّقاءً لِغَضَب الله أولاً، ثم مَنعاً لِمَعاثِرِها:**

ـ كاهنٌ يَلطِم طفلاً، لا يتجاوَز عُمرُه العاشرة، لأنه عندما كان يُوزِّع لُقمة البركة مَدَّ له يَدَه اليُسرَى!

ـ كاهنٌ يلعب الكُرة مع بعض الشباب بِمَلعَب الكنيسة. وإن سألتَه: كيف هذا؟ تكون حُجَّته هى أنه يَتباسَط معهم لكي يَجذِبَهم إلى الكنيسة. إن هذا عَبَث وهَزل وسَخَف!.. أخشَى أن يوجد كاهنٌ ما زال بعد سِيامته شَغُوفاً بِمُشاهَدة مُبارَيات كُرة القدم!

ـ كبير كهنة كنيسة كبيرة بِالعاصِمة ـ لا يَرعَى فيها سِوَى كاهِنَين فقط معه ـ يُمانِع بِجُمود في سِيامة كاهنٍ جديد لِكَنيسته لِمُدةٍ تَزيد عن ٢٦ سنة، سَعياً منه في سِيامة اِبنِه!

ـ كبير كهنة كنيسة يترك لِزَوجته أن يكون لها نُفوذ في تَدابير شئون الكنيسة!

ـ كاهنٌ يتسبَّب في نقل أخيه الكاهن الحديث إلى كنيسة أخرى، بِحُجَّة سُوء طَريقته في الوَعظ، بينما السبب الحقيقي الدَّفين في نفسه هو أن الكاهن الحديث قد صارت له شَعبية أكثر منه!

ـ كاهنٌ يَنتَقِد الكاهن شَريكَه في الخدمة في نفس الكنيسة، من على المِنبَر في اِجتماع الشعب، مُنَدِّداً بِغضبٍ شديد اللهجة ببعض النِّقاط التي يُرَكِّز عليها شَريكُه في وَعظِه.

ـ كاهنٌ في عِظَته يتكلَّم على البَعض بِهَجوٍ وتَهَكُّم!

ـ كاهنٌ في احتياجِه لِنشاط أحَد من الخُدام في أعمال الخدمة، أو لكي يَكسَب وَلاءَه وطاعَتَه له؛ يُلَمِّح له بِغَير مِصداقية، بِأسلوبٍ غير مباشر، بدرجة القِسِّيسِيَّة!

ـ كاهنٌ يُشجِّع أتباعه من الخدام ـ بِأسلوبٍ مباشر أو غير مباشر ـ على التحزُّب ضِد خُصُومِه من خُدامٍ آخَرين!

ـ كاهنٌ (الكاهن الخَديم)، وأثناء ممارسته لِطَقس القُداس، يتهامَس مع أحد الشمامسة المُقرَّبين له على أحد الحاضِرين بِسُخرِية!

ـ كاهنٌ (الكاهن الحَديم)، وأثناء تَرديد الشعب مَرَدَّاتهم، يَهذِر مع شماسٍ واقِف بِجواره أمام المذبح، أو يقول عبارة هَزلية يُضحِك بها الشمامسة الواقفين معه، بِالرُّغم من وُجود الذبيحة!

ـ كاهنٌ يتشاجَر أمام المذبح مع قائد المُرتلين (المعلِّم) ـ لِسببٍ أو لِآخَر ـ على مَرأى ومَسمَع من المُصَلِّين، كلٌ منهما في ميكروفونه، أثناء وجود الذبيحة!

ـ كاهنٌ يستخدم ألفاظ الدُّنيا، وبعضها ألفاظ خارِجة؟ وحُجَّته في ذلك هى أنه يتعامل مع فِئات الناس بِالأسلوب الذي يُناسِب كلاً منهم!

ـ كاهنٌ يَلتحِق بِالجامعة (التعليم المفتوح) لِيَحصُل على مُؤهلٍ جامعي أو لِيَدرِس مواد أحد العلوم، ويحضر المحاضرات جالِساً بين الطلبة والطالبات!

إن كان الكاهن من بعد سِيامته يكون قد عَبَرَ مرحلة المُذاكَرة، فلا يكون من المُناسِب له أن يترك رَعِيَّتَه ويَستَهلِك طاقَتَه ووَقتَه ويُشغِل فِكرَه في غير أمور خدمته، حتى لَو في الدراسة في الكلية الإكليريكية؛ فماذا يُقال بعدُ لذلك الكاهن الذي ـ فوق كل هذا ـ يَستَهتِر بِوَقار كهنوته؟!

ـ كاهنٌ يَلجَأ إليه لَدَى مكتبِه أحَدُ أبناء الكنيسة، يريد أن يتكلم معه في أمرٍ هام، وقد اِستَأذَن الحاضِرين في تَخَطّي دَورِهم، وطَلَبَ من أحدهم أن يُبَلِّغ الكاهن، وقد بَدا عليه أن الأمر عاجِلٌ.. وأمَّا ذلك الكاهن، فَلِكي يَظهَر أمام الحاضِرين بِمَظهَر العادِل المُنَظِّم والمُدَقِّق ـ مع أنه لم يتبقَّ أكثر من اِثنَين أو ثلاثة أفراد ـ لم يستمِع إلى نِدائه، بل نادَى على مَن جاء دَورُه.. ولَمَّا أنهَى مُقابَلاته إذ به لا يجِد ذلك (المُستَغيث).. تُرى هل كان الأمر مُتعلِّقاً بِخلاص نفسه، أو نفس أحدٍ غَيره، وقد سَدَّ ذلك الكاهن أُذُنَيه عن صُراخِه (أم٢١: ١٣)؟!.. لَعَل ذلك الكاهن يَنطَبِق عليه قَولُ الرب: "فَإِنَّهُمْ **يَحْزِمُونَ أَحْمَالاً ثَقِيلَةً عَسِرَةَ الْحَمْلِ وَيَضَعُونَهَا عَلَى أَكْتَافِ النَّاسِ**، وَهُمْ لاَ يُرِيدُونَ أَنْ يُحَرِّكُوهَا بِإِصْبِعِهِمْ" مت٢٣: ٤

ـ كاهنٌ يَلجَأ إليه أحد أبنائه لكي يُساعده على الإجراء المناسب مع مَن تَطاوَل عليه بِالاِعتِداء، ولِما لذلك الكاهن من كلمة مَسموعة في المنطقة اِستَدعَى المُعتَدي، ولكن كل ما فَعَلَه في مُدة ٣ دقائق

هو أنه قال: (ليه كِدة يا احمد، دا انتو اخوات، لا لا.. ياللّا سلِّموا على بعض. إنت قُول الفاتحة وانت قُول أبانا الذي)، "أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ...". ثم قدَّم له ـ للمُعتَدي ـ أجِندة هدية.

وقد خرج المُعتَدي مُنتَفِخاً بِطُغيانه، بل وحاصِلاً على (مُكافأة) اِعتِدائه! أمَّا (المِسكين) فقد مَضَى مُجتَرَّاً خَيبَة أمَلِه ومُحبَطاً في راعِيه..

"حَتَّى مَتَى تَقْضُونَ جَوْراً وَتَرْفَعُونَ وُجُوهَ الأَشْرَارِ؟ سِلاَهْ. اِقْضُوا لِلذَّلِيلِ وَلِلْيَتِيمِ. أَنْصِفُوا الْمِسْكِينَ وَالْبَائِسَ. نَجُّوا الْمِسْكِينَ وَالْفَقِيرَ. مِنْ يَدِ الأَشْرَارِ أَنْقِذُوا" مز٨٢: ٢ـ ٥

"وَيْلٌ لِلَّذِينَ يَقْضُونَ أَقْضِيَةَ الْبُطْلِ وَلِلْكَتَبَةِ الَّذِينَ يُسَجِّلُونَ جَوْرَاً" إش١٠: ١

"وَيْلٌ لِلْحُكَمَاءِ فِي أَعْيُنِ أَنْفُسِهِمْ وَالْفُهَمَاءِ عِنْدَ ذَوَاتِهِمْ... الَّذِينَ يُبَرِّرُونَ الشِّرِّيرَ مِنْ أَجْلِ الرَّشْوَةِ. وَأَمَّا حَقُّ الصِّدِّيقِينَ فَيَنْزِعُونَهُ مِنْهُمْ" إش٥: ٢١، ٢٣

"مُبَرِّئُ الْمُذْنِبَ وَمُذَنِّبُ الْبَرِيءَ كِلاَهُمَا مَكْرَهَةُ الرَّبِّ" أم١٧: ١٥

"رَفْعُ وَجْهِ الشِّرِّيرِ لَيْسَ حَسَنًا لإِخْطَاءِ الصِّدِّيقِ فِي الْقَضَاءِ" أم١٨: ٥

"إِنْ رَأَيْتَ ظُلْمَ الْفَقِيرِ وَنَزْعَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ فِي الْبِلاَدِ فَلاَ تَرْتَعْ مِنَ الأَمْرِ لأَنَّ فَوْقَ الْعَالِي عَالِياً يُلاَحِظُ وَالأَعْلَى فَوْقَهُمَا" جا٥: ٨

"أَصْغوا أيُّها المُتَسَلِّطونَ على الجَماهير والمُفتَخِرونَ بِجُموعِ أُمَمِكم! لأَنَّ سُلْطانَكَ مِنَ الرَّبّ وقُدرَتَكم مِنَ العَلِيّ وهو الَّذي سَيَفحَصُ أَعْمالَكم ويَستَقْصي نِيَّاتِكم. فإِنَّكم أَنتُمُ الخادِمينَ لِمُلكِه لم تَحكموا بِالصَّوابِ ولم تَحفَظوا الشَّريعة ولم تَسيروا بِحَسَبِ مَشيئَةِ الله. فسَيَطلعُ علَيكم مَطلَعًا مُخيفًا وسَريعًا لأَنَّ حُكْمًا لا يُشفِقُ يُجْرَى على الوُجَهاء. فإِنَّ الصَّغير أَهْل الرَّحمَة. أَمَّا أَرْبابُ القُوَّةِ فبِقُوَّةٍ يُفحَصون. وسَيِّدُ الجميع لا يَتَراجعُ أَمامَ أَحَد ولا يَهابُ العَظَمَةَ، لأَنَّ الصَّغير والكَبير هو صَنَعَهما وهو يَعتَني بِالجَميعِ على السَّواء. لكِنَّ المُقتَدِرينَ يَنتَظِرُهم تَحْقيقٌ شَديد" حك٦: ٢ـ ٩

"هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: احْفَظُوا الْحَقَّ وَأَجْرُوا الْعَدْلَ. لأَنَّهُ قَرِيبٌ مَجِيءُ خَلاَصِي وَاسْتِعْلاَنُ بِرِّي" إش٥٦: ١...

أبي الأسقف..



†

† مَهام الأسقف †

١ـ حِفظ **الإيمان** والتعليم: بِنَفسه ـ بِالخُدام

٢ـ حَمل الشعب على **التوبة** والإقلاع عن الخطايا

٣ـ **التنظيم**. تنظيم الشعب ـ تنظيم الخدام ـ تنظيم الأعمال

٤ـ تشجيع الرعية على **الحياة البتولية وتكريس النفس** للمسيح

٥ـ **التلمذة** وإعداد الصف الثاني والكَوادِر، بِتَفعيل طاقات ومهارات الأفراد

٦ـ **تَعيين القادَة، وإرسال خدام** روحانيين، اِثنَين اِثنَين لِافتقاد البَعيدين والمُحتاجين

٧ـ السَّعي نحو تحقيق **الوَحدة** داخل الكنيسة: بين الأفراد وبعضهم، وبين القِطاعات وبعضها

١ـ "**عِمَّانُوئِيلُ**"؛ اِسمٌ لله المُتأنِّس وَحدَه (إش٧: ١٤؛ مت١: ٢٣)، لا يَصِح أبَداً أن يُكَرِّس به الأسقف إنساناً، راهباً كان أم كاهناً، تماماً مثلما لا يَصِح أن يسيم كاهناً أو راهباً بِاسم "**يسوع**".

٢ـ طوبَى لِراعٍ يوجد بِإيبارشيته دَيرٌ لِرهبان يَستعين بِاتفاق تضرعهم معه في مواجهته لأزمةٍ ما.

٣ـ على الراعي أن يميِّز بين كلٍ من: مواهب العمل الكَنَسِي، ومواهب التَجَدُّد الشخصي:

مواهب العمل الكَنَسِي هي لِأنواع خِدَم:

"كَلاَمُ حِكْمَةٍ... كَلاَمُ عِلْمٍ... إِيمَانٌ... مَوَاهِبُ شِفَاءٍ... عَمَلُ قُوَّاتٍ... نُبُوَّةٌ... تَمْيِيزُ الأَرْوَاحِ... أَنْوَاعُ أَلْسِنَةٍ... تَرْجَمَةُ أَلْسِنَةٍ" (١كو١٢: ٨ـ ١٢).

وهذه سُلطات روحية يمنحها الروح القدس للبعض كما يشاء، وغالباً، على غير توقُّعٍ منهم (عا٧: ١٤، ١٥)، "لأَجْلِ تَكْمِيلِ الْقِدِّيسِينَ، **لِعَمَلِ الْخِدْمَةِ، لِبُنْيَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ**" أف٤: ١٢، وعدم وجودها لَدَى البعض الآخر لا يتوقف عليه خلاصه ونموه في الروح واقتنائه للفضائل.

غالباً تكون المواهب الخدميَّة من مَظاهر قامة الراعي الروحية العالية، لكن هذا ليس دائماً، فإنه قد تَنَبَّأَ كلٌ من: الكاهن عالي (١صم١: ١٧؛ ٢: ٢٠)، والعَرَّاف الأُمَمي بَلعام (عد٢٣، ٢٤)، وقَيافا "إِذْ كَانَ رَئِيساً لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ؛ **تَنَبَّأَ**" (يو١١: ٥١)، كما أن هناك أصحاب مواهب سَيُحكَم عليهم في يوم الدين ويَهلكون، كَقَول المسيح الرب: "كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ! **أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا، وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ، وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟** فَحِينَئِذٍ أُصَرِّحُ لَهُمْ: **إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ!**" (مت٧: ٢٢، ٢٣)..

كما أن غياب المواهب الخدميَّة ليس دائماً مؤشراً دالاً على القُصور الروحي لَدَى الراعي، فقد شَهِدَ الرب يسوع المسيح نفسه عن القديس يوحنا المَعمَدان بِأنه: "لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ **يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ**" (مت١١: ١١)؛ ومع هذا فقد كُتِب عن هذا الـ "أَعْظَمُ" أنه: "**لَمْ يَفْعَلْ آيَةً وَاحِدَةً**" (يو١٠: ٤١).

هناك فَرقٌ بين الموهبة وبين القامَة.

وكلمة الإنجيل تعلّمنا نحن أولاد الله بِصِفةٍ عامة، والرعاة بِصِفةٍ خاصة:

"وَلكِنْ **جِدُّوا لِلْمَوَاهِبِ الْحُسْنَى**. وَأَيْضًا أُرِيكُمْ **طَرِيقًا أَفْضَلَ**" ١كو١٢: ٣١

فالمواهب الأفضل التي يجدُر بنا أن ننشُدها ونطلبها ونسعَى إليها، بل ونقلق إذا تأخَّرت علينا؛ فهى **مواهب التجدُّد الشخصي الداخلي**: "**وَأَجْعَلُ وُكَلاَءَكِ سَلاَماً وَوُلاَتَكِ بِرّاً**" (إش٦٠: ١٧)، الذي يزداد يوماً فيوماً (٢كو٤: ١٦)، وعلامتها: المحبة (١كو١٣: ١ـ ٤)، وتشمل: جِدَّة الروح (رو٧: ٦)، وجِدَّة الذهن (رو١٢: ٢؛ أف٤: ٢٣)، وجِدَّة الحياة كلها (رو٦: ٤؛ غل٦: ١٥؛ أف٤: ٢٣).

فنَصير "**فِي الْمَسِيحِ... خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ**" (٢كو٥: ١٧)، إلى أن يتمم الروح القدس تجديدنا الشامل والكامل في ملكوته الأبدي (مت١٩: ٢٨؛ رؤ٢١: ٥)، إلى أن ينتهي بنا "**إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ**" (أف٤: ١٣)، ويقودنا قُدُماً إلى الامتلاء "**إِلَى كُلِّ مِلْءِ اللهِ**" (أف٣: ١٩)!

كتب الأب يوحنا الدَّرَجي:

[يُغَبِّط البعض موهبة اِجتِراح العجائب وغيرها من المواهب الروحية الظاهرة أكثر من كل شيءٍ آخَر، وقد غاب عن بالِهم أن **مواهب كثيرة خفيَّة تفوق تلك، ولذلك تبقَى في مَنأى عن السقوط**][1].

ويقول كاتب كتاب "الكاهن القبطي":

[**مثل هذا الكاهن لا تنتظر منه معجزات، إنما أبصِر فيه أُبُوة روحية** رَحبَة تَكرَه الخطية وتَفوح منها رائحة قداسة المسيح العملية، التي **تَفتَح الأحضان وتُطيل الأناة على كل خاطئ وأي خاطئ**][2].

---

[1] الأب يوحنا السُلَّمي: "السُلَّم إلى الله (رسالة إلى الراعي)"، صفحة ٢١٥.

[2] المتنيح الأنبا بيمن والقمص يوسف أسعد: "الكاهن القبطي"، صفحة ١٨١.

٤ـ إن كان قديسٌ لا يخضع لنظامٍ جماعي، أو هو مالك السلطة العُليا على نفسه وصاحب قرارِه لا يُسائِله أحد (متوحد ـ أسقف..)؛ فَليَتنبَّه أن لا يترك لنفسه أن ترجع إلى حياته إحدى جهالات الصِّبا، أو أن يَنشَط لديه أحَد الأوجاع، الذي قد لا يلاحظه هو في نفسه، بل قد يلاحظه عليه آخَرون.. قد يمكن أن يكون الأمر خاص به وحده، وقد يمكن أن يكون مُتعلَّقاً بتدبيره للرعية.

ويبدو أن معالجة هذا تتأتَّى لا بمحاسبته لنفسه فقط، ولا بِمُطالَعَته للكلمة وحدها؛ بل بمكاشفته جميع تدابيره لأبيه الروحاني الحكيم.

لِنَذكر أن الحِصن الذي كان يلجأ إليه داود الملك هو أبوه صموئيل (١صم١٩: ١٨)، كما لم يُنبِّه لِخطيته ولم يرُده غير النبي ناثان (٢صم١٢: ١٣).

يقول القديس ساويرس بن المقفع (من آباء القرن العاشر):

[**لا يجب على أحد أن يجعل نفسه رأساً بغير رأس، ولا أباً بغير أب، ولَو كان رئيس الكهنة الذي ليس فَوقه في الرئاسة أحَد، وأب الآباء الذي ليس فَوقه في الآباء أحَد.** فلا يجب أن يترك نفسه بغير أب يخضع له. بل يجب عليه أن يتَّخِذ واحداً من تلاميذه وأولاد كهنته يختاره أباً له، ويخضع لمَشورته كَي لا يبقَى بغير أب فَيَتَشَبَّه بالذي ليس له أب ولا رأس. وهذه الكبرياء لم يختطِفها اِبن الله الوحيد الخالق بل حقَّق أنه ابنٌ خاضِعٌ لِآب وطائِعٌ لِأوامره لكي يُعلِّمنا أيضاً أن نفعل مثله. ولا يجعل أحَد مِنَّا نفسَه أبداً بِلا أب أو رأس يَخضع له ما دام حيَّاً على الأرض][(١)].

[إننا في الكنيسة الأرثوذكسية لا نؤمن بِعِصمة أحد. لأن الإنسان طالَما في الجسد فهو مُعرَّض للحروب وللإنحراف وللسقوط. **وسِر الكهنوت المقدس وإن كان يعطي سُلطاناً روحياً؛ لكنه لا يعطي عِصمة عن الخطأ.** فالكتاب المقدس، الذي كَتَبَه أُناسُ الله القديسون مَسوقِين من الروح القدس، وهو يُقدِّم النماذج البشرية التي انفتحت للقداسة، لم يَغفَل أن يَذكُر أخطاء مميتة إرتكبوها][(٢)].

---

(١) المرجع السابق: صفحة ١٠٧.

(٢) المرجع السابق: صفحة ٢٥٦.

٥ـ إرسالية راهب للخدمة ليست مَدعاةً لِتَخلِّيه عن منهجه الرهباني وانصرافه عن تدبيره النُّسكي. الراهب الذي يُوفَد للخدمة ولا ينتبه إلى نفسه، فَيَتحول عن هدفه ويُهمل طريقَه الأصيل؛ يكون قد طلَّق رهبنته طلاقاً باطِلاً!

فَهَل بِداعي (دَوَّامة) الخدمة يَفقد الراعي، الراهب، شخصيتَه الرهبانية التي قد رَبَّاه الروح القدس عليها لِسَنَوات، فَيَبدأ يَبرُد أو يَفتُر، ويَنحَدِر من عُلو قامته الروحية، ويفقد هدفه، وتتبدَّل أولوِيَّاته، ويُصَفِّي عن بَعوضة الشكليات والرسميات بينما يَبلَع جَمَل رحمة السيد المسيح وتَواضُعِه وبِرِّه، ويُصاب بِعَدوَى طُرُق تَعامُل أهل الأرض، ويترك لِنَفسه أن يتعرَّف على ما لم يَكُن يَعرِفه، ويَعتاد مناظر النساء..؟!

وحَتماً سَيؤثِّر هذا على تَواضعه القديم، وصلواته وتسبيحه وتأملاته، ونُسكه، وتَلمذته على الكلمة، وتَلمذته على أبٍ روحاني، وفَقرِه الخاص. وماذا بعد هذا عن هدوئه، ومحاسبته لنفسه، وتوبته واعترافه بِأخطائه!

الراعي مختارٌ مُؤتَمَنٌ من الرب على قَطيعِه، وهو سَفير بَلَد الرهبنة في أحد أملاك كُرُومِه، مثل الراعي يوسف الذي في كل مجده لم ينسَ بَلَدَه وعهدَ الله بِآبائه، حتى استحلَفَ قَومَه قائلاً: "**فَتَصْعِدُونَ عِظَامِي مِنْ هُنَا**" (تك٥٠: ٢٤، ٢٥).. لِذا فإلى جانب خدمته من صلوات الكنيسة الليتورجية والتعليم والافتقاد والعناية بِالفقراء ورعاية الحالات الخاصة ـ ليُراقب الراعي نفسه: أين أنا الآن؟ هل كانت الوَكالة التي اؤتُمِنتُ عليها عَوناً لي في تكميلي لِجِهادي وتَحقيقي لِهَدَفي؛ أم أنها كانت ـ بِتَهاوُني ـ سبباً في تأخُّري؟

فما هو الحافظ لِقَلب الراعي ولِقَامته ولِحَيَويته الروحية؟ أو ما هو المُقَوِّم أو الضابط لِأقل اِنحِرافٍ يَعتَري جِهادَه..؟ إنه هو:

التدبير الروحي الخاص: صلوات المخدع ـ مُطالَعَة الكلمة ـ النُّسك ـ الخلوة ـ التقويم الذاتي..

فَليَتَوافَر الراعي على زيارة دَيرِه وقلايته القديمَين.



إن كان هذا أمْراً يَدعو للعَجَب؛ أنه من بين المكرَّسين لله مَن ليس له علاقة معه ولا معرفة به؛ فالعَجَب الأكثر هو من راعٍ لَيسَت له صلواتُه الخاصة المخدعية!

[**الإنحِراف درجة واحدة في البداية يَصِل إلى مائة وثمانين درجة في النهاية، ذلك إن تَوَقَّف في نهاية!** وأول هذه الإنحرافات الرعوية هى الإنشِغال بالخدمة الرعوية والإنغِماس في الأنشطة الكَنَسِيَّة لدرجة الاستِغراق المريض، **الذي يُهمِل فيها أساسيات المُبتدِئين في الإيمان، أي إستِمرارية التوبة وحرارة العبادة**، والذَين بدونهما يتعرَّض الراعي لِفُقدان الحياة الباطِنية التي هى جنة العروس المُغلَقة على عريسها السمائي وحدَه. ورُبما يكون الدافِع في البداية في ظاهِرِه صالحٌ جداً، وهو الافتقاد الرعوي ومشاكل الناس.. ومع عدم تَوَقُّف الشعب عن طلب الرعاية يدخل في دَوَّامة مُتصِلة، **حتى يُهمِل صلواته الخاصة التي رُبما كان يَقضي جانباً كبيراً من الليل فيها يَشبع من سَيِّده ومُرسِله مُتجدِّداً به**، وبالتدريج، مع بَريق النجاح الظاهري **يهرب الراعي من هذه الحياة الباطنية لِيُلقي بنفسه في الدوَّامة لِيُبرِّر ضميره بأنه يخدم**، والحقيقة أن ساقِيَته تَدور على بِئر بِلا ماء!][1].

[1] المرجع السابق: صفحة ٢٥٨.

٦ـ فَليَذكر الأسقف دائماً أنه "راهبٌ". فمِن أوَّل يومٍ يبدأ فيه خدمة أسقفيته الجليلة؛ يُخلِ جَناح إقامته، وخُدَّامَه الشخصيين أو المُباشرين، من وجود اِمرأة: مُكرَّسة، سكرتيرة، عامِلة... إننا في زمنٍ النساءُ فيه هُنَّ اللَّائي يُراوِدن الرجال (بِطَرائِقِهِن)، والرهبان بل والأساقفة غير مَعفِيين، ولا اضطِرارٌ هُنا لِتَسجيل وقائِعَ بِالكنائس التي تتضمَّن منهج البتولية (أخبَرَني راعٍ كاثوليكيّ بارِزٍ بِإحصائيةٍ تُفيد بِأن عدداً كبيراً ورُتَباً عالية في كنيسته، خلال العُقود الماضِية، من جُملة عِدة بِقاعٍ؛ قد اِستهانوا بِكَراماتهم الروحية فَهَجروا مَسحَتهم الكهنوتية وتزوَّجوا).

كما لأن للمرأة مَهارة (إشعال) مدينة بِأكملها، وبدون اِستخدام وقود: **"وكل خُبث ولا خُبث المرأة!"** سي٢٥: ١٩. إن الذي دَفَعَ أكبر التلاميذ وأقواهم إيماناً إلى إنكار الرب، لم يكُن هو أحد رؤساء الكهنة، ولا أحد الفَرِّيسيين، ولا قائد جُند الهيكل؛ بل كانت هي: البَوَّابة!

كتب القديس يوحنا ذهبي الفم: [**فالأمور التي تستخدمها النساء في الإغراء، كافية أن تُشوِّش العقل**، ما لم تتصَدَّى لها النفس بتحكمٍ شديد.. لأن مَظهر السلوك البسيط (لَدَى المرأة) ومظاهر الفقر والحِرمان؛ **قد تستميل الناظِر في البداية إلى أن يَرثِي لها ثم تقوده إلى هلاكٍ كُلّي**.. فإذا كان بواسطة الغِنَى أو الفقر، الجَمال أو القُبح، التَّزَيُّن أو إهمال المظهر، **بِفنون الإغراء التي تستخدمها المرأة أو بالأشياء التي تختلف عنها**.. قد سقط قَومٌ وبسهولة وهلكوا نتيجة ما تُنشِؤه في نفس ناظِرها من حرب ـ فكيف يمكن أن يتنفس الكاهن وقد أحاطت به كل هذه الفِخاخ؟؟ وأي ملجأ يمكن أن يَلوذ به لكي يحفظ نفسه بغَير قلق من الأفكار الدنسة؟؟][1].

[فما أكثر الظروف القادرة في المجتمع على تَضليل الفِكر وإعاقة الطريق المستقيم المؤدِّي إلى الله. **وأعظم هذه الشرور مُخالَطة النساء**][2].

في تَعامُل المرأة مع الرجل عامةً؛ يَغلِب عليها البُعد العاطِفي والأُنثَوي، فَيَكون تَوَجُّهُها نَحوه ـ إرادِيَّاً بِقَصد أو لا إرادِيَّاً بِغَير قَصد ـ كَمَن فيه القوة التي تُعَوِّض ضَعفها والعاطِفة التي تُغَذِّي ذاتَها.

[1] القديس يوحنا ذهبي الفم: "الكهنوت المسيحي"، صفحة ١٣٥.

[2] المرجع السابق: صفحة ١٤٦.

عن هذا الأمر خاصَّةً؛ كتب القمص يوسف أسعد، وعن موقف الرعاة عامةً إزاء النساء، وقد تَضَمَّن حديثُه الفقرات الهامة التالية:

[على أن طبيعة المرأة تنطَوي على سَلبيات فطن لها القديسون وسجَّلها الكتاب المقدس، **فهى ترغب الشخصية القوية (في الفِكر أو المال أو النفوذ أو العضلات) لكي تسيطِر عليها** فتُعوِّض إناءها النسائي الأضعَف (١بط٣: ٧) بالشعور المُسيطِر والإحساس بقوتها.. **لا مانع عندها في التظاهُر بالضعف لكي تصِل إلى ما تريد** كقادرة. وهى ترى في الكاهن ذلك الرجل صاحب النفوذ وَسط الكنيسة، **فتعمل للوصول إليه والاستِحواذ عليه.** وامرأة علَّمت اِبنها الملك لَموئيل ملك مسَّا، قالت له: "**لاَ تُعْطِ حَيْلَكَ لِلنِّسَاءِ وَلاَ طُرُقَكَ لِمُهْلِكَاتِ الْمُلُوكِ**" (أم٣١: ٣)...

وعندما تجد المرأة نفوذاً أقوى في الأسقف مثلاً؛ فلا مانع عندها من **إهمال الكاهن والتودُّد للأسقف** لكي تحقِّق سَيطرتها على نفوذٍ أوسع!.. وعندما تجد الكاهن (دُوغري straight) فلا مانع عندها من قضاء حاجات زوجته وأولاده حتى تحقِّق ما تريد ولكن بأسلوب آخَر.. ومحبتها للمِلكية، وسَيطرتها على ذَوي النفوذ، عندما تتعرَّض لمُنافسة من أي امرأة أخرى، حتى ولَو كانت خاطئة تُعالَج، فإنها **لا يمكنها كِتمان الغَيرة الردية** التي قال عنها يشوع بن سيراخ: "لكن **المرأة الغائِرة من المرأة وَجَع قلب ونوح.** ولسانُها سَوط يُصيب الجميع" (سي٢٦: ٨، ٩). **وهذا يُعرِّض الكاهن إلى مُنازَعاتٍ لا سبب حقيقي وراءها سِوَى غَيرة اِمرأة أرادت أن تمتلكه ولم يُمكِّنها من ذلك، كما يُعرِّضه لأساليب (كَيد) يظهر بِخُبث** قال عنه يشوع بن سيراخ أيضاً: "غاية الألم ألم القلب **وغاية الخُبث خُبث المرأة.** كل ألم ولا ألم القلب، **وكل خُبث ولا خُبث المرأة**" (سي٢٥: ١٧- ٢٠)، الذي اِختبر خُبث المرأة فقال: "**ولا غضب شَر من غضب المرأة.** مُساكَنة الأسد والتنين **خيرٌ عندي من مُساكَنة المرأة الخَبيثة**" (سي٢٥: ٢٣).

إن خدمة النساء تمتحِن الكاهن، ونجاحُه فيها ضَمان لِسلام الكنيسة كل الكنيسة][1].

[1] المتنيح الأنبا بيمن والقمص يوسف أسعد: "الكاهن القبطي"، صفحتَي ٢٠٦، ٢٠٩.

إن قامة الراعي تتعلَّق، بالضرورة، بِبَراءته في التعامُل مع النساء.

إن حَاكَ المجرِّب أُحبُوكَته السَّخيفة المعروفة، فدَفَع إحداهُن إلى التَوَدُّد إلى الراعي؛ فَليَرْدَعها عن الإتيان إليه أو مُخاطَبته، فالكلمة تقول: "**فَاقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ**" (مت٥: ٣٠؛ ١٨: ٨).

أمَّا إن دَعَت الضرورة، بِحُكم اِختِصاصه، إلى التعامل مع إحداهن؛ فَليَكُن تعامُله معها:

- إمَّا بِأن يُحوِّل طَلَبَها إلى أحد الكهنة المُختصِّين بالأمر؛

- وإمَّا بِأن تكون مُقابلته لها في وجود رجُل من ذَوِيها (أبوها/ زوجها..): "اذْهَبِي وَادْعِي زَوْجَكِ"؛

- وإمَّا بِأن تكون مُقابلته لها على مَرأى من المَوجودين.

وفَضلاً عن هذا فإن هذا التدبير ليس من أجله وحده؛ بل ولكي لا **يَصدِم** ضمير الضُّعَفاء: "وَلَسْنَا نَجْعَلُ **عَثْرَةً** فِي شَيْءٍ لِئَلاَّ تُلاَمَ الْخِدْمَةُ، بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ نُظْهِرُ أَنْفُسَنَا كَخُدَّامِ اللهِ" (٢كو٦: ٣، ٤)، "**مُتَجَنِّينَ هذَا أَنْ يَلُومَنَا أَحَدٌ** فِي جَسَامَةِ هذِهِ الْمَخْدُومَةِ مِنَّا" ٢كو٨: ٢٠

"حَسَنٌ أَنْ لاَ تَأْكُلَ لَحْماً وَلاَ تَشْرَبَ خَمْراً وَلاَ شَيْئاً **يَصْطَدِمُ** بِهِ أَخُوكَ أَوْ **يَعْثُرُ** أَوْ **يَضْعُفُ**" (رو١٤: ٢١)، "لِذَلِكَ إِنْ كَانَ طَعَامٌ **يُعْثِرُ** أَخِي فَلَنْ آكُلَ لَحْماً إِلَى الأَبَدِ لِئَلاَّ أُعْثِرَ أَخِي" (١كو٨: ١٣)..

(قبل رَهبنتي؛ كنت أحَد المُنتظِرين بِحُجرة الاستقبال لِمُقابَلة أحَد الآباء الأساقفة، وكانت مُقابَلَتُه لِكل أحَدٍ لا تَستَغرِق أكثر من دقائق. وقَدَمَت اِمرأة يَبدو عليها أنها ذات معرفة به، وما أن علِم الأسقف بِقُدُومِها حتى أمَرَ بإدخالها، وقد اِستَغرَقَت مُقابلتُه لها زمناً طويلاً حتى مَلَّ المُنتظِرون. لا أقول هذا إلَّا لِهذا الأمر الواحد؛ وهو أن أحَد المُنتظِرين قد أصدَر تَعليقاً مُشيناً).

إن مَتاعِب الرئاسة الرعوية جَسيمة ومُتنوعة، إن كانت من جِهة موضوعنا هذا أم غَيرِه. ويَذكُر لنا التاريخ الكَنَسِي، قديماً وحديثاً، أن عدداً من الأساقفة بَعد سِيامتهم اِستَعفَوا من خدمة الأسقفية (أشهَرهُم مار إسحاق السرياني)، وأن عَدَداً من البطارِكة، والأساقفة، لَمَّا تَعِبُوا من ثِقَل المَسئوليات التي يُواجِهونها وتُؤَرِّقهم؛ طلبوا إلى الله أن يُريحَهم من أتعاب هذا العالم ويأخذ أنفسهم.. لأنه ماذا ينتفِع الراعي لَو ربِحَ شعب إيبارشيته كله للحياة ولكنه خَسِر نفسه؟!

وفي هذا كتب ذهبي الفم:

[يَجدُر بمَن نال هذه الخدمة أن يُكرِّس حياته من أجلها؛ **أو يتنحَّى عنها** كما يَحِق للمسيحي، عِلماً أن **التنحّي** لا يقل في مُجازاته عن الوفاء بالخدمة][1].

وفي العَصر الحديث؛ ذُكِر أن أسقفاً لِإحدَى إيبارشيات الوَجه البحري (في سَبعينيَّات القَرن الماضي)، وبسبب مَتاعِب بشرية بِالكنيسة؛ أنه طلب إلى الله إمَّا أن يأخذ منه الأسقفية وإمَّا أن يأخذ نفسَه هو، وقد اِستجاب الله له فبعد فَترَةٍ قليلة تَنَيَّح. وكذلك أسقفاً عاماً كان قبل أسقفيَّته يَرأس دير الأنبا أنطونيوس (في ثَمانينيَّات القَرن الماضي)، ومن أجل هذا السبب عَينه؛ صلَّى إلى الله أن يأخذ نفسَه لأنه لم يَعُد يَحتمل أكثر، فظهر له الأنبا أنطونيوس في رُؤيا وعَزَّاه، ثم بعد قليلٍ أيضاً تَنَيَّح.

إن الذي يهُم راعي الرعاة أكثر من نجاح الراعي في خدمته، بل وقبل خلاص رعيته؛ هو قامَة الراعي نفسه، فالسَّبعُ المَنايِر (الكنائس) هى عند الرب، وأمَّا السَّبعة الكواكب (الرعاة) فَفي يَده اليُمنَى (رؤ١: ١٢- ١٧).

الأب الراعي، إنه مع الأعباء والضغوط؛ تتجه النفس، تِلقائياً، إلى أقرب عزاء بشري مُتاح، ولكن سُرعان ما ينقلِب هذا العزاء البريء، تِلقائياً أيضاً، إلى عاطفة ذاتية وجسدية، بالرُّغم من الفوارِق والحدود. فلا يُغالِطَنَّ الراعي نفسه ويقول: (هذه مثل اِبنتي). (خادمٌ كان مُتبَتِّلاً، وكانت قريبة منه خادمة تَصغُره بـ ٢٠ سنة، فبعد زمنٍ تعلَّقت به، وقد صارَحَني أنه هو نفسه فكَّر فيها، بِالرُّغم من هذا الفارِق في السِّن. هذا مثالٌ فقط من بين حالاتٍ كثيرة).. لكن لِيَطلُب الراعي العزاء الروحي الحقيقي من مَصدَره؛ الرب يسوع المسيح.

يُروَى عن أكثر من واحدٍ من البطارِكة؛ أنه عندما كانت تُؤلِمُه الشهوة، ولكي يَطرَحها عنه؛ كان يَنهَض لَيلاً ويقوم بِتَنظيف المَراحيض. وقد أُخبِرت بأن أسقفاً مُعاصِراً كان يقوم بِالأمر عَينه.

[1] القديس يوحنا ذهبي الفم: "الكهنوت المسيحي"، صفحة ٦٤.



ولكي لا توجد ثَغرة يمكن أن تتسلَّل منها عَثرة، ولكي لا يتَّسم المكان والعمل بِطابع العلمانية بل تَسود عليه سِمات القُدسية والروحانية ـ فلتكُن نوعية الموظفين في أعمال السكرتارية والإدارة والخدمات المُعاوِنة (العُمَّال)؛ من: الرجال، الأتقياء الأُمناء، حَبَّذا من ذَوي الاِشتياقات الروحية والتوجُّهات التكريسية، الذين يعملون لا كموظفين بل كخدام ووكلاء على أعمال بيت إلههم وأبيهم، فَيَصونون الأمانات ويحفظون الخُصوصيات، يستعملون التنظيم ويُراعون التطوير.

٧ـ لمَّا كان الإنسان المُتدين هو أكثر عُرضة لِداء البر الذاتي، والمُعلِّم أكثر عُرضة لِداء المجد الباطل؛ فإن الراعي، الذي هو بالأكثر مُتديِّن ومُعلِّم، وبمقدار اِزدِياد حجم الوَكالة لَدَيه ـ هو أكثر عُرضة لِداء الرئاسة (التسلُّط/ الحكومة، وهذا غير داء الفَرِّيسِيَّة)، وقَلَّما يُفلِت رئيسٌ من الإصابة به.

لعل هذا يرجع إلى أحد أو أكثر من هذه الأسباب:

أ ـ التَّنفيس أو التعويض التلقائي عن كَبْتٍ لِسَنواتٍ، من مُتسلِّطين في ظروفٍ سابقة.. فمثلاً؛ في اِتِّضاع داود النبي ومَذَلَّته رفض قتل شاول الذي كان يطلب نفسه للموت (١صم٢٤: ٩ـ إلخ + ١صم٢٦: ١٨ـ إلخ)؛ بينما لمَّا انتفخ شَرَع في قتل نابال الكرملي (١صم٢٥: ٣٤)، كما لم يتردد في قتل الصِّدِّيق أوريَّا الحِثِّي (٢صم١١: ١٥).. ومن التاريخ الكَنَسي؛ لم يَجِد القديس ثيوفيلُس البطريرك ٢٣ مَن يُعقِد مجمَعاً، في وقتٍ ما، لأجل حِرمانه غير القديس يوحنا ذهبي الفَم!

ب ـ المسئوليات والضغوط المتعددة والمتنوعة لها دَورٌ في تشكيل السِّمات الشخصية للمسئول، إيجاباً أو سلباً، أكثر منها للفرد غير المسئول، فإن كان راعٍ غير مُمتلئٍ بِالروح إزائِها فإنه يتقسَّى.

ج ـ الفهم غير الراشد لمَفهوم (الرئيس) لَدَى الرعية، الذين اعتادوا على "أَنَّ الَّذِينَ يُحْسَبُونَ رُؤَسَاءَ الأُمَمِ **يَسُودُونَهُمْ**، وَأَنَّ عُظَمَاءَهُمْ **يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ**" (مر١٠: ٤٢)، الأمر الذي يتَّضح في دُعائهم إيَّاه (سيدنا). فَبِمُداوَمة تَعامُل الرعية معه بهذا المفهوم؛ يمتثِل لهذا التَّوجيه مَدفوعاً به من خارجِه.

د ـ اِنزِلاقه في تلك المَذَمَّة بِحَثٍّ من روح التَّعالي والكبرياء، الذي يَقدِّم له تَبريرات مَنطِقية لِضرورة السلوك بذلك الأسلوب، ومع أنه لا يَرتاح لذلك الأسلوب أولاً، لكنه يَعتاد عليه ثم يَستَمرِئُه.

هـ ـ قد يكون الراعي في حقل عملٍ يستلزم الحزم والضبط وقتاً طويلاً، فَيَبدأ ممارسة مَهامِّه مُفتَعِلاً شخصية الحازِم، ولكن بمرور الوقت يتحول اِفتِعاله هذا إلى طبعٍ فيه ويَصعُب عليه الإقلاع عنه:

[على الطبيب أن يكون مُجرَّداً من الأهواء كُلِّيَّاً لكي يستطيع في بعض المناسبات أن يتصنَّعها، وخاصَّةً الغضب، لأنه **إن لم يكُن قد تحرَّر منها كُلِّيَّاً فلا يقدر أن يتظاهَر بها دون أن يَنفَعِل**][(١)].

(١) الأب يوحنا السُّلَّمي: "السُّلَّم إلى الله (رسالة إلى الراعي)"، صفحة ٢٧٩.

٨ـ متى سَيَتِم تصحيح هذا التقليد، الذي ليس فقط من صُنع الناس ولكنه مخالفةٌ صارخةٌ لِوَصية السيد المسيح في الإنجيل المقدس، ألَا وهو دعوة الناس الراعي بـ (سيّدنا)؟!

لأن السيد المسيح أمَر خُدَّامه قبْلاً قائلاً:

"وَأَمَّا أَنْتُمْ **فَلاَ تُدْعَوْا سَيِّدِي**، لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ الْمَسِيحُ، وَأَنْتُمْ جَمِيعاً إِخْوَةٌ" مت٢٣: ٨

فَمَن هو السَّيِّدُ؟ السَّيِّدُ يُجيب:

"أَنَا السَّيِّدُ" (يو١٣: ١٤)

فإن كان الرب قد أوصَى تلاميذَه الأخصاء هكذا، وهُم الذين وَعَدَهم قائلاً: "مَتَى جَلَسَ ابْنُ الإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ، **تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيّاً تَدِينُونَ** أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاِثْنَيْ عَشَرَ" (مت١٩: ٢٨)، وهُم الذين أسماؤهم على أساسات سُور المدينة السمائية: "وَسُورُ الْمَدِينَةِ كَانَ لَهُ **اثْنَا عَشَرَ أَسَاساً، وَعَلَيْهَا أَسْمَاءُ رُسُلِ الْخَرُوفِ الاِثْنَيْ عَشَرَ**" (رؤ٢١: ١٤) ـ أفَلا يكون هذا الأمر مُوجَّهاً أيضاً للرعاة في كل زمن؟!.. فكيف يَقبَل الراعي تقليداً وَضعِيَّاً بشريَّاً بِأن يُدعَى "سَيِّدِي"؛ دون اتِّباع وصية السيد الرب: "وَأَمَّا أَنْتُمْ **فَلاَ تُدْعَوْا سَيِّدِي**"؟!

قد يكون الراعي غير مُوافقٍ على أن يدعوه الناس بهذا اللقب، لكن عدم مُوافقته وحدها لا تُعفِيه من مسئولية عدم إعلانه اِعتِراضه على إنساب صفة تخص الرب وحده إليه، فإن أمْر الرب له هو لا ألَّا يفرح بِأن يُدعَى سيّدي؛ بل ألَّا يَقبَل من أحدٍ أن يَدعوه بِذلك اللقب.

وإن كان يَعتبِر أن هذا اللقب مجرد تقليدٍ وَضعِيٍّ جارٍ من صُنع الناس؛ فَليَذكُر أنه يُبطِل وصية الله التي تأمُر بِألَّا يُدعَى "سَيِّدِي"، وبِقُبول الراعي تَلقيب الناس إيَّاه بِهذا اللقب؛ يُعَرِّض نفسه لِتَوبيخ السيد، بِقَوله: "**فَقَدْ أَبْطَلْتُمْ وَصِيَّةَ اللهِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ!**" (مت١٥: ٦)، بل ويكون يَتبع "**تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ**" (مت١٥: ٩؛ كو٢: ٨، ٢٢؛ تي١: ١٤).

التقليد الكَنَسي الصواب هو الذي لا يتخالَف بل يتوافَق وكلام الله في الكتاب المقدس، فإن كان عدم صَواب تقليد لقب (سيّدنا) قد تَثَبَّتَ وأزمَن؛ فَليس من الصواب الاستمرار فيه.

نعم يجب ألَّا نكون حَرفيين، لكن إن كُنا روحانيين فهذا يعني أننا أيضاً مُدَقِّقين ومُلتزِمين، حسب تعليم السيد المسيح: "كَانَ يَنْبَغِي أَنْ **تَعْمَلُوا هَذِهِ وَلاَ تَتْرُكُوا تِلْكَ**" (لو١١: ٤٢)، فكان ينبغي علينا أن نعمل بالروح ولكن لا نُهمِل الحَرف:

فَلَو كان أبونا آدم مُدَقِّقاً في ما قد نَهاه الرب عنه: "**لاَ تَأْكُلْ مِنْهَا**" (تك٢: ١٧)؛ لَما كان قد سقط. ولو كانت اِمرأة لوط مُدَقِّقة في ما قد نَهى الرب عنه: "**لاَ تَنْظُرْ إِلَى وَرَائِكَ**" (تك١٩: ١٧)؛ لَما كانت قد تحوَّلت إلى عمود ملح. ولو كان موسى وهارون مُدَقِّقين في ما قد أمَرهما الرب به: "خُذِ العَصَا وَاجْمَعِ الجَمَاعَةَ أَنْتَ وَهَارُونُ أَخُوكَ **وَكَلِّمَا الصَّخْرَةَ** أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ أَنْ تُعْطِيَ مَاءَهَا... وَرَفَعَ مُوسَى يَدَهُ **وَضَرَبَ الصَّخْرَةَ بِعَصَاهُ مَرَّتَيْنِ**" (عد٢٠: ٨ـ ١٣)؛ لَما كان الرب قد منعهما من دخول أرض الموعد. ولو كان رجل الله مُدَقِّقاً في ما قد نَهاه الرب عنه: "**لاَ تَأْكُلْ خُبْزاً وَلاَ تَشْرَبْ مَاءً وَلاَ تَرْجِعْ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي ذَهَبْتَ فِيهِ**" (١مل١٣: ٩)؛ لَما كان قد اِفترسَه الأسد..

فهكذا أوامر الرب واضحةٌ ولا تحتمل التأويل: "**لاَ تُدْعَوْا سَيِّدِي**".

إن (السيادة) هى سِمة رؤساء هذه الدُّنيا لا خدام الرب، كما صرَّح هو بهذا: "أَنَّ رُؤَسَاءَ الأُمَمِ **يَسُودُونَهُمْ... فَلاَ يَكُونُ هَكَذَا فِيكُمْ**" (مت٢٠: ٢٥، ٢٦). لهذا فقد كان السيِّد يَحمي تلاميذَه من داء التعظُّم والتَّعالي مثل رُؤسائهم الدينيين، الذين كانوا "يُعَرِّضُونَ عَصَائِبَهُمْ وَيُعَظِّمُونَ أَهْدَابَ ثِيَابِهِمْ" (مت٢٣: ٥)، حتى قال لهم مرةً: "إِنَّ الْمُسْتَعْلِيَ عِنْدَ النَّاسِ هُوَ رِجْسٌ قُدَّامَ اللهِ" (لو١٦: ١٥).

أخبَرَني أحَدُهُم بِأن المُتنيح الأنبا يوأنس أسقف الغربية؛ قال لِشَعبه ألَّا يَدْعونَه بهذا اللقب.

فَليَتقدَّم الراعي إذاً، بِشَجاعة، ويُعلِّم شعبه هذا. وليَكُن اللَّقب البديل هو: "أبونا الأُسقُف" مثلاً.. فلا يَخشَيَنَّ الراعي من اِهتزاز كرامة أُسقُفيته أمام الناس، فَلَيس اللَّقب هو الذي يَجلِب الهَيبة أو يضمنها له أمامهم، وإنما هو مَدى فَعالية نعمة الروح القدس الحال فيه: "**أَبِي هُوَ الَّذِي يُمَجِّدُنِي**" (يو٨: ٥٤).

٩ـ عند حدوث خِلاف في الرأي بين أعضاء مَجمعٍ ما، لِخُدامٍ أو لِرُعاة، من جهة أحد شئون الكنيسة، وإن بلغ الأمر صدور قرارٍ ما خطأ من رئيس ذلك المجمع ـ فإن الأعضاء يتَّخِذون أحد اتجاهَين: بعضهم، وهُم الأكثر عدداً، يتركون الأمر للاتجاه العام، بمبدأ "الذي من الله يثبت"، أو بِعُذر "لَستُ المسئول"! والبعض الآخَر وهم المُتشدِّدون المُحافِظون، يتَّخذون أيضاً أحد اتجاهَين: نَفَرٌ منهم يَنأَون بأنفسهم عن الشركة بِالمرة إثباتاً لِاعتراضهم، ونَفَرٌ يُعبِّر عن رَأيه بطريقةٍ مُهاجِمةٍ للرئيس، ولكن هذا وذاك يكسِر شركة المحبة ويُضاد وَحدة الروح.

فمِن المُفتَرَض أن صاحِب القرار، المُغاير لِرأي أحَدٍ أو بعضٍ من الأعضاء؛ له عَين الهدف، وإن اِختلفوا في الرؤية، أو في الخُطة.. وقد يكون القرار أو التصرُّف بِالفعل خاطئاً، فنحن لا نعتقد بِعصمة إنسان أو بِتألِيه رئيس: "لأَنَّهُ **لاَ إِنْسَانٌ صِدِّيقٌ فِي الأَرْضِ يَعْمَلُ صَلاَحًا وَلاَ يُخْطِئُ**" جا٧: ٢٠. لكن ما لا يَقبَله العُضو المُعترِض فَليُسجِّل عدم مُوافقته عليه بِهدوء، ويمكنه أن يَعرِض رؤيته، أو يَطرح حَلَّه للأمر ويُقدِّم اِقتِراحه وحَسب. كما يمكنه أيضاً أن يطلب مَزيداً من الوقت لإتاحة فرصة لعمل الروح القدس بِالاتفاق على الصلوات..

الله يُمجَّد في الوَحدة

إن شركة المحبة ووَحدة الروح:

يتأتَّيان من اِجتماع الشورَى، ويؤكَّدان من إجماع الغالبية

يقول كاتب كتاب "الكاهن القبطي":

[**لا نؤمِن بِعصمة أحد من الخطأ:** "إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ... الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعاً. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحاً لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ" (رو٣: ٢٣، ١٢). **ولكن من أجل سلامة الكنيسة** يخدم الكاهن باباه بِالحُب السَّاتِر عندما يوجد ضعف، على أن **يُناقش باباه بِروح بنوة صادقة** لا تَجرَح خلال مناقشة شخصية لا يستخدم فيها أي وسيلة من وسائل الإعلام أو النشر، **طالَما أن الخطأ ضعف بَشَري لم يتعدَّاه إلى هَرطقة إيمانية**.. وحتى في الهَرطقة الإيمانية للبابا **فمِن أجل سلام**

الكنيسة يُعلِّم الكاهن التعليم السليم، تاركاً الحُكم عليه **للمجمع المقدس** الذي أعطَته القوانين الكَنَسيَّة هذه المسئولية داخل الكنيسة دون غَيره][1].

وممَّا ورد بِالدسقولية:

[**كونوا أيها الأساقفة مع بعضكم بِقلبٍ واحدٍ، وليَكُن السلام بينكم دائماً**. وكونوا مُشترِكين في الألم. مُحبِّين للإخوة. اِرعُوا الشعب بِفكرٍ واحدٍ وإخلاص. وعلِّموهم أن يكونوا في رأيٍ واحدٍ لئلا يكون فيكم تَفرِقة، بل **تكونوا جسداً واحداً وروحاً واحداً ورَأياً واحداً كما علَّمنا المسيح الرب**][2].

إن الخِلاف لا يؤدي إلى تَجاوز موضوع الاختلاف، لكن السلام بين الشُّرَكاء عَلاوة على أنه سلام للكنيسة فإنه يُبهِج قلب الله.. بل أنه لكي يُتَمِّم الراعي أمانته من نحو وَكالته؛ فمِن دَوره أن يَحفظ الوَحدة، ليس فقط بينه وبين الرئيس بل وبينه وبين الشُّرَكاء. وإن حدثت مُغاضَبة بين اثنَين فَليَكُن بينهما مُوَفِّقٌ من عَين رُتبَتهما على الأقَل.

في هذا قال القديس الشهيد إغناطيوس:

[لِيَعمل بعضكم مع بعض، جاهِدوا معاً، إسعوا معاً، اِحتمِلوا معاً.. كالوُكَلاء والشُّرَكاء وخُدام الله. **ابهِجوا الله الذي تُجاهِدون تحت قِيادته**، والذي منه تَنالون الأجر. **لا يكُن بينكم إنساناً مُنعزِلاً على حِدة**][3].

لَمَّا وقع انقِسامٌ في الكنيسة بين بَعضٍ من الرعية، وللأسف وبَعضٍ من الإكليروس، وبين البطريرك البابا كيرلس الخامس، وأثناء القداس؛ وقعت الصينية من يَدَي الكاهن الخَديم بِالكنيسة المرقسية بالقاهرة. وفي ذلك اليوم عَينِه وقع الكأس أيضاً من الكاهن الخَديم بِالكنيسة المرقسية بالإسكندرية[4]..

---

[1] المتنيح الأنبا يمين والقمص يوسف أسعد: "الكاهن القبطي"، صفحة ١٩٢.

[2] "الدسقولية"، باب ٨، ترجمة القمص مرقس داود، الطبعة الثالثة، ١٩٦٧، صفحة ١١٠.

[3] القس تادرس يعقوب: "الحب الرعوي"، ديسمبر ١٩٦٥، صفحة ٧٨٦.

[4] القس مَنَسَّى يوحنا: "تاريخ الكنيسة القبطية"، صفحة٥٢٣.

وهذا أيضاً ما قد عايَنتُه: في كنيسةٍ أُنشِأت حديثاً؛ وقع انقِسامٌ بين خُدَّامها وبين كاهنها المُسام حديثاً (ليس من أبناء الكنيسة التي قد سِيمَ عليها)، وقُرب آخِر صلوات أحد قداسات خدمته المبكرة؛ فُوجِئ بأنه بِأول القداس كان قد وَضَعَ الكأس مَقلوباً، فَصَبَّ الخَمر في قاعدته بَدَلاً من فُوَّهَته، حتى عندما وصل إلى الرشومات الأخيرة بَعد صلاة القِسمة؛ سالَ الدم الثمين إلى كُرسي الكأس، فالمذبح، وقد تَضَمَّخَت به لفائِف الأواني المقدسة!!!

فماذا يُصَوِّر مَشهد وقوع جَسَد المسيح الكريم وهَرق دمه الثمين في الحَدَثَين السابِقَين؛ إلَّا وُقوع الرب المسيح تحت صَليبه وتَضَمُّخ جسده بِدِمائه!



لأن جَسَد المسيح هو كنيسته: "**وَهُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ: الْكَنِيسَةِ**" (كو١: ١٨)، فَحينما يحدث اِنقِسامٌ "**لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ**" (أف١: ٢٣) يتجَرَّح جَسَدُهُ، وأعضاءُ جَسَده هى نحن: "**لأَنَّنَا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ**" أف٥: ٣٠

فَمَن يَحفظ الوَحدة؛ فإنه إنَّما يَحفظها "**لأَجْلِ جَسَدِهِ، الَّذِي هُوَ الْكَنِيسَةُ**" (كو١: ٢٤).

إن الخِلاف لا يكون إلَّا على حِساب مجد المسيح

١٠ـ وكيلٌ لا مالك، راعٍ لا حاكم..

حَسَنٌ أن يكون الراعي حازِماً، ولكن ينبغي له أيضاً أن يتحلَّى بِصفةٍ ضَرورية بين رَعِيَّته، وهي: "**وَدَاعَةِ الْمَسِيحِ وَحِلْمِهِ**" (٢كو١٠: ١)، حتى يُعرَف بأنه (طَيِّب): "وَعَبْدُ الرَّبِّ لاَ يَجِبُ أَنْ يُخَاصِمَ، بَلْ يَكُونُ **مُتَرَفِّقاً بِالْجَمِيعِ**، صَالِحاً لِلتَّعْلِيمِ، **صَبُوراً عَلَى الْمَشَقَّاتِ**" (٢تي٢: ٢٤).

إن كان الراعي، الخادم لِقُطعان الخِراف الناطِقة، يُؤدِّب حقاً أولادَه لِكَونهم جُهلاءَ أو صِغاراً في الروح أو حتى خَطَأةً؛ فَليَكُن تأديبُه لهُم هو في الرب لا بِغَضب، بِحِكمةٍ لا بِحُكومة، بِروح الوداعة لا بِروح الرئاسة.. لِنَسمع الراعي بولس كيف كان يُنذِر: "**أُنْذِرَ بِدُمُوعٍ**" (أع٢٠: ٣١)، "**كَأَوْلاَدِي الأَحِبَّاءِ أُنْذِرُكُمْ**" (١كو٤: ١٤).. وكما كُتِب: "افْعَلُوا لَهُمْ هَذِهِ الأُمُورَ، تَارِكِينَ التَّهْدِيدَ، **عَالِمِينَ أَنَّ سَيِّدَكُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً فِي السَّمَاوَاتِ**، وَلَيْسَ عِنْدَهُ مُحَابَاةٌ" (أف٦: ٩)، "أَيُّهَا الآبَاءُ، **لاَ تُغِيظُوا اوْلاَدَكُمْ لِئَلاَّ يَفْشَلُوا**... بَلْ رَبُّوهُمْ **بِتَأْدِيبِ الرَّبِّ وَإِنْذَارِهِ**" (كو٣: ٢١، أف٦: ٤).

الراعي الأبَوي لا يُنَفِّر الناس من الكنيسة التي هو يُمثِّلها أمامهم، وبِنوعٍ ما هو لهُم "المسيح"! (مرَّةً لَقِيَ راهبٌ مجموعةً من الأطفال الصِّغار، فأخذ يحتضِنهم ويُقَبِّلهم واحداً فَواحداً، فإذ بِواحدةٍ منهم تَصيح بِاقتِناعٍ حقيقي: "دا بابا يسوع").. لِيَذكُر الراعي دائماً أنه خادمٌ لا سيِّد، أبٌ لا مدير، وكيلٌ لا مالِك، راعٍ لا حاكم، أسقفٌ لا محافِظ.. وأمَّا إن خرج مفهوم الرعاية لَدَيه عن هذا التَّوصيف؛ فَسَيَكون ذلك ليس بِراعٍ بل أجير (يو١٠)، وأكثر من هذا لا أريد أن أصِف!.. يصِف الرسول بولس نفسَه، وشُرَكاءَه في الكرازة؛ بأنهم لَيسوا فقط خُداماً لِرَعِيَّة الله بل عَبيداً لهم: "فَإِنَّنَا لَسْنَا نَكْرِزُ بِأَنْفُسِنَا، بَلْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبًّا، وَلكِنْ بِأَنْفُسِنَا **عَبِيدًا لَكُمْ مِنْ أَجْلِ يَسُوعَ**" (٢كو٤: ٥).

إنَّنا في زمن الفتور الروحي الذي فيه الخِراف الناطِقة مُصابة وهَزيلة، وكَونُهم يَلجأون إلى الكنيسة بِحالتهم هذه فهذا يُحسَب لهم جهادٌ. إنه بِالرُّغم من الغَلاء الفاحِش الحادِث في هذا الزمان؛ إلَّا أن احتياج الشعب بِالأكثر، فُرادَى، هو احتياجٌ إنساني، اِحتياجٌ إلى الأُبُوة الحانِية والاهتمام الفَردي، لهذا يُسَمَّى كل راعٍ: "أبونا".. إن "رَئِيسُ الرُّعَاةِ" لا يريد أن يكون رُعاتُه من نوع رؤساء

الكهنة والفَريسيين، الذين يقولون عن رَعِيَّته: "هَذَا الشَّعْبَ الَّذِي لاَ يَفْهَمُ النَّامُوسَ هُوَ مَلْعُونٌ" (يو٧: ٤٩)، بل يريد أن يكون رُعاتُه من نوع الراعي داود الذي يَشفع أمام الرب عنهم: "**خَلِّصْ شَعْبَكَ وَبَارِكْ مِيرَاثَكَ** وَارْعَهُم وَاحْمِلْهُم إِلَى الأَبَدِ" (مز٢٨: ٩)، "**أَنَا هُوَ الَّذِي أَخْطَأَ وَأَسَاءَ**، وَأَمَّا هؤُلاَءِ الْخِرَافُ فَمَاذَا عَمِلُوا؟" (١أخ٢١: ١٧)، ومن نوع الراعي موسى الذي يتوسَّل أمامه من أجلهم: "وَالآنَ إِنْ غَفَرْتَ خَطِيَّتَهُمْ **وَإِلاَّ فَامْحُنِي مِنْ كِتَابِكَ** الَّذِي كَتَبْتَ" (خر٣٢: ٣٢)، ومن نوع الراعي بولُس: "فَإِنِّي كُنْتُ أَوَدُّ **لَوْ أَكُونُ أَنَا نَفْسِي مَحْرُوماً مِنَ الْمَسِيحِ لأَجْلِ إِخْوَتِي** أَنْسِبَائِي حَسَبَ الْجَسَدِ" (رو٩: ٣).

يُحَذِّر الدَّرَجي الراعي من مَذَمَّة الغضب: [مُكربٌ هو مَشهَد ثعلب بين دجاج، وأكثر كرباً رؤية **راعٍ يَجنَح إلى الغضب**. فالواحد يأتي **بالبَلبَال والتهلكة** بين الدواجن **والآخَر بين النفوس**][(١)].

وقال أنبا أغاثون: [ولَو أقام **الغَضوب** أمواتٍ؛ فَلَيس مَقبولاً أمام الله].

وذهبي الفم: [أمَّا احتِمال الشتائم والإهانات والألفاظ الجارِحة والكلمات النابِية والتعبيرات الباطلة من الأدنِياء والتَّعنيف الذي يُطلَق جُزافاً سواء من الحُكام أو المَحكومين... **كل هذه الأشياء لا يقدر كثيرون على احتمالها**... أمثال هؤلاء على وجه الخصوص **ينبغي أن نُقصيهم عن رُتَب الكهنوت**. لأنه إن كان الكاهن غير ناسكٍ أو زاهِدٍ فإنه لن يفيد الكنيسة كثيراً، أمَّا سُرعة الانفِعال والغضب فهي تؤذي نفس صاحبها والذين يُعاشِرهم على السَّواء... والله لم يتوعَّد الذين لا يصومون ولا الذين لا يزهَدون، **بينما أنزَل الوَيلات على مَن يغضبون باطلاً وتَوَعَّدهم بالحُكم ونار جهنم** (مت٥: ٢٢)... الذي لا يستطيع أن يتحكم في غضبه أو يَمسِك نفسه في حواره مع الناس بل يَنقاد وراء اِنفِعالاته، **كيف يكون حاله إذا اؤتُمِن على رعاية قطيع** وهو كالوحش المفترِس الذي يَستثيره الناس لأي سبب؟ لن يعيش مثل هذا في سلام، فَضلاً عن أنه **يُصيب النفوس التي اؤتُمِن على رعايتها بِالأذَى**][(٢)].

---

(١) الأب يوحنا السُّلَّمي: "السُّلَّم إلى الله (رسالة إلى الراعي)"، صفحة ٢٨٣.

(٢) القديس يوحنا ذهبي الفم: "الكهنوت المسيحي"، صفحة ٦٧.

١١ـ ما هو التصرف السليم حِيال ظهور مُبتدِع أو مُنشَق عن الكنيسة؟

إذا ما ظهر في كَنيسةٍ مُبتدِعٌ أو مُنشَقٌ عنها؛ فغالباً ما يُسرِع راعيها إلى الغضب والانفعال، فتشكيل لجنة: فتح ملف، إنذار بالحضور، جلسة، وَعيد... وإن كان ذلك تحت مظاهر الحوار والمناقشة..

في بعض حالات الانشِقاق كان ذلك الراعي، ومَن مثله، بهذا الاِندِفاع؛ قد (بَلوَروا) مَن خرجوا عن الكنيسة في أيامهم و (حَفَروا) لهم أسماءً في تاريخها، بل وأسهَموا ـ عن غير قَصد ـ في ذيوع بِدَعِهم، وذلك لِحساب مَن؛ بل على حِساب مَن؟ ليس إلَّا على حِساب مجد المسيح!.. فمِثل ذلك الراعي قد يكون يَغار للإيمان، وقد يكون يَغار لِسُلطانه ولِكَرامته.

فَليَعلَم الراعي أن أكثر مَن هُم مَصدَر خطر على الكنيسة وعلى الإيمان؛ لَيسُوا هُم فقط المُضطَهِدين من الخارج أو أصحاب السلوكيات المنحرفة في الداخل ـ بل هُم أصحاب الفِكر والقلم، وها نحن اليوم في زمن حرية التأليف وإمكانيات النشر.

ولهذا فإن التصرُّف السليم للراعي حِيال ظهور إحدَى هذه الحالات؛ هو إسراعه لا إلى القَمع بل إلى الاحتِضان، اِحتِضان المُصاب، في أُبُوةٍ حقيقية، فذلك مَسموم ويحتاج لإسعافٍ أوَّلي لِنَزع السُّم من فِكرِه وعَقلِه، قبل أن يَستَشري ويتثبَّت فيه ويتمكَّن منه، خصوصاً وأنه ما زال ابناً للكنيسة وللإيمان الأرثوذُكسي:

"أَيُّهَا الإِخْوَةُ، إِنِ انْسَبَقَ إِنْسَانٌ فَأُخِذَ فِي زَلَّةٍ مَا، **فَأَصْلِحُوا أَنْتُمُ الرُّوحَانِيِّينَ مِثْلَ هَذَا بِرُوحِ الْوَدَاعَةِ**، نَاظِراً إِلَى نَفْسِكَ لِئَلاَّ تُجَرَّبَ أَنْتَ أَيْضاً. اِحْمِلُوا بَعْضُكُمْ أَثْقَالَ بَعْضٍ وَهَكَذَا تَمِّمُوا نَامُوسَ الْمَسِيحِ" غل٦: ١، ٢

هذا ما يُعلِّمنا به أيضاً القديس يوحنا ذهبي الفم:

[إن قُضاة العالم عندما يَقبِضون على فَعَلَة الإثم بسُلطة القانون يستعملون سُلطاناً عظيماً، ويمنعونهم من مُواصَلة شرورهم ولَو رُغم إرادتهم، أمَّا في حالتنا فإن **الخاطئ يجب أن يُصلَح لا بالإرغام بل**

بالإقناع، لأننا لم نُعطَ بالقانون سُلطاناً من هذا النوع لِقَمع الخُطاة، وإذا أُعطينا فلا يوجد المجال لنُمارِس فيه هذه القوة، طالَما أن الله يُكافئ الذين يمتنِعون عن الشر بِاختيارهم وليس بالإجبار. **لهذا كانت المَهارة واجبة لكي نُقنِع مَرضانا بقبول الدواء الذي يَصِفه الأطِباء الروحيون**][1].

[إذا انحرف إنسانٌ عن الإيمان الصحيح؛ فإن هذا يتطلَّب الكثير من الجهد والمُثابَرة والصبر، لأنه **لا يمكن إرجاعه بالقوة أو مَنعه بالتخويف**، بل العمل على عَودته إلى الحق الذي انحرف عنه **بطريق الإقناع**][2].

ويُنَبِّه ذهبي الفم إلى حَساسِية تَوقِيع العُقوبات على المُخطِئين:

[وأستطيع أن أُخبر عن كثيرين اندَفَعوا إلى شرورٍ أفدَح عندما أخذوا العِقاب الواجب على خطاياهم. **لذلك عند تَوقيع العقوبة لا يجب علينا أن نُقدِّرها بالنظر إلى الخطأ فقط، بل بالأحرَى أن نضع في الاعتبار إستعداد الخاطئ**، لئلا وأنت ترغب أن تُصلِح ما تمزَّق تجعل الخَرق أردَأ، وإذ تعمل بحماس لتُقيم الساقط تجعل سَقطته أعظم][3].

الكُرباج والخرزانة والسكِّين لَيسُوا من عُدَّة الراعي الصالح، ووُكلائِه، بل وُلاة هذا العالم. إن كان ابنُه سَيَخلُص فلا يَكن بِقَسوَته عليه عثرةً له، وإن كان سَيَهلك فلا يُزِد عذابَ ابنِه عذاباً!

نعم أنه يجب أن يكون الأسقف "**صَاحِياً**، عَاقِلاً... صَالِحاً لِلتَّعْلِيمِ" (١تي٣: ٢)، فَيَحفظ الإيمان كما تَسَلَّمه، ويُسلِّمه بأمانة، وقد يستلزِم الأمر اتِّخاذ إجراءٍ وِقائي مع المُصِر على عِصيانه وإحداثِه بَلبَلة في الشعب، عملاً بالمكتوب: "وَمُسْتَعِدِّينَ لأَنْ **نَنْتَقِمَ عَلَى كُلِّ عِصْيَانٍ، مَتَى كَمُلَتْ طَاعَتُكُمْ**" (٢كو١٠: ٦)، وليوضح الأمر للعامَّة لِئلا يتعاطف أحد عن جَهل مع المُهرطِق - ولكن؛ لَعَل مشكلة ذلك هى عدم الفهم، أو مشكلة نفسية أو حتى مادية، يَجوز حلَّها بكلماتٍ حانِيَة أو بِتصرفٍ بسيط.

---

[1] المرجع السابق: صفحة ٤١.

[2] المرجع السابق: صفحة ٤٤.

[3] المرجع السابق: صفحة ٤٣.

فَليَقرأ الراعي في تاريخ كنيستنا المجيدة، كيف كان الرعاة الوُدَعاء الحَليمون، بِالرعاية الأبَوِية، حُكماء في اصطِياد ذَوي الأفكار المُخالِفة أو الغريبة، ورَدِّهم إلى صَوابهم، أفراداً كانوا أم جماعات.. مثالٌ لِهذا؛ البابا شنودة الأول البطريرك الـ ٥٥ (تذكار نياحته: ٢٤ برمودة)، الذي واجَه أكثر من جماعةٍ من أصحاب أفكار هرطوقية، وقد ردَّهم عن ضلالهم بروح الأبوة، وبالإقناع..



"أَيُّهَا الإِخْوَةُ، إِنْ ضَلَّ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ عَنِ الْحَقِّ فَرَدَّهُ أَحَدٌ؛ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ **مَنْ رَدَّ خَاطِئاً عَنْ ضَلاَلِ طَرِيقِهِ يُخَلِّصُ نَفْساً مِنَ الْمَوْتِ، وَيَسْتُرُ كَثْرَةً مِنَ الْخَطَايَا**" (يع٥: ١٩، ٢٠).

فَلَو كان كل راعٍ عَبر تاريخ الكنيسة، كلٌ في درجته وفي مَوطِنه، اِنتهج هذه السياسة الرعوية لَكانت الكنيسة قد تَلافَت الكثير من البِدَع والمُبتدِعين والهرطقات والمُهرطِقين!

وفي كتابها "الكاهن القبطي"؛ كتب الأنبا بيمن والقمص يوسف أسعد:

[**فالأصل في علاج هؤلاء هو الحُب الأبَوي** الذي يُعطيهم الفرصة للدفاع عن أنفسهم وتصحيح مَفاهيمهم، حتى إذا استمروا في الضلال **كان لابد من مواجهتهم مواجهة كَنَسِية عامة بمعرفة مجلس إكليريكي يَرأسه الأسقف، ويكون الهدف منه لا الحُكم والقَطع قبل النُصح والعلاج**.. حتى إذا تأكَّد تَصَلُّف مثل هؤلاء كان لابد من تطبيق مَبدأ مار بولس مع خاطئ كورنثوس؛ إذ قال: "بِاسْمِ رَبِّنَا

يَسُوعَ الْمَسِيحِ - إِذْ **أَنْتُمْ وَرُوحِي مُجْتَمِعُونَ مَعَ قُوَّةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ** - أَنْ يُسَلَّمَ مِثْلُ هَذَا لِلشَّيْطَانِ لِهَلاَكِ الْجَسَدِ لِكَيْ تَخْلُصَ الرُّوحُ فِي يَوْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ" ١كو٥: ٤، ٥، كما قال: "**فَاعْزِلُوا الْخَبِيثَ مِنْ بَيْنِكُمْ**" (١كو٥: ١٣).

هذا من جهة المُنحرِف، أمَّا من جهة الشعب فإن الكاهن يجتهد أن يُفَصِّل "كَلِمَةَ الْحَقِّ بِالاِسْتِقَامَةِ" (٢تي٢: ١٥)، في سلوكه وعِظاته لِتَعضيد إيمان الكنيسة وحِفظ سلامها من التعاليم الغاشة والكاذبة.. هذا يؤدِّيه الكاهن ومعه نصيحة مار بولس القائلة: "إِنِ انْسَبَقَ إِنْسَانٌ فَأُخِذَ فِي زَلَّةٍ مَا، **فَأَصْلِحُوا أَنْتُمُ الرُّوحَانِيِّينَ مِثْلَ هَذَا بِرُوحِ الْوَدَاعَةِ**، نَاظِراً إِلَى نَفْسِكَ لِئَلاَّ تُجَرَّبَ أَنْتَ أَيْضاً. اِحْمِلُوا بَعْضُكُمْ أَثْقَالَ بَعْضٍ وَهَكَذَا تَمِّمُوا نَامُوسَ الْمَسِيحِ" غل٦: ١، ٢. أي أن إيضاح الإيمان المستقيم يتنافَى مع الهجوم على أشخاص المُبتدعين، وإن اِقتضَى الأمر التعرُّض لِبِدَعِهم يكون ذلك بأسلوبٍ وَقور يستنكِر الهجوم أو الإساءة، **ويَهدف إلى بناء النفوس البسيطة وحِفظ سلامة إيمانها وبالتالي سلامة الكنيسة كلها**][1].

الراعي الأبَوي لا يَحرِم. أَفالذي يتضرَّع إلى الله في أوشية المَرضَى قائلاً: "**لأنك أنت الذي تَحِل المربوطين وتُقيم الساقطين**"؛ أيَربِط ويَحرِم؟!.. الراعي الأبَوي لا يَزجُر، لا يَطرُد، فهل يوجد أبٌ عندما يُخطئ اِبنُه يَطرُده؟!.. الراعي الأبَوي لا يُلقِ بيَدَيه ذلك الذي بذل المسيح دَمَه لأجله إلى الوحوش الضارِية غير المَرئية، المُتربِّصة أمام باب الكنيسة لكي تَلتَهم المطرود منها، "**فَيَخْطَفُ الذِّئْبُ الْخِرَافَ وَيُبَدِّدُهَا**" (يو١٠: ١٢).

إن **التَّسلُّط** لا يؤدي إلَّا إلى العِناد، فمِن التاريخ الكَنَسِي؛ بَعضٌ من المُنشَقين عن الكنيسة مَن اِنشَقُّوا عنها بسبب رُعاةٍ **مُتسلِّطين**: "الْمَرِيضُ لَمْ تُقَوُّوهُ، وَالْمَجْرُوحُ لَمْ تَعْصِبُوهُ، وَالْمَكْسُورُ لَمْ تَجْبُرُوهُ، وَالْمَطْرُودُ لَمْ تَسْتَرِدُّوهُ، وَالضَّالُّ لَمْ تَطْلُبُوهُ، **بَلْ بِشِدَّةٍ وَبِعُنْفٍ تَسَلَّطْتُمْ عَلَيْهِمْ**. فَتَشَتَّتَتْ بِلاَ رَاعٍ وَصَارَتْ مَأْكَلاً لِجَمِيعِ وُحُوشِ الْحَقْلِ، وَتَشَتَّتَتْ" حز٣٤: ٤، ٥

[1] المتنيح الأنبا يمن والقمص يوسف أسعد: "الكاهن القبطي"، صفحة ٢٢٥.

إذا حدث خِلافٌ بين راعٍ، دَنَت أو عَلَت درجتُه ورُتبَتُه، وبين أحَد أفراد رَعِيَّته، الذي قد يكون هو أيضاً أحَد الفَعَلة في حَقل الرب، من جِهة أحَد الأمور التعليمية، أو التنظيمية ـ فالخُطورة هى تَحَوُّل ذلك الخِلاف لَدَى الراعي، دون وَعيٍ منه، من خِلافٍ مَوضوعيّ إلى خِلافٍ شَخصيّ، ففي ذلك الوقت عَينه قد يَندَفِع إلى (تَسخير) السُّلطان الكهنوتي في (الثَّأر) لِذاتِه، أو تَصير عِبارة "لا حِل ولا بركة إذا عمِلتَ كذا أو كذا.." هى الحَل السَّهل والسريع لِكَسب (المعركة)، إن كان الأمر كَنَسِيَّاً أو حتى شخصيَّاً، وقد لا يَفطَنُ لِسُوء فِعلِه ذلك إلَّا مُتأخِّراً جداً، وقد لا يَفطَن.

فَليَحذَر الراعي من أن يُسَخِّر سُلطان الربط والحِل عَبَثاً بُغيَةَ أن يُقيم كلمته أو لكي يُحَقِّق رغباته في غير ما أُعطاه لأجله. لا ينبغي حِرمان ضُعَفاء الخُطاة لِكَونهم خُطاةً مثلما لا ينبغي حِرمان المُذنبين في السجون من الماء أو الغذاء لِكَونهم مُذنبين! فإنه إن ضَرَب أحَد خراف قطيع الرب ضربةً كاسِرةً أو دامِيَةً ـ **"يَضْرِبُ الْعَبِيدَ رُفَقَاءَهُ"** (مت٢٤: ٤٩) ـ فتَسبَّبَ في تَعَثُّره أو في وُقوعه؛ فمن يده الربُّ يَطلُب دمَه: **"وَيْلٌ لِلرُّعَاةِ الَّذِينَ يُهْلِكُونَ وَيُبَدِّدُونَ غَنَمَ رَعِيَّتِي يَقُولُ الرَّبُّ.** لِذَلِكَ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ عَنِ الرُّعَاةِ الَّذِينَ يَرْعَوْنَ شَعْبِي: أَنْتُمْ بَدَّدْتُمْ غَنَمِي وَطَرَدْتُمُوهَا وَلَمْ تَتَعَهَّدُوهَا. **هَئَنَذَا أُعَاقِبُكُمْ عَلَى شَرِّ أَعْمَالِكُمْ يَقُولُ الرَّبُّ"** إر٢٣: ١، ٢

صعبٌ هو الجُرح الذي من الأخ، لكن قاسٍ هو الجُرح الذي من الابن، أمَّا الجُرح الذي من الأب فغَير مُحتمل! الراعي الذي (يتهوَّر) في اِستِعمال السُّلطان الكهنوتي في غير مَحَلِّه؛ يكون كَمِثل اِبنٍ يَجهَل عمل أبيه الزَّارِع، مثلاً، فَيُمسِك بِمِنجَله، ويَقطَع من زَرعِه ما لا يجب قَطعه، ويَجرَح نفسَه هو.

كتب الأب يوحنا الدَّرَجي إلى رئيس دير جبل سيناء: [إن **أكثر العطايا إرضاءً لله هى تقديم النفوس إليه بالتوبة.** فالعالم بِأسرِه لا يُساوي نفساً واحدةً، لأنه يزول بينما هى باقية غير فاسدة. فلا نُغَبِّط الذين يُقَدِّمون للمسيح كنوزاً أيها الأب المغبوط **بل خِرافاً ناطِقةً**][1].

[1] الأب يوحنا السُّلَّمي: "السُّلَّم إلى الله (رسالة إلى الراعي)"، صفحة ٢٨٨.

١٢ـ ضَوابِط رَبط (حَرم) الأسقف، أو الكاهن، لأحد أفراد رَعِيَّته:

عن حَقَّانِية سُلطان الربط والحِل وفِعله؛ كتب القديس يوحنا ذهبي الفم:

[هذا الربط **يقع على الروح ويخترق السماوات**. وما يفعله الكهنة هنا على الأرض **يُصادِق عليه الله** من فوق، وما يَنطِق به العَبيد **يُؤيِّده السيد!!**][(١)].

كما ويَصِف المَدعُو من الله كاهناً بأنه:

[أخذ من الله سُلطاناً عظيماً **بمقدار ما تَسمو السماء عن الأرض، والروح عن الجسد**][(٢)].

لكن في مقابل هذا؛ لا يمكن لِكاهنٍ، مَهما ارتَقَت رُتبته، أن يستعمل هذا السُّلطان العظيم في غير ما اؤتُمِن عليه (تماماً مثلما لا يمكن لأمين خزينة أن يتصرَّف في أقل مبلغٍ من المال المُوَكَّل عليه في غير ما يؤمَر بِصَرفِه)، وإلَّا عَرَّضَ نفسه لمُطالَبة الله إيَّاه بِدَم مَن رَبَطَه ـ أو حالَه ـ باطِلاً:

"**أَمَّا دَمُهُ فَمِنْ يَدِكَ أَطْلُبُهُ**" (حز٣: ١٨، ٢٠)

ما هى ضَوابِط رَبط الراعي لأحد أفراد رَعِيَّته؟

١ـ فَليَعلَم الراعي أولاً أن:

أ ـ السُّلطان الحقيقي والأعلَى في الكنيسة هو الله (جا٥: ٨؛ حك٦: ١ـ ٤).

ب ـ سُلطان الربط والحِل مَوهوب للراعي لكي يستعمله بِحَسب الحق.

ج ـ هو ليس صاحِب سُلطان من ذاته بل أنه فقط وكيلٌ عليه.

د ـ سلطان الربط ليس للانتقام من المُتعدي إنما لِرَدعِه.

هـ ـ مهما يكُن من أمر فالمُتعدي هو من رَعِيَّته.

و ـ مهمته هى خلاصه، بكل وسيلة.

---

(١) القديس يوحنا ذهبي الفم: "الكهنوت المسيحي"، صفحة ٥٥.

(٢) المرجع السابق: صفحة ٥٦.

٢ـ أن يكون الأمر: لا شخصياً بل موضوعياً، لا سياسياً بل خلاصياً. أي أن يكون خطؤه خاصاً بعقيدة إيمانية، أو بأحد الأسرار الكَنَسِيَّة، أو خطأً سلوكياً يسبب ضرراً أدبياً عاماً (١كو٥: ٥).

٣ـ أن يكون ذلك بعد تعريفِه بخطَئه ونُصحه لِعِدة مرات، وبعد إنذاره بالعُقوبة لِعِدة مراتٍ أخرى.

٤ـ أن يكون محدَّداً، أي: غير كُلّي ـ غير مفتوح ـ غير عام.

٥ـ أن يكون بِروح الرب. وعلامة هذا؛ أن يكون له شاهدٌ من الإنجيل أو القوانين الرسولية.

٦ـ أن يكون على فم شاهدَين أو ثلاثة.

٧ـ لا يكُن مُسرِعاً في اِستخدام السِّكّين الحاد، وإن فعل؛ فبِحُزنٍ!

٨ـ إن تاب، وثبَتَت تَوبَتُه؛ فَليُسامِحه: "مِثْلُ هذَا **يَكْفِيهِ هذَا الْقِصَاصُ** الَّذِي مِنَ الأَكْثَرِينَ، حَتَّى تَكُونُوا بِالْعَكْسِ تُسَامِحُونَهُ بِالْحَرِيِّ وَتُعَزُّونَهُ، **لِئَلاَّ يُبْتَلَعَ مِثْلُ هَذَا مِنَ الْحُزْنِ الْمُفْرِطِ**" ٢كو٢: ٦، ٧. والابن الذي كان قد شَرَد؛ لَمَّا تابَ فإن أباه: "**تَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ**" (لو١٥: ٢٠).

٩ـ إن لم يتُب، وعاقَبَه، فلا يَنبِذه، بل لِيَبكِ عليه ويتضرَّع لأجله، وَليَسعَ في خلاصه بكل وسيلة يعرفها، مثلما ظَلَّ صموئيل النبي (يَنوح) على شاول حتى بعد أن رفضَه الرب (١صم١٦: ١).

ليَذكُر الأسقف ما ورد بِقوانين الآباء الرسل: [**لِيَهتم الأسقف بكل أحد لِيُخلِّصه**][1].

هكذا يقول القديس أمبروسيوس:

[وكما أن العُضو الذي يَفسَد لا يُقطَع من الجسد بدون ألم؛ لذلك **يُعالَج أولاً لمدة طويلة بأدوية كثيرة لَعَله يَبرأ**، وإن لم يَبرأ يُقطَع **بواسطة طبيب حاذِق** (ولا يقتل الجسد كله وهو يَقطع أحد أعضائه). هكذا ينبغي أن تكون رغبة الأسقف طِيباً مُعالِجاً الضعَفاء، مُستبعِداً القروح المُتزايِدة وكاوِياً بعض الأجزاء دون أن يَقطعها، **وأخيراً إن لم تَبرَأ يقطعها مع ألم في نفسه**][2].

---

[1] الدسقولية: الباب الرابع، ترجمة القس مرقس داود، الطبعة الثالثة، ١٩٦٧م، صفحة ٦٠، ٦٢.

[2] المتنيح الأنبا يمين والقمص يوسف أسعد: "الكاهن القبطي"، صفحة ٢٧٣.

في هذا الشأن كتب الأنبا غريغوريوس أسقف عام الدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمي:

ـ الدسقولية ـ باب ٨: "يجب عليك يا أسقف.. أن تكون عادلاً إذا حكمت وأن تتبع إرادة الله.. **لا تكُن مُسرِعاً إلى القطع ولا جَسوراً..**".

ـ باب ٣: "يجب عليكم أيها الأساقفة أن تكونوا رُقباء للشعب فإن رقيبكم أنتم هو المسيح".

ـ "**وأسقف يُوجِب القضية على أحد ظُلماً، فالنقمة تخرج من فيه على نفسه**".

ـ "فإن هو رَبط وحَرم بِغير حق طلباً للتَّشَفي من الناس، والتماس ذَلَّتهم، وخضوعهم له؛ **فَليكُن هو المربوط المحروم من الله**. وليَقم عليه كهنتُه بِالحق الواجب. فإن صعب عليهم أمْره، فليرفعوا حاله إلى مُطرانه أو بَطرَكه، وليَقوموا عليه بِالحق، ولا يدَعوه يتعدَّى على خِراف المسيح الذين اشتراهم بِدمه، ويُغيظهم، ويُخرِجهم إلى التجديف على الله، والكُفر بِديانته المقدسة. ولا يُترَك على القضاء بين الناس، ويُصرَف عن الرياسة" (ع ٢٤).

ـ إن سَيف الكهنوت قاطِع بَتَّار، لا يَرتَد خائباً أبداً، **فإن لم يُصِب المضروب به ارتدَّ قطْعاً إلى الضارب به ظُلماً، فيَقطعه**[1].

عجيبٌ أنه فيما يُعامِلُنا اللهُ بِحَسَب كَثرة مَراحِمه؛ نَحكُم نحن على بَعضِنا بِحَسَب قَسوَة ضَمائرنا! إن السيد المسيح عندما قال للرعاة: "اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَرْبِطُونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاءِ" مت١٨: ١٨؛ ضَرَبَ لهُم أيضاً فِي هذا الأصحاح عَينِه مَثَل السيد الذي عامَلَ عَبده المَديون له بِتَحَنُّنه؛ ثم عامَلَ ذاك رَفيقَه المَديون له بِقَسوَته.. **بِهذا لَستُ أقصِد طبعاً أن يكون الرعاة سُذَّجاً في حِماية الإنجيل والإيمان، بل أقصِد أنه لا ينبغي أن يُعامِلوا المُخطِئين دائماً كأضدادٍ للكنيسة، أو كأشرار، بل بِالحِكمة يَربَحوهم: "وَرَابِحُ النُّفُوسِ حَكِيمٌ" (أم١١: ٣٠)، كالصَّيَّاد الذي يُرخِي الشبكة للسمكة حتى يَجتَذِبها.**

---

[1] الأنبا غريغوريوس، أسقف الدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمي: "سيدي.. يا قداسة البابا"، الناشر: مكتبة الأنبا غريغوريوس، المطبعة: شركة الطباعة المصرية العبور، رقم الإيداع بدار الكتب: ١٤٣٥٥/ ٢٠٠٥، ص١١ـ ١٥.

١٣ـ في الترشيحات الكهنوتية..

شُكراً لله أنه قد بَطَلَت السِّيمونية وانقرضَ التَّوريث من السيامات الكهنوتية في كنيستنا المقدسة.. ولكن الآن:

ـ ألا يُستبعَد أو يُهَمَّش أحياناً أُناسٌ روحانيون أَكْفاء، لأنهم لا يَسيرون دائماً بِحَسب سياسة المكان؟

ـ ألا تُجرَى سياماتٌ بِنَوعٍ ما تَحكُمها السياسات، وإلى حَدٍّ ما تُحدِّدها المَعارِف والعلاقات؟

فمِن مظاهر هذا؛ سِيامة كاهنٍ على كنيسةٍ ليس هو من أبنائها (بِالرُّغم من كَونِها لَيسَت في قَرية تحتاج لِتَعضيدها بِفَعَلَةٍ من خارجها؛ بل في كنيسة كبيرة بِالعاصِمة) فَيَتعب منه شعبُها، وهو نفسه لا يَقبَلهم، فَيَحدُث التشويش وعدم السلام. وأين مَبدأ "من حَق الشعب أن يختار راعِيه"؟ وقد صادَفتُ أكثر من كاهنٍ ـ ومن حُدُث العهد بِالكهنوت، الذين يُفتَرَض فيهم ذُروَة الحَماسة الروحية ـ يَفتَقِر إلى التعامُل المُتَرَقِّي الحَيِّ، حتى ولَو في المِصداقِية في الكلمة.. هذه أمثِلَةٌ فقط.

بسبب أحَد هذه الأسباب أو غَيرها؛ لَعَلَّه يوجد عَديدٌ من الكهنة بعد سِيامتهم بِفَترة وَجيزة نَدِموا على أنهم سارُوا في طريقٍ لَيس طريقهم، واكتشفوا أنهم قد حَمَّلوا أنفُسَهم بِحِملٍ يَفوق قامَتهم وطاقَتهم، واقتبلوا وَكالةً خَطيرة هُم غَير مؤهَّلين أو غَير مَدعُوّين لها، ولكنهم لا يُكاشِفون أحداً بِهذا.

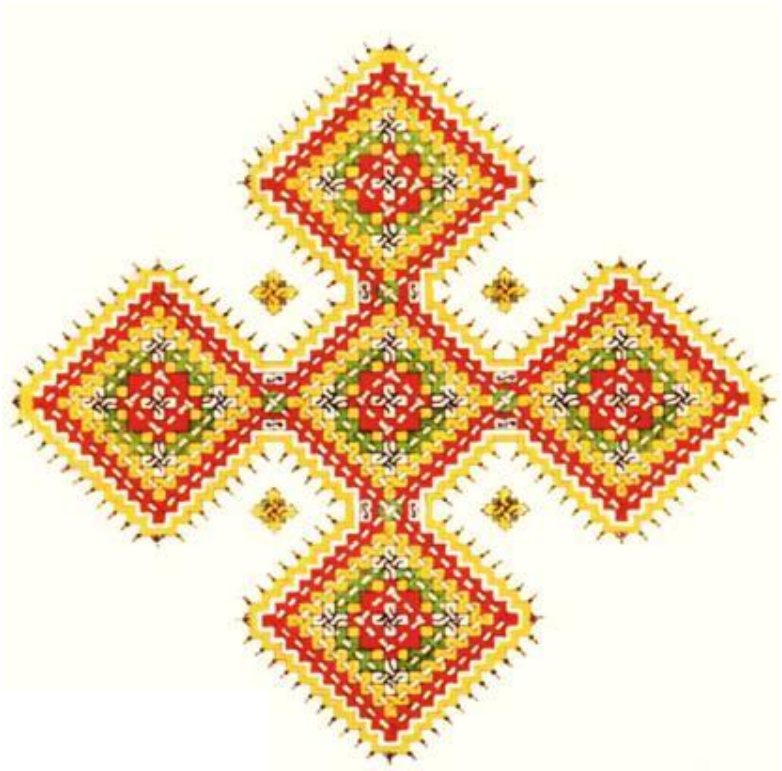
ولقد اِتَّضح أن هذه المُوبِقات لَيسَت بِحَديثة؛ بل كانت تُؤرِّق كنيستنا منذ قديم عصورها، والتي بَلَغَت حتى إلى الدرجة الأسقفية.

في هذا كتب القديس يوحنا ذهبي الفم:

[فالبعض يُمنَحون درجاتٍ كهنوتية حتى لا ينضمون إلى صفوف الخصوم.. وآخَرون يُمنَحونها إتِّقاءً لِشَرِّهم. **فهل هناك تَعَدٍ على الحق أكثر من هذا؟** إن الأشرار المُلوَّثين بِالإثم يُكرَمون لِأجل أمورٍ كان ينبغي أن يُحتَقَروا لأجلها! ويَرتَقون إلى الكهنوت لِأجل أمورٍ كانت كافية لإقصائهم من الكنيسة!! **أيَجوز لنا بعد هذا أن نتساءل عن سبب غضب الرب علينا**، ونحن نُقلِّد هذه الدرجات المقدسة الكريمة لرجالٍ أشرار أو غير صالحين فيُفسِدوها!؟

ولَيتَ الأمر كان يقتصر على هذا فَحسب، بل أنهم يُضيفون أموراً أخرى أكثر شراً.. فإنهم يختارون ليس فقط غير المستحقين **بل يُبعِدون أيضاً الأكفاء المستحقين للخدمة**، وكأنهم في كِلتا الحالتَين يُريدون هَدم سلام الكنيسة، **وكأن سلوكهم الأول لم يكُن كافِياً لإثارة غضب الله فيُدبِّرون أموراً أخرى أشَر منها**. وفي رأيي أن إبعاد الرجال النافعين لِتُقحِم في مكانهم غير المستحقين لَهُو شَرٌ كبير.. **أفَلا تستحق هذه الأفعال مُجازاةً بِنيرانٍ مُتَّقدة أضعاف ما أنذرَنا به الكتاب المقدس؟؟..**

المجد لك يا رب. يا رب لك المجد. ما أوسَع محبتك وأعمقها! وما أعظم غِنَى احتمالك للبشر!! إن الرجال الذين أكرمتَهم ورَفَعتَهم من العَدَم والهَوان إلى كراسي الكرامة **يستخدمون ما أكرمتَهم به في إهانتك!! ويتجاسَرون على المقدسات، ويرفضون الغَيورين ليُفسِحوا للأشرار** مجالاً لإرضاء أهوائهم بغَير خوفٍ أو وَجَل!!][1].



[1] القديس يوحنا ذهبي الفم: "الكهنوت المسيحي"، صفحة ٧٥.

١٤ـ مَبادئ أساسية للأسقف في اختياراته، ولَمَن يقومون بِاختيار أو بِتَرشيح أحدهم لدرجة الكهنوت الأقدَس:

١ـ أن يكون المُرشَّح لِخدمة الكهنوت على كنيسةٍ ما؛ من أبناء تلك الكنيسة:

"وَيَكُونُ حَاكِمُهُمْ مِنْهُمْ، وَيَخْرُجُ وَالِيهِمْ مِنْ وَسْطِهِمْ، وَأُقَرِّبُهُ فَيَدْنُو إِلَيَّ" (إر ٣٠: ٢١).

(سمِعتُ كاهناً حديث السيامة يُخبِر بأنه لم يكُن يعرف مكان الكنيسة التي قد سِيمَ عليها!).

٢ـ أن لا يكون الاختيار بِالتَّذكية من فرد أو من قِلَّة؛ بل بِالاقتِراع الانتخابي من عُموم الشعب.

٣ـ أن لا يكون المُحدِّد الوحيد، أو الأول، لِإقامة ذلك الشخص هو إجماع مُجتمَعِه (هذا بِافتراض أنه فِعلاً إجماع مُجتمَعِه). فقد رفض بَنو إسرائيل رجُلَ الله صموئيل وأرادوا لهُم ملكاً الذي بِحَسب هَواهُم، كما قد أجمعَ مُجتمَع اليهود على اختيار باراباس دُون مُخلِّصهم. خصوصاً إن كان ذلك المُجتمَع من نوع المُجتمعات المُشَتَّتة أو المُنقسِمة داخلياً.

فهُناك مَبدأٌ أو قاعدةٌ تُفيد بِأن المجتمع ـ أي مجتمع وكل مجتمع ـ هو الذي يصنع قادَته، وهو الذي يصنع عُلَماءَه، وهو الذي يصنع قِدِّيسيه، وهو الذي يصنع مُجرِميه... ففي حالة ذلك المجتمع المُنقسِم فَسَيَكون، غالباً، ذلك الكاهن أو ذلك المسئول ليس هو الذي بِحَسب مَسَرة الله، وبالتالي لن يكون لِصالح ذلك المجتمع بل لِضَرَرِه.

٤ـ عدم الخَلط بين المواهب الخدمية وبين المواهب القيادية.. فمِن أكثر مَهام الراعي حساسيةً هو وضع القادة المناسبين في المسئوليات المناسبة. فلا مجال لِمُجاملاتٍ فَردِية أو لِاعتباراتٍ شخصية، لأنه لو حدث غير هذا فالذين يتكبَّدون الخسائر هُم الرعية.

الاعتقاد الغالِب في الحقل الرعوي؛ أن الخادم (اللَّامِع) يكون له الأولوية لِدَرجة القِسيسية، لكن هذا لا يكون دائماً صَواباً. فَبِافتِراض أن ذلك الخادم مُخلِصٌ في نَشاطِه وغَير مُغرِضٍ ـ أي لا يغرِض لِكَسْب (الرِّضا) ـ فإنه ليس كل خادمٍ ناجحٍ في الأنشِطة الكَنَسِية أنه سَيَكون، بِالضرورة، ناجحاً في مَسئولية الخدمة الكهنوتية، إذا أُسنِدَت إليه.

فَعَلى سبيل المثال؛ كان خادمٌ مَوهوباً في حِفظ وفي تسليم الألحان، ولِما له من مَوهِبة غير عادية في هذا؛ فقد سِيمَ كاهناً، لكنه بعد زمنٍ يَسير ظهر عليه قُصورَه في خدمته، وحتى مَوهِبته خسِرها وخسِرتها الكنيسة معه! وآخَر وآخَر غيره.. إن كان خادِمٌ مَوهوبٌ أو مُثمِر ولأجل مَواهِبه ونشاطه سِيم كاهناً؛ فهناك نَوعان من مثل ذلك الخادم: نَوعٌ يَنمو ويَزداد؛ ونَوعٌ يَفقِد ويتوقَّف.

٥ـ يجب أن تتوفر به هذه **المؤهِّلات**:

أ ـ صحيح أنه لا يُفتَرَض فيه الكمال، لكن ليس أقل من أن يكون نامِياً في الحكمة والقامة والنعمة.

ب ـ ألَّا يكون غريباً عن المذبح، بل يكون له باعٌ كبير في خدمة المذبح كشماس.

ج ـ ليس مُبتدِئاً في حقل الخدمة، بل مُتعتِّقاً في التربية الكنَسِيَّة وخدمة الكلمة.

د ـ إكليريكي، مُتقدمٌ في العلوم الكنَسِيَّة، التي تُمكِّنه من صَد التيارات الفِكرية الهرطوقية **الحديثة**.

هـ ـ لَدَيه بعض السِّمات الشخصية المُتَرَقِّية: طَيِّب ـ عاقل ـ مهذَّب ـ سَوي ـ أمين ـ شجاع ـ باذِل..

و ـ قد أمضَى بعد زَواجه وإنجابه عدداً من السنوات؛ ما يدل على نجاحه في تدبير بيته، لأنه "...**إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَعْرِفُ أَنْ يُدَبِّرَ بَيْتَهُ، فَكَيْفَ يَعْتَنِي بِكَنِيسَةِ اللهِ؟**" (١تي٣: ٥).

ز ـ له شهادة حَسَنة من: أبيه الروحي ـ الكهنة ـ غالبية إخوته الخدام.

ح ـ لم يَسعَ للحصول على درجة الكهنوت الأقدس، بطريقةٍ مباشرة أو غير مباشرة.

أمَّا إذا قامت أيٌّ من السيامات الكهنوتية، **بأيِّ درجة**، على أيِّ اِعتبارٍ آخَر، شخصيٍّ كان أم سياسيّ؛ فَحَتماً سَتَنشأ المتاعب في الكنيسة: الكنيسة المحلية، والكنيسة بمعنى "جَسَدِ الْمَسِيحِ".

[إن كان القديس جيروم (إيرونيموس) في زمانه قال: في هذه الأيام كثيرون يَبنون كنائس حَوائطُها وعُمُدَها من رُخامٍ غالٍ، سُقُفُها مُتألقة بالذهب، مذابحها مُحَلَّاة بالجواهر. **أمَّا بالنسبة لِاختيار خدام المسيح فلا يُعطُون اهتماماً ـ فماذا نقول نحن في أيامنا؟!!** نُكرِّر ما قاله القديس يوحنا ذهبي الفم: إن كان قبل سِيامته (الكاهن) قليل التقوَى فإن ذلك يزداد بعد رِسامته، ومَن يُقيم **مثل هذا يكون مسئولاً عن كل ما يصدر منه، هو والشعب كله**][1].

[1] المتنيح الأنبا يمن والقمص يوسف أسعد: "الكاهن القبطي"، صفحة ٥٢.

أيُّهما يُفَضَّل من نَوعَي الكهنة حال مُواجَهاتهم للأزمات: أالكاهن الذي يذهب ويَجِيء، يسأل ويفحص، يَطلُب ويتَّصِل؛ أم الكاهن الذي يَهرَع (يُسرِع ماشِياً) أولاً إلى "مَقَادِسَ اللهِ" (مز٧٣: ١٧)، بِدخوله إلى مخدع الصلاة (مت٦: ٦)، عَلاوةً على إتيانه إلَى "مَذْبَحِ اللهِ، إِلَى اللهِ" (مز٤٣: ٤)، حتى يستجيب الله ويَأمُر بِالحَل لِأعتَى المشاكِل؟!

من أجل هذا؛ يُنَبِّهنا القديس يوحنا ذهبي الفم إلى مقدار حساسية وخطورة أمر إختيار العتيدين أن يُؤتَمَنوا على الكنيسة، "جَسَدِ الْمَسِيحِ":

[فَلَيس الأمر مُتعلِّقاً بتدبير قمح أو شعير، ثيران أو غنم أو شيءٍ آخَر من هذا القَبيل؛ **بل أنه يَختَص بجسد المسيح ذاته.** لأن كنيسة المسيح هى ـ كما يقول بولس الرسول ـ جسد المسيح (كولوسي١: ١٨، ٢٤)، **ويَجدُر بمَن اؤتُمن عليها أن يقودها لِيَحفظ لها السلامة والعِزة**][1].

وفي رسالته "عن الكهنوت"؛ يتساءَل ذهبي الفم سؤالاً هاماً ويُجيب عليه:

[**تُرى من أين نشأت هذه المتاعب الكثيرة في الكنائس؟** إني أعتقد أن **المصدر الوحيد لها هو الطريقة العَشوائية في إختيار الرُّعاة**، فالرأس يجب أن يكون أكثر أعضاء الجسم قوة، حتى يضبط النزوات الشريرة التي تصدر من سائر أعضاء الجسد. ولكن **إذا كان الرأس نفسه ضعيفاً وعاجزاً** عن صَد الهجمات الوَبائية؛ فإنه يزداد ضعفاً فوق ضعف، **وبِهَلاكه يُهلِك الجسد كله**][2].

كما يُنذِر بِدينونة مَن يقومون بِترشيح أحدهم كاهناً دون تَحَرِّي الدِّقة في إختياره:

[إن الكهنوت بكل تأكيد سوف يديننا إن لم نُحسِن إستخدامه. فَلَيس الكهنوت سبباً في تلك الشرور، ولكننا **نحن الذين نُدَنِّسه ونُحَقِّر من شأنه حين نُعطيه لِمَن لا يستحقونه**، أو للذين يَقبلونه سريعاً دون أن يَفحصوا ذواتهم ويُدرِكوا جَسامة هذه الرُّتبة][3].

---

[1] القديس يوحنا ذهبي الفم: "الكهنوت المسيحي"، صفحة ١٠٣.

[2] المرجع السابق: صفحة ٦٣.

[3] المرجع السابق: صفحة ٦٢.

[وكما أنه لا يُجدي المُختارين اعتذارهم قائلين: إننا لم نُقدِم على هذه الوظيفة من تِلقاء أنفسنا.. هكذا **لا ينفع مَن أقاموهم قَولهم أنهم ما كانوا يعرفون شيئاً عمَّن تمَّت سِيامتهم**، بل أن هذا الأمر نفسه يكون سبباً في دينونة أعظم **لأنهم قدَّموا مَن يَجهلونهم.. فإذاً يَجدُر بمَن يُزكّي كاهناً أن يتحرَّى الدِّقة في اختياره**][1].



[1] المرجع السابق: صفحة ١٠١.

١٥ـ مبادئ يُوجهها الأسقف للذي يسيمه كاهناً، ويُكرِّرها على مَسمَعِه بِكل مناسبة، لكَي تكون خدمته على مثال خدمة "رَئِيسُ الرُّعَاةِ"، بأن:

١ـ يُنَبِّهه بِقَوله: إن لم يكُن صِدقُك تامَّاً وكاملاً في أعمالك أو في كلامك قبل شرطونيتك؛ ففضلاً، لأجل خلاص نفسك يوم مُساءَلَتك عَمَّن وُكِّلتَ عليهم؛ لا أقول لك: "كُن ملاكاً"، بل أقول لك: **"كُن صادِقاً"**، في كلامك وفي سلوكك، مع نفسك ومع أفراد رعيتك، الصِّدق الذي لا يَرضَى الله بأقل منه، وخصوصاً عند وقوفك على المِنبَر في خدمتك للكلمة.

كتب القديس إيسوذوروس الفَرَمي رسالةً إلى الأسقف إفسفيوس، بخصوص أنه يجب على الكهنة أن يُطَبِّقوا كل ما يقولونه، فَيَقول:

[تعليمُك في الكنيسة مُفرِح، ولَيتَه يكون نافعاً. لأنك تُشبِه ذاك الذي يُلقي حجارةً نحو السماء ويقف في المكان الذي سوف تَسقُط عليه مُتوسِّلاً هكذا أن تَسقُط فوقه. فلَو كانت الخطايا التي نَنصح بِعَدم فعلها تظهر فوقنا، وبأعمالنا نُنكِر أقوالَنا، فلَن يَصعُب علينا فقط أن نُعيقَ المُستمعين عن أن يُخطئوا؛ بل أيضاً سوف نصير أُضحوكةً، لأننا نُعَلِّم بتعاليم ونفعل عكس الأمور التي نُنادي بها في تعاليمنا][1].

٢ـ تكون خدمته لا على مستوى الداخل فقط؛ بل بِالأحرَى تمتد خارج أسوار الكنيسة (لو١٤: ٢١ـ ٢٤)، لتشمل المساكين الخُطاة والضالين واللَّاهين عن خلاصهم وأبَديتهم.

٣ـ تكون خدمته لا على مستوى الجموع فقط؛ بل أيضاً على مستوى النفس الواحدة.

الكثير مِنَّا يعرف موقف أبونا بيشوي كامل إزاء الفتاة المسيحية، التي لَمَّا أغواها البعض بِالارتداد عن المسيح، وركبت معهم سيارتهم؛ تَعَلَّق الأب بيشوي بِمُؤخِّرة سيارتهم وهى سائِرة، وظلَّت تَجُرَّه على الأرض، حتى تأثرت به الفتاة، فَلَم تُكمل طريقها معهم بل تركتهم ورجعت معه.

[1] رسائل القديس إيسوذوروس الفَرَمي، الناشر: المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ترجمة د. جورج عوض، أغسطس ٢٠١٨، صفحة ١٥١.

٤ـ تكون رسالته الأساسية هى: حَث الناس على التوبة والإقلاع عن الدنس.

٥ـ لا يكون كلامه وكِرازَته "بِكَلاَمِ الْحِكْمَةِ الإِنْسَانِيَّةِ الْمُقْنِعِ؛ بَلْ **بِبُرْهَانِ الرُّوحِ وَالْقُوَّةِ**" (١كو٢: ٤)، حَسَب المكتوب: "إِنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ **فَكَأَقْوَالِ اللهِ**" (١بط٤: ١١).

٦ـ يشهد على الخطأ بِقَوله: "**لَا يَحِلُّ لَكَ**"، بِحسب الكلمة: تث١٢: ١٧؛ تث٢٢: ٣؛ مر٦: ١٨

٧ـ يترفَّق بالخُطاة. من صلوات سِيامة الكاهن: «يمتلئ من كلام التعليم ليُعلِّم شعبك **بِوَداعة**».

٨ـ يُتَلمِذ كَوادِر للكنيسة (شمامسةً مُتعلِّمين ـ خداماً مُدَرَّبين ـ نَذيرين).

(ملاحظة: لا يُحمِّلَنَّ الأسقفُ الكاهنَ المتعدد المواهب، أو النَّشِط، بِوَزَناتٍ إضافية تَفوق طاقته، لِئلا يُخَوِّر تحت ثِقَل جُملة مَهامِّه، فلا يستطيع أن يَفي بِوَزَناته المُضافة والأساسية معاً).

١٦ـ لماذا كثُرت السِّيامات الإكليروسِيَّة في الآونة الأخيرة؟!

هناك مَبدَأٌ هامٌ، مع أنه ليس دائماً مَأخوذاً في الاعتِبار؛ وهو أن:

الجميعُ مَدعُوُّن للخلاص، لكن ليس الجميعُ مَدعُوِّينَ للخدمة

فمثلاً؛ رَبُّ الجنود لم يُسَر بـ **٣٢٠٠٠** من الجنود، بل اِنتخبَ منهم **٣٠٠** فقط (قض٧: ٢ـ ٨). وفي تجسُّده لم يَدْعُ الجميع للكرازة: فَلِكَي يَختار تلاميذَه "**قَضَى اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي الصَّلاَةِ لِلَّهِ**"، ومن بين تلاميذه الكثيرين "**اخْتَارَ مِنْهُمُ** اثْنَيْ عَشَرَ" فقط (لو٦: ١٢، ١٣)، ولم يَدعُ كلَّ الجمهور الذي كان يَتبَعه إلى الخدمة الرسولية بل "**عَيَّنَ**" من بينهم سَبعين فقط (لو١٠: ١).

ثم لم يَدَع الجميع أن يكونوا معه: فقد قال لِنازِفَة الدم التي شَفاها: "**اذْهَبِي بِسَلاَمٍ**" (مر٥: ٣٤)، وقال لِلمرأة التي شَفى ابنتَها: "**اذْهَبِي**" (مر٧: ٢٩)، وقال للأبرص الذي شَفاه: "**اِمْضِ**" (لو٥: ١٤)، وقال للمَفلوج الذي شَفاه: "**اذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ**" (لو٥: ٢٤).. كما أنه لم يُوافِق على رَغبة البعض مِمَّن طلبوا إليه أن يَجولوا معه بل كان يَصرِفهم، فلَمَّا طَلَبَ إليه الرجل الذي كان به "لِجئون" أن يكون معه "**صَرَفَهُ قَائِلاً: ارْجِعْ إِلَى بَيْتِكَ**" (لو٨: ٣٨، ٣٩).. وقال للأبرَص الذي لَمَّا شَفاه رَجِع يُمجِّد الله في شَخصه: "**قُمْ وَامْضِ**" (لو١٧: ١٩)، **والمَولود أعمَى** الذي لَمَّا خَلَقَ له عَينَين فآمَن به وسَجَدَ له (يو٩: ٣٨)؛ لم يَدعُه للخدمة، ولا سمِعنا عنه في الإنجيل المقدس أو في التقليد الكَنَسي أنه انضَمَّ إلى فريق الرسُل، ومثله **زَكَّا**، بِالرُّغم من قَول الرب عنه: "الْيَوْمَ حَصَلَ خَلاَصٌ لِهَذَا الْبَيْتِ، إِذْ هُوَ أَيْضاً ابْنُ إِبْرَاهِيمَ" (لو١٩: ٩)، وغيرهم الكثيرون..

فلا صِحة لِلتَّوَجُه نَحو سيامة الأطفال شمامسةً بِكَثرة من صِغَرهم لكي يَتثبَّتوا في الكنيسة، ألا تكفي لهم "مدارس الأحد" بكُل خدماتها؟.. ولا سيامة حَديثي العهد بالحياة الروحية شمامسةً لكي يُحبوا الكنيسة، أو اصطِناع مُسَمَّياتٍ وظيفيةٍ لهم (مُساعد/ نائب/ وكيل/ أمين..). لأن ـ ومن واقِع الخِبرة ـ غالبية هؤلاء وأولئك إمَّا أنهم يعودون فَيَهجرون نعمتهم، وإمَّا أنهم يكونون عثرةً للمَدعُوِّين الحقيقيين للخدمة.. إن الدعوة للخدمة لَيسَت عامة.

وإذا كان هذا مَبدأً عامَّاً في الخدمة؛ فكَم يكون الأمر أكثر خُصوصية في **الخدمة الكهنوتية**؟!

فكَثرة السِّيامات الكهنوتية، وتَجزِيء الإيبارشيات، بِداعي تَكاثُر مُتطلِّبات الخدمة الرَّعوية بسبب الزيادة السُّكانية؛ لَيسَا هُما الحَل في حَد ذاتهما، **وإنَّما الحَل الجِذري والأوَّلي يكمُن في: الاختيار الصَّائب لِنَوعية الخُدام أنفُسهم، ثم تأهيلهم للخدمة الرعوية (قبل السِّيامة)**.

هناك فرقٌ بين أنواع الخدمة الكنسِيَّة المتعددة وبين نوع الخدمة الإكليروسيَّة. لقد أضحَت السِّيامات الآن بِالجُملة: سِيامة الأطفال شمامسةً، والسِّيامات الكهنوتية.. السِّيامة مَسحة رَبَّانية رَهيبة وشرطونية روحانية قُدُسِيَّة، لا حفل وأزياء تُرتَدى. إن ذلك لا يُحقِّق الغرض المَرجُو منه، بل وقد يأتي بِنتائج مُضادَّة: "**عَلَى حَسْبَمَا كَثُرُوا** (الكهنة) **هَكَذَا أَخْطَأُوا إِلَيَّ**" (هو٤: ٧).

إذاً فما هو معنى أمْر الرب لنا: "إِنَّ الْحَصَادَ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّ **الْفَعَلَةَ قَلِيلُونَ**. فَاطْلُبُوا مِنْ رَبِّ الْحَصَادِ أَنْ **يُرْسِلَ فَعَلَةً إِلَى حَصَادِهِ**" (لو١٠: ٢)؟ معناه هو أن المُهِمة المَنوط بها فَعَلَةُ وخدام الرب هى في المَقام الأول خدمة روحية قبل كَونها إدارية أو مجتمعية، والخدمة الروحية تتطلَّب خُدَّاماً روحانيين وهؤلاء قليلون، فإن كان البعض يُدعَون إنَّما للاختبار، وقَليلون منهم يُنتَخَبُون:

"**لأَنَّ كَثِيرِينَ يُدْعَوْنَ وَقَلِيلِينَ يُنْتَخَبُونَ**" (مت٢٠: ١٦؛ ٢٢: ١٤)

فَليَتَمهَّل الأسقف قبل سيامته لِأحدٍ كاهناً حتى تتَّضح دعوته، وحتى يتحقَّق هو من تَوَفُّر كل المؤهِّلات اللازمة فيه، "وَاحِدَةٌ مِنْ هذِهِ لاَ تُفْقَدُ"، "**لاَ تَضَعْ يَداً عَلَى أَحَدٍ بِالْعَجَلَةِ، وَلاَ تَشْتَرِكْ فِي خَطَايَا الآخَرِينَ**" (١تي٥: ٢٢)، لأنه إذا حَلَّت بِالكنيسة الأيام المُظلِمة فَلَسوف يهرب غير الأُمَناء هروب الأُجَراء من الذئاب (يو١٠: ١٢، ١٣)، كهجرة كهنة بدون تكليفٍ كنَسِي وبغير ضرورة. إن كاهناً واحداً مؤهَّلاً: روحياً وإيمانياً وكتابياً، أميناً ومُخلِصاً؛ خيرٌ من عَشرة (موظفين) غير مؤهَّلين أو غير أُمَناء، لأنه بِقُوة الروح الذي فيه يكون هو الأكثر تأثيراً على جُموع الناس.

وإلَّا؛ فماذا يعني أن كاهناً ـ عقِب ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ وتَبِعاتها ـ يقف يعِظ الشعب من على المِنبَر، ويقول لهُم: (كلِّنا خايفين مانِدحَكش على بعض)!!

الخدمة الإكليروسيَّة لَيسَت شَرطاً للخلاص، أو مَعبَراً واجباً للنمو الروحي، أو مِنحة لِأبناء الكهنة والمُعلِّمين. (التونية البيضا) لَيسَت مَشاعاً لجميع الراغبين، فَلَيس جميع الراغبين مَدعُوّين، وليس جميع الذين يُريدون يَصلُحون.. العمل الإكليروسي وَكالة تتطلَّب في القائم بها **مؤهِّلاتٍ**، كما يجب أن يكون **مُعَدّاً** إعداداً جيداً، فَضلاً عن أن العمل الكَنَسِيّ هو **دعوة** من رب الكنيسة: "وَأَنَا أَشْكُرُ الْمَسِيحَ يَسُوعَ رَبَّنَا الَّذِي قَوَّانِي، أَنَّهُ حَسِبَنِي أَمِينًا، **إِذْ جَعَلَنِي لِلْخِدْمَةِ**" ١تي١: ١٢

فإن لم يَفِ المُسام بالأمانة فسَيُقدم عنها حِساباً، أولاً: لأنه لم يكُن بارَّاً بها؛ وثانياً: لأنه أخذ مكان مَن كان سَيَعمل الله به لِخلاص كثيرين: "**أَعْطِ حِسَابَ وَكَالَتِكَ**" (لو١٦: ٢).

ومثلما "مَنْ أَكَلَ هَذَا الْخُبْزَ أَوْ شَرِبَ كَأْسَ الرَّبِّ **بِدُونِ اسْتِحْقَاقٍ** يَكُونُ مُجْرِماً فِي جَسَدِ الرَّبِّ وَدَمِهِ" (١كو١١: ٢٧)؛ هكذا إن كان "**يَأْخُذُ أَحَدٌ هَذِهِ الْوَظِيفَةَ بِنَفْسِهِ**" (عب٥: ٤)، أي إن اِختَطَف أحَدٌ خدمة الكهنوت الأقدس وهو غير مَدعُوٍّ، أو غير أهلٍ لها ـ "**سَيَحْمِلُ الدَّيْنُونَةَ** أَيَّ مَنْ كَانَ" (غل٥: ١٠)، هو والذي سامَهُ.

فَلَيس بِصالحٍ أمر السِّيامات الكثيرة. اليوم نصف الشعب إكليروس، شمامسةً وكهنة!

عن نَوعية المُرشَّحين لدرجة الكهنوت الأقدس؛ كتب القديس يوحنا ذهبي الفم:

[فإن **الكاهن** لا يَكفيه الاتِّصاف **بالطهارة** لِيَكون أهلاً لهذه الخدمة، بل يحتاج أيضاً إلى أن يكون **حكيماً ومُحَنَّكاً في أمورٍ شَتَّى، وأن يكون خَبيراً بشئون العالم**، ليس بأقل من القَوم المُتصرِّفين فيه. وفي الوقت نفسه **يكون مُتحرِّراً من العالم أكثر من الرهبان سُكان البراري**][(١)].

[**بل ينبغي أن يتم الاختيار من بين الذين استطاعوا ـ بعد الاختلاط بالعالم ـ أن يحفظوا طهارتهم بلا دنس**، ويحتقروا أمور العالم وشهواته، ويعيشوا في نُسكٍ وهدوء ويقظة، **مُتحلِّين بباقي فضائل الرهبان إن لم يزيدوا عنهم فيها**][(٢)].

---

(١) القديس يوحنا ذهبي الفم: "الكهنوت المسيحي"، صفحة ١٤٠.

(٢) المرجع السابق: صفحة ١٤٥.

قد يَستحسِن الراعي خادماً يعرفه وتبدو عليه سِمات الروحانية والنشاط، وقد يكون هكذا بِالفعل، فَيَخطُر بِبَالِه أن يُعاوِنه معه في أعمال الرعاية والخدمة. ولكن تقف أمامه ثلاث مشكلات مترابطة، كالعقبات الكَؤود في طريق تحقيق غَرَضه، الأولى: أن الشعب لا يخضع إلاَّ لِمَن هُم من طغمة الإكليروس، والثانية: اِحتياج هذا الخادم إلى درجة الكهنوت لإقامة وممارسة الأسرار المقدسة، والثالثة: اِحتياجه إلى صَلاحيات الدرجة الأسقفية..

فلا يجد أمامه سِوَى أن (يَزِج) به في السِّلك الرهباني ـ الذي هو العهد الطبيعي للذين يؤتَمَنون فيما بعد على القيادة الكَنَسِية ـ لا من أجل الرهبنة بل من أجل شكلها فقط، كَي يَصبِغه من الخارج بِالصِّبغة الرهبانية، حتى أنه في غُضُون سنتَين يجد ذلك الخادم نفسه علمانياً في شكل راهب، بل في شكل راعٍ، بعِمامةٍ (كبيرة عليه) وعَصَاً (ثقيلة عليه)، قد لا يحتملها!

لِيُبطَل هذا التخطيط الرعوي لأنه مَشُوبٌ بِالحَذَر والخَطَر الشديدَين، لأن احتمال حدوث فشله أكبر مضاعَفاً من اِحتمال حدوث نجاحه، وإن كان قد نجح مرةً فهذا لأنه كان مُمَنهَجاً، مُحكَماً، ومحدود التجربة ـ وإن لم يَخلُ من آثارٍ سَلبية ـ ولكنه لَو شاعَ فإنه قد يؤدي إلى أعطابٍ جسيمة بجسم الكنيسة المقدسة، بسبب اِحتمال نُكُوص ذلك الخادم أو تَصَلُّفه، الذي يرجع إلى حَداثة عهده بِالرعاية أو حتى حَداثة عهده بِعَقائد الإيمان الأرثوذكسي عَينه.

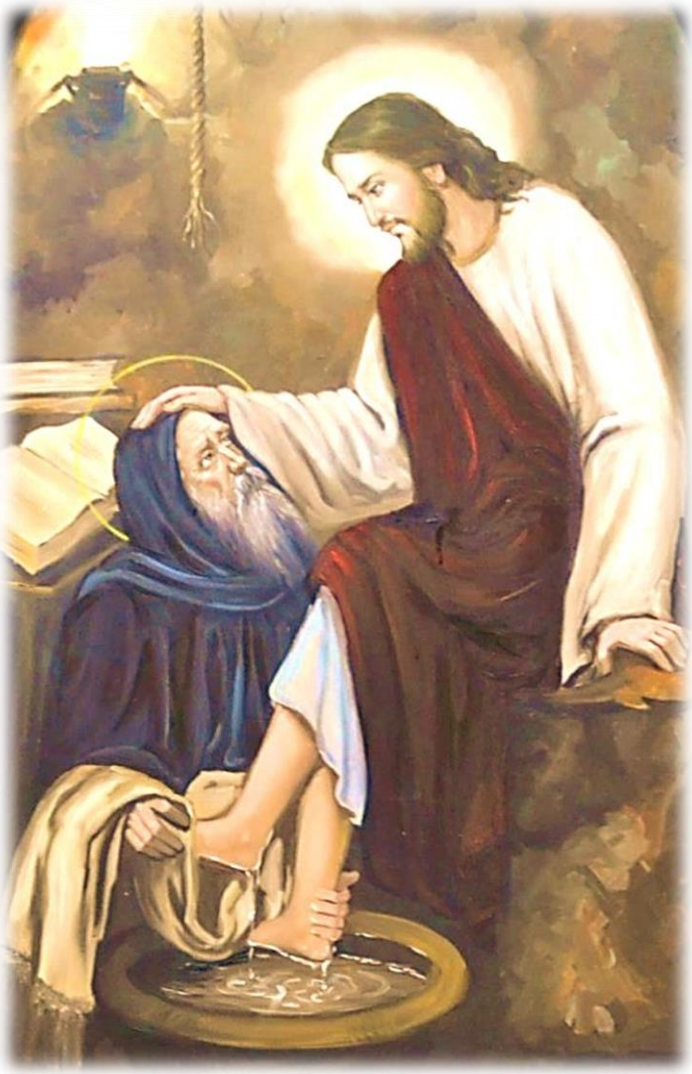
وأعتقد أنه قد مَضَى الزمان الذي فيه يمكن أن يُشَرطَن الرعاة شُبَّاناً.. لِيَذكر الأسقف أن القوانين الكَنَسِيَّة تقضي بأنه إن أراد الأسقف أن يسيم أحداً؛ أن: [**لا يصنع ذلك بِهَوَى**][1]، فَضلاً عن أن هذا الأسلوب يَخرج بِالصِّفة الرهبانية عن سُمُوها ومضمونها وهدفها.. إن احتياج الكنيسة الآن ليس إلى حامِلي الشهادات والدرجات العِلمية وحدها، الدُّنيَوِيَّة أو الكَنَسِيَّة، فقد اِمتلأت المكتبات ووسائل الميديا، واتَّخَمَت الأذان والعقول بِكَلام عِلم ووَعظ بلا نهاية، ومع هذا فقد ضَعُفَت النفوس وبَرُدَت المحبة وقَلَّ الإيمان، ونَدرَت مواهب الروح لَدَى الرعية والرعاة على السَّواء.

[1] الدسقولية: باب ٢١، ترجمة القمص مرقس داود، الطبعة الرابعة، ١٩٧٥، صفحة ١٧٠.

[فالعِلم الإكليريكي والدراسات اللاهوتية مع ما لها من قيمة؛ إلَّا أنها **لَيسَت المِعيار للحكمة النازلة من فوق، والروحانية** المُنسَكِبة كالدُّهن الطَيِّب الدَّسِم والمُشبِع...

فالإكليريكية لَيسَت لتعليم الكاهن فقط **بل لِتكوينه أيضاً**... فكثيرون من اللاهوتيين أغلقوا باب الملكوت في وجوههم شخصياً ووجوه غيرهم بالحق النَظَري المُبهَم، بينما انسَلَّ كثيرون من البُسَطاء للملكوت ومعهم جمهور من الذين استراحوا للبساطة الروحية الحكيمة فيهم][1].

فَلَيس احتياج الكنيسة الآن إلى ذَوي الإمكانيات الاِجتماعية، الذين ـ كَتَعبير ذهبي الفم ـ يُجيدون فَن التملُّق، أو إلى أصحاب العلاقات مع ذَوِي المراكز، أو الماكِرين في المُحاوَرات.. **بل أن احتياج الكنيسة الآن هو إلى** القائد الروحاني، إلى رجل الإيمان والصلاة، إلى القُدوة والمثال والنموذج في الفضيلة والسلوك بِالروح: "رَجُلاً مَمْلُوًّا مِنَ الإِيمَانِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ" (أع٦: ٥)، فَيَقود الناس إلى التوبة وإلى مخافة ومحبة الله.. ومثل هذا لم يَنقرِضوا تماماً، ولكنهم عادةً ما **يتوارون داخل ثغورِ بِبَراري أديارهم.**



إن أراد الراعي أسقفاً عاماً يُعاوِنه في خدمته المَهيبة؛ فلا يَختَره من الشعب لمجرد أنه قد اِستَحسَنَه ووجد نعمةً في عينيه، لكن فَليَختَره **من بين الرهبان الصالحين المُتَعَبِّقين في الرهبنة، المُتَعَمِّقين**

[1] المتنيح الأنبا بيمن والقمص يوسف أسعد: "الكاهن القبطي"، صفحتَي ٤٦، ٤٧.

في الروح، الرهبنة التي ليست فقط صَبغَتهم من الخارج؛ بل ونَقَّتهم من الداخل حتى النُّخاع.

من رسائل القديس إيسوذوروس الفَرَمي:

[يجب على الأسقف أن يعرف خدمته من هذا اللَّقب ذاته. يجب أن يمد إشرافه على القنَّاصين غير المنظورين والقاتلين، على خُمول الكنائس، على كَسَل الرهبان، على الأنشِطة الضارة، على تَعاسة الأرامل، على فقراء الأيتام، على الوشايات ضد المذنب، على ضعفات هؤلاء الذين يخدمون، على الأعمال الشريرة لِصغار السِّن، وعلى الحِيَل الشريرة لِكبار السِّن، وبِشَكلٍ عام، أن يكون كله عَيناً واحدة ترى كل شيء ولا تتغافل عن شيء، لأنه إن أفلَتَ شيءٌ من نظره، لن يُصَب ذلك الأسقف فقط بِالانزعاج والاضطرب، بل مرَّاتٍ كثيرةٍ مع ذاك، أيضاً الكنيسة كلها. يحدث هذا للأسقف لأنه أرد أن يخدم الله، بينما كان في مثل هذه الحالة من الإهمال، أو لأنه قبِلَ مَكانةً ساميةً جداً بدون إرادة الله، أو وهو مُستحوِذٌ عليه الجنون اِشترى الأسقفية. كذلك يحدث أيضاً الاضطراب والانزعاج للآخرين في الكنيسة لأنهم أعطوا بغير استحقاق (بموافقتهم) الكهنوت لمثل هذا الشخص][1].

فَليَعرِض الراعي اِحتياجَه على رئيسٍ لِدَير، وهو يَعرِف أولادَه، وسَيُساعده في اِختيار المعَيَّن من الله، الذي يُعَيِّن خدامه في الوقت المناسب: "**أَنَا الرَّبُّ فِي وَقْتِهِ أُسْرِعُ بِهِ**" (إش ٦٠: ٢٢).

كثيرون هُم الذين بَعدما نَجَوا من دنس العالم؛ عَثَرُوا في ميناء التكريس والخدمة، أو تَسَبَّبوا في إعثار آخَرين! فقد يَصلُح أحَدُهُم ويُناسِبه أن يكون أباً رهبانياً في دَيرِه، ولكنه لا يَصلُح، أو لا يُناسِبه، الخدمة وَسط المجتمع العلماني.. وقد يَصلُح أحَدُهُم ويُناسِبه الخدمة وَسط المجتمع العلماني، ولكنه لا يَصلُح، أو لا يُناسِبه، أن يُسنَد إليه وَكالة ذات رئاسة.

---

[1] رسائل القديس إيسوذوروس الفَرَمي، الناشر: المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ترجمة د. جورج عوض، أغسطس ٢٠١٨، صفحة ١٧٥.

ويَنصَح ذهبي الفم مَن لا يرى في نفسه كفاءة كافية للقيام بهذه المهمة الجَسيمة؛ بِالهروب من مُحاولة زَج الناس به في ما سَوف لا يَحمِلون عنه الدينونة بسببه:

[لأنه إذا كُنا بِصَدد اِختيار إنسانٍ لرُتبة حَربية، والذين لهم حَق الترشيح يُرَشحون نَحَّاساً أو صانِع أحذية أو واحداً من ذَوي مثل هذه الحِرَف، ويضعون الجيش بين يَدَيه؛ فإني لا ألوم هذا الإنسان البائس **إذا أخذ في الهروب، وعمِل كل ما في وسعه لكي يتجنب هذا الارتباك العظيم**][1].

وأن مَن سَيَحتَجُّون بِجَهلِهم، أو إجبارِهم على قبول الكهنوت؛ فَعُذرهم مَرفوض:

[فإن كان الذي يُعثِر واحداً فقط يكون من الخير له أن "يُعَلَّقَ فِي عُنُقِهِ حَجَرُ الرَّحَى وَيُغْرَقَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ" (مت١٨: ٦)، وإن كان الذين يُعثِرون الأخوة ويُتعِبون ضمائرهم الضعيفة يُخطِئون إلى المسيح (١كو٨: ١٢)؛ فالذين يُهلِكون لا واحداً ولا اثنَين أو ثلاثة بل نفوساً عديدة فماذا يُصيبُهم؟ وأي جوابٍ يُقدِّمونه عن ذلك؟ **لن ينفع هناك اعتذارهم بعدم الخِبرة أو الجهل، أو الاحتِجاج بأنهم أُكرِهوا على قبول الكهنوت**][2].

[1] القديس يوحنا ذهبي الفم: "الكهنوت المسيحي"، صفحة ٦٠.

[2] المرجع السابق: صفحة ١٣٣.

١٧ـ مَن يُدير مَنظومة التعليم الأكاديمي في الكنيسة؟

تتعدد فروع العلوم الكنَسِية، ومناهج التعليم الأكاديمي بها. وقد اِزداد عدد الدارسين بصورةٍ غير مَسبوقة. فمَن الذي يَحسُن أن يُدير التعليم بِالكليات والمعاهد الإكليريكية؟ هل أساقفة، هل كهنة، هل دكاتِرة مُحاضِرين...؟ لا أقول: "مَن يُعَلِّم"، بل: "مَن يُدير التعليم"، لأنه يمكن أن يُعَلِّم آباءُ أساقفة وآباءُ كهنة وأساتذةٌ مملوئين وأكفاء ومؤهَّلين.

لكن الأسقف لَدَيه أعباء إيبارشية كاملة، بكل مَن فيها، وبكل ما فيها، فضلاً عن بُعد المسافة بينه وبين موقع الكلية، والكاهن له مسئولياته الجَسيمة المتعددة، والدكتور المُحاضِر له أعماله ومَشاغِله. فَعَلاوة على مسئولياتهم فإنهم يتكبَّدون جهود التدريس، وإعداد المناهج، والامتحانات، وتصحيح إجاباتها.. فإن تقلَّد أسقفٌ أو كاهنٌ عِمادة أو وكالة كليةٍ أو معهد؛ فَلَسوف تكون رئاسته مجرد إشرافٍ اِسميّ أو اِسمٍ شَرَفيّ، وحتى لو قام هذا أو ذاك بمهمته كما ينبغي فإنه يئِن تحت وَطئة ثقلها. فلماذا يُثقَّل كاهِل أيٍّ من هؤلاء بِحملٍ مُضاعَفٍ على أحمال خدمته الرئيسية؟!

إذاً فهل يمكن الاتجاه إلى التفكير في أن مَن يقومون بهذه الرسالة يكونون من **قِدِّيسي عُلَماء الرهبنة**؟ الروحانيين المملوئين المؤهَّلين، الذين لهم باعٌ كبير في الدراسة والمعرفة، ودُون أن يُساموا بِالضرورة أساقفةً عامِّين.. ذلك لأنهم متفرغون من اِهتمامات الخدمة. فَرِئاسة حقلٍ أو موقعٍ تتطلب التفرُّغ لها والتركيز فيها، والرهبنة هى التي كانت، دائماً، داعِمة الإيمان والتعليم بِكنيستنا المقدسة.

فَتَقوم لجنة الإيمان والتعليم بإجراء بحثٍ عمَّن يصلُحون لهذه القيادة، عن طريق اِستطلاع آراء رؤساء الأديرة، فهُم العارفين بمواهب أبنائهم الرهبان، لِتعيين منهم رئيسٍ في كلٍ من هذه المؤسسات التعليمية:

ـ راهبٌ روحانيٌ عالِمٌ متفرِّغٌ رئيساً للكلية الإكليريكية.

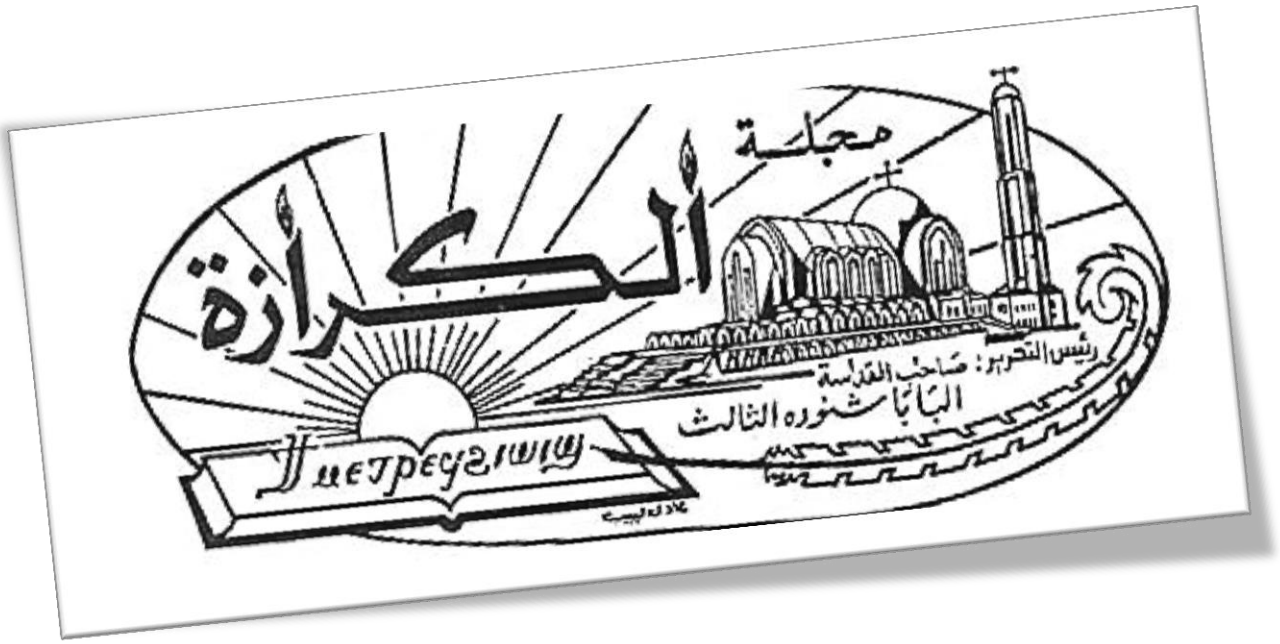
ـ راهبٌ روحانيٌ عالِمٌ متفرِّغٌ رئيساً لمعهد الدراسات القبطية.

ـ راهبٌ روحانيٌ عالِمٌ متفرِّغٌ رئيساً لمعهد الرعاية والتربية.

ـ راهبٌ روحانيٌ عالِمٌ متفرّغٌ رئيساً عاماً لمنظومة التعليم في الكنيسة. وإن كان كُفؤاً فوق المُعتاد، وأحدَثَ إضافةً فارِقةً يمكن أن يُسام أسقفاً للتعليم، على غِرار سيامة أسقفٍ للتعليم سابقاً، الراهب أنطونيوس السرياني (البابا شنودة الثالث).

ألم يزدهِر التعليم الكنَسِي خلال الثُّلث الأخير من القرن السابق؟ لماذا؟ لأن مَسيرة التعليم كانت قد اِنتظمت **تحت قيادةٍ واحدة**، وإن تمثَّلت في شخصَين هما الأنبا شنودة أسقف التعليم والأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمي.

١٨- رأيٌ في أمر "مجلة الكرازة"..



أُنشِأت مجلة الكرازة في بداية عَصر النهضة الكَنَسِيَّة الحديثة، حيث لم تكن توجد وسيلة تَواصُل تعليمية أو إعلامية بين الكنيسة والرَّعية، وأمَّا الآن فهناك أكثر من قناة فضائية للكنيسة القبطية، وهناك الموقع الرسمي للكنيسة القبطية، وهناك المتحدث الرسمي بِاسم الكنيسة القبطية..

فما هو الهدف من نَشر أعمال الكِرازة؟ وما هى ضرورة معرفة الشعب لِتَدابير الرعاية؟ أما نَعرِف ما الجهات الخارجية التي تتصفَّحها وتتفحَّصها؟ فَلِمَ ننشُر خصوصيات كنيستنا على المَلَأ؟!

لا سِيَّما وأن المجلة تَخرُج بِتَكلفةٍ عالية بسبب الطباعة عالية الجودة، التكلفة التي يتحمَّلها قارِئوها، ثم بعد يومٍ واحدٍ لا تَصلُح لِشَيءٍ إلَّا لأن تُطرَح خارجاً، لأنها أمسَت أحداثاً ماضِية؟!.. الكثير من مُشترِيها يَقتنونها، فقط، بِغَرَض مُشاهَدة الصور والاطِّلاع على المُقابَلات والسِّيامات.

لقد أدَّت المجلة رسالتها الحيوية المطلوبة بِنَجاحٍ في زمنها المُناسب.

١٩ـ هل "القُرعة الهيكلية" هى الطريقة التي يُريدُها الله لِتحديد بطريرك كنيسته؟

عَبر تاريخ الكنيسة، حين كان آباؤنا يمكنهم أن يُجمِعوا على رأيٍ واحدٍ، بالصلاة، وبإرشاد الروح القدس، الذي يعمل على إظهار مُختاريه؛ لم يكونوا في حاجة إلى استخدام القُرعة لِاختيار بَطرِيَركهم، فكَم من مرة نقرأ في كتاب السنكسار: "فلما خَلا الكرسي المرقُسي اِجتمع رأي الأساقفة والأراخِنة والشعب على اختِيار (...) خَلَفاً له". فهل الأمر هو هكذا أيضاً الآن؟

إن طريقة القُرعة الهيكلية في اِختيار بطريرك الكنيسة لَيسَت تقليداً آبائياً، ولا يوجد قانونٌ كَنَسِيٌّ ينُص على إجرائها، ولَيسَت إلزامية للعمل بها، وعَلى مدى تاريخ بطاركة الكنيسة القبطية وحتى الآن لم تُجرَ إلَّا مراتٍ قليلة.

القُرعة التي ألقاها آباؤنا الرسل كانت قبل حلول الروح القدس عليهم يوم الخَمسين (أع١: ٢١ـ إلخ)، الروح القدس الذي يُعَيّن الرعاة والخدام، ولم يَذكُر الإنجيل المقدس اِختياراً آخر بعد ذلك تمَّ بطريقة القُرعة، بل كانت هناك طَرائق أخرى للاِختيار:

١ـ طريقة اِختيار الله المباشر: "وَبَيْنَمَا هُمْ يَخْدِمُونَ الرَّبَّ وَيَصُومُونَ، **قَالَ الرُّوحُ الْقُدُسُ**: أَفْرِزُوا لِي بَرْنَابَا وَشَاوُلَ لِلْعَمَلِ الَّذِي دَعَوْتُهُمَا إِلَيْهِ" أع١٣: ٢

٢ـ طريقة إنتخاب الكنيسة، بِقيادة الروح القدس: "فَدَعَا الاِثْنَا عَشَرَ جُمْهُورَ التَّلاَمِيذِ وَقَالُوا... **فَانْتَخِبُوا** أَيُّهَا الإِخْوَةُ سَبْعَةَ رِجَالٍ مِنْكُمْ مَشْهُوداً لَهُمْ وَمَمْلُوِّينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَحِكْمَةٍ، **فَنُقِيمَهُمْ** عَلَى هَذِهِ الْحَاجَةِ. وَأَمَّا نَحْنُ فَنُواظِبُ عَلَى الصَّلاَةِ وَخِدْمَةِ الْكَلِمَةِ" أع٦: ٢ـ ٥

ومنذ ذلك الوقت لا يوجد أي ذِكر لِاستخدام القُرعة في الإنجيل المقدس، أو قوانين الآباء الرسل، أو المجامع المَسكونية. وحتى لَو كان ذلك قد ناسَبَ وَقتاً ما فهو لا يُناسِب زَمنَنا الآن أبداً.

بخصوص نَوعية المُرشَّحين، أن يكونوا من الأساقفة العامّين أو من الرهبان؛ فإن هذا الأمر، بل والقواعد البشرية للاختيار بِرُمَّتها التي تَمنَح أو تَمنَع بعضهم من الترشيح؛ هى ابتِكاراتٌ وَضعِيةٌ بشريةٌ مَحضَة ولَيست مُنزَلةً مع الوصايا العَشر أو المَوعظة على الجبل!.. فقد يريد الله راعِيه من

بين الأساقفة أم من غَيرهم، من بين الرهبان أم من غَيرهم، من بين المُرشَّحين أم من غَيرهم. أفيُلزِم أحدٌ الربَّ بمَن لا يُريدُه؟!.. في هذا كتب الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمي ما مُفادُه؛ أنه كيف نعرف أن الله راضٍ عن الثلاثة المكتوب أسماؤهم بِالورق؟ فلماذا لا نضع ورقة رابعة بيضاء إذا تمَّ سَحبُها نعرف أن الثلاثة الموضوعة أسماؤهم غير مَرضِيٍ عنهم؟!.. هكذا كان قد فعل منذ القِدَم الأثينَويون، بإقامتهم مذبحاً **مُنفرِداً** كاتبين عليه: "لِإِلَهٍ مَجْهُولٍ"، حتى يتعرَّفوا على ما يَجهلونه (أع١٧: ٢٣)، وكان ذلك التدبير سبباً في إقبالهم إلى الحق.

والسؤال الآن: إن كان القائمون بِالتصفِيات قد تَوَصَّلوا إلى آخِر ثلاثة مُرشَّحين، فمِن المتوقَّع أن هناك تَفاوُتٌ في عدد أصوات كلٍ منهم؛ فَلِمَ يَرفضون صاحب أكثر الأصوات ويُلقون (قُرعة)، هل لِمَعرفة مَشيئة الله؟ فأيُّهما أقرَب إلى منطق الروح والعقل؛ أن تُعرَف مَشيئةُ الله من (قُرعة) أم من أكثر الأصوات؟!! إنه حتى لَو تَعادَلَت أصوات المُرشَّحين فالقُرعة لَيسَت بِالطريقة الروحية.

أمَّا الأسلوبُ الأمثَل فهو:

نحن نتَّفق في أن الله يُعلِن رِضاءَه في مَجمعٍ ما من جهة أمرٍ ما؛ من **إجماع** أعضائه عليه، كَقَول الكتاب: "**حِينَئِذٍ رَأَى الرُّسُلُ وَالْمَشَايِخُ مَعَ كُلِّ الْكَنِيسَةِ... قَدْ رَأَى الرُّوحُ الْقُدُسُ وَنَحْنُ**" (أع١٥: ٢٢، ٢٨) ـ فلماذا لا يُجرَى **استِفتاءٌ عَلَنِيّ، شِفاهِيٌّ أو كِتابِيّ، بين أساقفة المجمع المقدس، لِاختيار البطريرك من بين آخِر ثلاثة مُرَشَّحين، بِطريقة أكثر الأصوات**، حتى وَلَو بِتِكرارها إذا تَعادَلَت أصوات إثنَين ـ أو أكثر ـ من المُرَشَّحين؟

بِناءً على طريقة القُرعة؛ هل يمكن أن يجلس على السُّدَّة المرقسية مَن ليس بِحَسب مَسرَّة الله؟

هذا غير مُستحيل. فالأرض لَيسَت هى السماء، لِذا فالكنيسة التي في الأرض لَيسَت هى الكنيسة التي في السماء، والله يَسمَح فيها بِالكثير مما لا يُريده هو: يَسمَح بِدخول أحدهم في خدمة التربية الكَنَسِية أو الخدمة الشَّمَّاسية دون اختياره، وبِتَكريس أحدهم راهباً دون اختياره، وبسيامة أحدهم كاهناً دون اختياره، وأحياناً أسقفاً دون اختياره، وقد يكون حتى بطريرك كنيسته! ومن المُلاحَظ أن أي قُرعة هَيكَلية أجرِيَت لِانتخاب الأب البطريرك لم تَسلَم من التَّشكيك في نَزاهَتها، فلماذا نُعَرِّض الرعية للعثرة في راعيها الجديد، ولماذا نُعَرِّض المَسئولين عن عملية الترشيح لِلشُّبهَة؟!

قِيلَ بأنه **متى كان الشعب قلبه مستقيماً أمام الله يُعطيهم الله كهنةً بِحسب رِضاه**، فبِالتالي إن كان حالُهم ليس هكذا فإنه يسمح بأن يترأَّسهم مَن ليس هكذا، والأمثلة عديدة: من الكتاب المقدس، ومن التاريخ الكَنَسي (البابا ثيؤفانيوس البطريرك ٦٠، والبابا فيلوثيؤس البطريرك ٦٣، والبابا شنودة الثاني البطريرك ٦٥، والبابا كيرلس الثالث البطريرك ٧٥).

كان قد كتب أ. نظير جيد (البابا شنودة الثالث)، الذي كان مُعارِضاً لِتصرُّفات البابا يوساب الثاني، مَقالةً بعنوان: "تغيير لائِحة إنتخاب البطريرك"، خَتَمَها بِعِبارة: "بقاء الكرسي خالياً خيرٌ من أن يجلس عليه شخصٌ غير مستحق"[1].. صحيحٌ أنه قد يقوم بِمُنجَزاتٍ قَيِّمة، وأن الله سَيُتَمِّم كثيراً من مَقاصِده بواسطة ذلك البطريرك؛ إلَّا أنه أولاً وأخيراً قد يكون ليس هو مُختارَه.

المسألة ليست هى: هل المُرشَّحون صالحون أم غير صالحين؟ فبِالطبع جميعُهم آباء باذِلون، وإنما المسألة هى: كيف نعرف، بل نضمن، أن الحاصل على منصب البطريرك، بطريقة القُرعة أم بغَيرها، هو المختار من الله؟.. لهذا يَلزَم لنا أولاً أن نعرف الطُّرُق المُثلَى الروحية التي تُوَصِّلنا إلى هذا المرشح الأخير.

وهل أعلن الروح القدس، بأسلوبٍ أو بآخَر، أن المُتَّفَق عليه، بطريقة القُرعة أم بغَيرها، هو المختار من الله، كما كان دائماً يُؤيِّد الرسل في اِتِّفاقاتهم؟!

وهل لا يوجد بِالكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية الأرثوذكسية القبطية كلها؛ مَن يكشِف الله له عن مختارِه؟! وهل توجد كنيسة تَلجَأ إلى تلك الطريقة غير الكنيسة القبطية؟

وهل صارت القُرعة ـ وهى طريقة النُّوتية الذين كانوا يتعرَّفون على مَشيئة الله بهذه الطريقة البِدائية (يون١: ٧) ـ هى الطريقة الكَنَسِيَّة المُثلَى لِاختيار مُمَثِّل الله في الأرض؟!

وهل هناك مُؤسسة عالمية حَضارِيَّة تَلجَأ إلى طريقة القُرعة في إدارة شئونها؟! (يُعاب على طريقتنا من أصحاب الفِكر، فهناك مقالة قديمة للكاتب الصحفي الشهير حسنين هيكل تَنقُدها).

[1] مجلة مدارس الأحد، سبتمبر ١٩٥٣م، العدد السابع.

وهل يُعَيَّن جميع ذَوي المَناصِب الكَنَسِيَّة بِتَفعيل الروح وإعمال العقل؛ بينما المَنصِب الأكثر رَهبة والأكبر أهمية يُلقَى بِحُكمِه إلى **عَشوائية** قُرعة؟!

ثم من أين عرفنا أن الله قبل أن يكشِف عن مختارِه بِطريقة القُرعة الطفولية والمُبهَمة هذه؛ عن أن يُعلِنها لِوُكَلاء كنيسته بطريقةٍ روحية ومنطقية مؤكَّدَة؟! اللُّجوء إلى (إلقاء قُرعة) هو بمثابة اِعترافٍ ضِمنِيّ بِالقُصور عن معرفة مشيئة الله، كما وبِالقُصور عن وَحدة الرأي.. قد يَقبَل الله أن يُعلِن مشيئته بتلك الطريقة مرةً أو أكثر؛ إنَّما لا يَفرِض أحدٌ عليه طريقه: "**مَنْ فَرَضَ عَلَيْهِ طَرِيقَهُ**" (أي٣٦: ٢٣)، والرب نفسُه قال: "لأَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ، **وَلاَ طُرُقُكُمْ طُرُقِي**" (إش٥٥: ٨). أفَلا تكون هذه الطريقة هى "**تَجْرِبَةِ رُوحِ الرَّبِّ؟**"، "**فَالآنَ لِمَاذَا تُجَرِّبُونَ اللهَ...؟**".

لَيت المُرَشَّح لِوَكالة البطريركية الرهيبة يكون بهذه الصفات الأساسية الخَمس:

١ـ راهباً. ٢ـ ذا قامةٍ روحيةٍ غير عادية. ٣ـ سَوِيَّ النفس. ٤ـ عالِماً. ٥ـ قيادياً.

لا تَحَزُّباً للرهبان ولا تَحَيُّزاً لهُم، لكن هذا هو منطق الروح والحكمة واللياقة جميعاً. هذا الذي تُبرهِن عليه أسبابٌ عِدة، منها أن الراهب المُتعتِّق في رهبنته لم تَنضُب روحانيَّته ولم تنحدِر قامَته خلال العمل بِخدمةٍ سابقة من جَرَّاء السياسات، بل يكون في أَوج روحانيته. وأمَّا عن الخِبرة المطلوبة للعمل الرعوي فإن روح الله هو المُعلِّم، وهو العامل.. وعلى مدى تاريخ الكنيسة فإن أغلَب المُسامين بطاركةً كانوا من بين الرهبان. لِنَذكُر كَم من البركات قد أفاض بها الله على شَعبِه لمَّا أُقيم للبطريركية **الراهب مينا المتوحد**، قداسة البابا كيرلس السادس!



٢٠ـ الكنيسة لَيسَت حِزباً سياسياً، ولكن الكنيسة مجتمعٌ روحي..

الكنيسة لَيسَت حِزباً سياسياً في الدولة، ولا يجوز لها أن تنتمي إلى حِزبٍ، حتى ولو كان هو الحزب الحاكم (أقول: "الكنيسة" لا: "المواطنون المسيحيون"). ولكن الكنيسة مجتمعٌ روحي، رسالتها هى تقديم وَسائط الخلاص للجميع ومُحتواها هو الشركة المقدسة بين المؤمنين.

فالذي يَهَب الكنيسة قوَّتها ويحفظ وَقارها مقابل الحكومات المُتعاقِبة عليها؛ هو مَدى قُدسيتها وروحانية قادَتها وأبنائها على السَّواء، فَضلاً عن أن رب الجنود بِذاته هو حارِسُها:

"أَنَا الرَّبُّ حَارِسُهَا. أَسْقِيهَا كُلَّ لَحْظَةٍ. لِئَلاَّ يُوقَعَ بِهَا أَحْرُسُهَا لَيْلاً وَنَهَاراً...

وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا" (إش٢٧: ٣؛ مت١٦: ١٨).

[**فَوَطنية الكاهن لا علاقة لها بالسياسة**. فالوطنية هى محبة الوطن وتَوعِية الناس على السياسة. **والكاهن لذلك لا حِزبَ له**، لأنه يَعلو فوق السياسة في سَعيِه نحو الوطن السمائي ويَحفظ عَينَه لِئلا تَعمَى بِغُبار الأرض، مثل النسر الذي يرى بِجَلاء من العُلو السماوي أدَق تفصيلات الوَقائع الأرضية. **فالكاهن المسيحي الوطني لا يعيش خارج الحياة إنَّما خارج غُرورها...**

والكاهن المسيحي بِوَطنيته الصادقة وأُبُوته العامة؛ **يرفض أن يُستَعدَى من إنسانٍ على آخَر أو من جماعة على أخرى**][1].

أمَّا امتِزاج الكنيسة بالدولة واندِماجها بِالمنظومة الحكومية، عن طريق الظهور في برامج أو المشاركة في لقاءاتٍ واحتفالاتٍ بِلا داعٍ وكأنها إحدى المؤسسات القابضة، أو كأنها حزبٌ وَطني له ثِقَلُه ـ فلن يحقق الغرض المَرجو، ولكنه بِالأكثر يعمل على تَوريطِها في بَحر العالم الذي **"كُلُّهُ قَدْ وُضِعَ فِي الشِّرِّيرِ"** (١يو٥: ١٩)، بَحر العالم المضطرب الذي **"تَقْذِفُ مِيَاهُهُ حَمْأَةً وَطِيناً"** (إش٥٧: ٢٠)، وبصعوبة تعود تصعد منه وتتنقَّى.

---

[1] المتنيح الأنبا يمن والقمص يوسف أسعد: "الكاهن القبطي"، صفحتَي ٢٣٢، ٢٣٣.

والقَصد هنا بِبَعض مواقف سياسية لِقداسة البابا شنودة الثالث.. فمِن المعروف عن البابا شنودة روحانِيَّته ورعايته، فقد أحدثَ الله بواسطته نهضةً كنَسِيَّةً روحيةً وعِلمية خلال الثُّلث الأخير من القرن العِشرين، كما كان ذا عقليةٍ دينيةٍ وسياسيةٍ معاً، فكان الراعي الذي أعَدَّه الله ليَشغَل المكان المناسب في الزمن المناسب. ولكن لكل قائدٍ ما له وما عليه..

فقد جانَبَ الصَّواب في حَملِه الشعب على التصفيق لِلحُكَّام في كنيسة الملك العظيم، وكذا دعوته مَشاهير الغناء والتمثيل لِمَوائِد لا تخُص الكنيسة من قريبٍ أو بعيد، مُساوَمةً على حساب الحق المسيحي، بِاعتباره رَمزاً.. وغَير ذلك. فهَل عمِلَ بمبدأ الشورَى أولاً، فأخذ بِرَأي المجمع المقدس ـ الذي هو صُورة لمجمع الرسُل الذين كان لهُم "نَفْسٌ وَاحِدَةٌ" (أع١: ١٤؛ أع٢: ١ ، ٤٦؛ أع٤: ٢٤، ٣٢؛ أع٥: ١٢؛ أع١٥: ٢٥) ـ لِيَطمئن على صَواب تَصَرُّفه؟ إن الله يُظهِر مُبارَكتَه لأمرٍ ما، غالباً، من الإجماع عليه.

رُبما كان اتِّجاهُه إلى (تَسييس) الكاتدرائية ـ من وجهة نظره ـ هو وطنيةً وسياسة. ولكن؛ ما للوطنية والسياسة مع الروحانية والرعاية، **"مَا لِلتِّبْنِ مَعَ الْحِنْطَةِ، يَقُولُ الرَّبُّ!"** (إر٢٣: ٢٨)..

فتِلك، وما مثلها، كانت أُموراً سياسيةً بَحتة، قد تؤدي مَستقبلاً ـ لِأسبابٍ أو لِعَوارِض أخرى ـ إلى وَضْع نَفسِه في مَآزِق سياسية، بل وتَجلِب على الكنيسة كلها قَلَقاً بالِغاً، ولولا تدخُّل يَد الله السَّاتِرة فقد تَبلُغ الأحداث إلى ما لا يَعلَمه إلَّا هو وحده!

من جهةٍ أخرى؛ إنه لن يُنتَقَد الراعي إذا لم يُعلِن رأيَه في مُجرَيات الأحداث غير الكنَسِيَّة، لكن ما سَيُعاب عليه فيه هو إذا أدلَى بِرَأيه في حَدَثٍ ما، وكان رَأيُه هذا غير مُسايِرٍ لِلاتجاه السياسي العام. لأنه إذا عبَّر عن رأيه في جميع الأحداث والمواقف؛ فبالتأكيد لن تكون جميع آرائه مُرضِيَة، ومن هنا سَتَنشأ المتاعب! وإلَّا؛ فهل سَيَتَدَخَّل في بعضها ويَنأَى بِنَفسه عن الأخرى؟

فَعَلَى الراعي ألَّا يَخوِّض قَدَمَيه، ولا بِاسم الوطنية، في أمورٍ سياسية لم يَعهَد له بها **"رَئِيسِ مُلُوكِ الأَرْضِ"** (رؤ١: ٥)، مثلما ينبغي على حُكَّام العالم عدم الفَصل في أُمورٍ دينية.. إنه يستحيل بِحالٍ أن يمتزِج الدين بِالسياسة اِستِحالة اِمتزاج الزيت بالماء.. الكنيسة كنيسة والدولة دولة.

يَشهَد التاريخ شَهاداتٍ صارِخة على الكنيسة الكاثوليكية، فإنها عندما جَمَعَت بين المَسلَكَين: الديني والسياسي؛ تَدَنَّت روحيَّاتُها إلى أدنَى مستوى لها، حتى نَشَأَت لَدَيها "العُصور المُظلِمة"، وقد قرأنا عن سلوكِيَّاتٍ شائنة، سياسية وأخلاقية، لِرِجال الدين ولِرؤسائهم، تَطِنُّ لها الآذان! ولَمَّا كان ذلك هو حالَها في دولةٍ مسيحية؛ فماذا لَو كان في دولةٍ غير مسيحية؟!

أقول هذا لكل راعٍ لا لِسَرد ذِكرى وإنما لِأخذ عِبرَة واكتِساب خِبرة، لا سِيَّما وأن الأحداث البشرية الماضية، بما فيها أعمال القادة والزُّعَماء ـ القَومِيين والدِّينيين ـ قد صارت تاريخاً قابِلاً للنَّقد..

ولَمَّا كان الراهب يُنصَح بِألَّا يكون له شركة بِطُرُق حياة العلمانيين؛ هكذا ينبغي على كل راعٍ ألَّا يكون له شركة بطُرُق تَعامُل السياسيين! فلا يُوَرِّطَنَّ أيُّ راعٍ نفسَه ويُوَرِّط الكنيسةَ معه في مَخاوِض سياسية، محليةً كانت أم خارجية.

كثيراً ما صرَّح السيد المسيح بِمَسيحانِيَّته (أي أنه هو المسيح) بِالمَفهوم الإيماني، ولكنه في بعض المواقف "أَوْصَى تَلاَمِيذَهُ **أَنْ لاَ يَقُولُوا لأَحَدٍ إِنَّهُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ**" (مت١٦: ٢٠)، لماذا؟ لِئَلَّا يأخذ الشعب هذه الحقيقة بِالمَفهوم السياسي فَيَتبعونه كَزَعيمٍ سياسي: "وَأَمَّا يَسُوعُ فَإِذْ عَلِمَ أَنَّهُمْ مُزْمِعُونَ أَنْ يَأْتُوا وَيَخْتَطِفُوهُ **لِيَجْعَلُوهُ مَلِكاً، انْصَرَفَ أَيْضاً إِلَى الْجَبَلِ وَحْدَهُ**" (يو٦: ١٥).. وعلى هذا فإنه ليس بِصالِحٍ إضفاء الصِّفة السياسية على قائدٍ دِيني.

قال الربُّ: "**مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ**" (يو١٨: ٣٦)، ولن يكون لها أبداً مكانٌ فيه، ومملكة مسيحِنا هى الكنيسة، نحن. صَدِّقني يا أبي، إن كنيستك مُبغَضة ومُضطَهَدة من العالم، وستظل هكذا، مهما تَوَدَّدتَ إلى وُلاتِه:

"**إِنْ كَانَ الْعَالَمُ يُبْغِضُكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ أَبْغَضَنِي قَبْلَكُمْ**. لَوْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ لَكَانَ الْعَالَمُ يُحِبُّ خَاصَّتَهُ. وَلكِنْ **لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ**، بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ مِنَ الْعَالَمِ، **لِذلِكَ يُبْغِضُكُمُ الْعَالَمُ**. اُذْكُرُوا الْكَلاَمَ الَّذِي قُلْتُهُ لَكُمْ: لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ. **إِنْ كَانُوا قَدِ اضْطَهَدُونِي فَسَيَضْطَهِدُونَكُمْ**، وَإِنْ كَانُوا قَدْ حَفِظُوا كَلاَمِي فَسَيَحْفَظُونَ كَلاَمَكُمْ" يو١٥: ١٨ـ ٢١

إن استقلال الدين عن السياسة لا يعني عُزلَته عن المجتمع، إنَّما ينبغي للكنيسة عدم الخُلطة بالمنظومة الحكومية والخَوض في مَتاهَة شِعابِها، وكأن الأمر هو صورةٌ تُلتقَط يجب الظهور بها، إلَّا:

١ـ حال شَهادتها للحق الإنجيلي (**الخاص بِحَقائق الإيمان**، لا الخاص بِمُجرَيات الأحداث).

٢ـ **إذا طُلِب منها** رأيها في أمرٍ ما بِعَينِه، بما لها من القُدسية وإعلاء الحق والمِصداقية.

٣ـ **إذا طُلِب منها** التَّوَسُّط في مُصالحةٍ ما بِعَينِها.

لا تَغِب عن الراعي وصية رب الكنيسة: "**أَعْطُوا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ**" (مر١٢: ١٧)، فما لله لا يَطرَحه لِقَيصَر، وما لِقَيصَر لا يُقَرِّبه لله.

أبي **قَداسَةَ البابا** في كل عَصر..

بعد تَقبيلي يَدَيك المقدستَين، وإعرابي عن تقديري لرعايتك الباذِلة، وتَوقيري لشخصك الرسولي؛ يمكن لِخَبرِيَّتك أن تتَّخِذ لك، في مجال السياسة، مُشِيراً تَستَشيره قبل أي تصرُّف أو تصريح عَلَني بأمرٍ ما يخص علاقة الكنيسة بالدولة، أو علاقتها بالدول الأخرى. لأن التعامُلات السياسية تتطلَّب إمَّا **خِبراتٍ** سياسية وإمَّا **خُبَراءَ** سياسيين.. إنه مع كَون رئيسٍ سابقٍ (حسني مبارك) رئيساً للجمهورية، ومع كَونه ذا دَهاءٍ سياسي؛ إلَّا أنه لم يترفَّع عن أن يتَّخذ له "مُشيراً" (أسامة الباز)، بل وأعطاه مُسَمَّىً وظيفياً رسمياً، وهو: "المُستشار السياسي لرئيس الجمهورية".

على أن يكون ذلك المُشِير ليس فقط سياسياً؛ وإنما أيضاً "**مُشِيراً وَرَجُلاً صَالِحاً بَارّاً... يَنْتَظِرُ مَلَكُوتَ اللهِ**" (لو٢٣: ٥٠، ٥١)، فَيَنأى بِالكنيسة عن (مُستنقَع) السياسة الدُّنيَوِية.. فكما استُحدِثَت في الكنيسة وظائف: "المُتحدث الرسمي بِاسم الكنيسة القبطية الأرثوذكسية"، و "المُستشار القانوني لِقداسة البابا"؛ فَلِمَ لا تُستَحدَث كذلك وظيفة "المستشار السياسي لِقداسة البابا"؟.. ويمكن أن يكون ذلك بصورةٍ رسمية (أي مُعلَنة) أو بصورةٍ غير رسمية، لا سِيَّما من أجل تحديد البُعد السياسي للموقف الكَنَسِي إزاء الإئتِلافات أو التكَتُّلات الدولية الحادِثة فِعلاً، وتلك المُرتقَب نُشُوءُها.

٢١ـ مَن يَعهَد له الراعي بالعناية بالأمانة؟

أبي الأسقف، محبتي وتقديري لأُبُوتك ورعايتك، وتَوقيري لشخصك القُدسي الباذِل لعددٍ من السنين هذا مقدارُه.. يُرجَى من أُبُوتك؛ إذا وجدتَ أنك لم تَعُد قادراً على مُباشرة مسئولياتك، أو فقدتَ حماسك تجاه أعبائها، أو صارت مقابلة الناس حِملاً ثقيلاً عليك ـ فلا بُد من إقامتك لصَفٍ ثانٍ لمُعاوَنتك. لأنه وإن كانت أعمال الخدمة تسير بِصورة عادية؛ إلَّا أن تَدَفُّق تيار الإمداد الرعوي الحَيَوي ليس كما كان سابقاً.

ونظراً لأن الآباء الكهنة في إيبارشيتك يَصعُب عليهم التحمُّل بأعباء إضافية فوق وزناتهم؛ فيمكنك أن تفوِّض راهبَين أو ثلاثة من أحد الأديرة الواقعة في نطاق رعايتك، أتقياء وروحانيين، مُتضعين ومُثقفين، فتمنحهم الصلاحية لمُباشرة مَهام الخدمة المُعتادة لشعبك، وأمَّا الأمور الكبيرة فيَرفعونها إلى رعايتك. هكذا فعل موسى العظيم بمشورة حَمِيه، أن أقامَ أناساً يحملون معه أثقال شعبه:

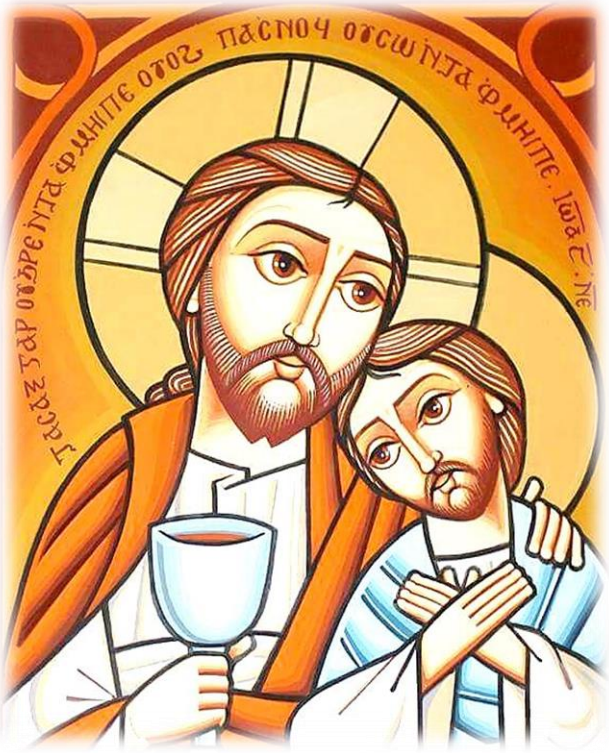
"فَيَقْضُونَ لِلشَّعْبِ كُلَّ حِينٍ. وَيَكُونُ أَنَّ **كُلَّ الدَّعَاوِي الْكَبِيرَةِ يَجِيئُونَ بِهَا إِلَيْكَ**. وَكُلَّ الدَّعَاوِي الصَّغِيرَةِ يَقْضُونَ هُمْ فِيهَا. **وَخَفِّفْ عَنْ نَفْسِكَ فَهُمْ يَحْمِلُونَ مَعَكَ**. إِنْ فَعَلْتَ هَذَا الأَمْرَ **وَأَوْصَاكَ اللهُ تَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ**. وَكُلُّ هَذَا الشَّعْبِ أَيْضاً يَأْتِي إِلَى مَكَانِهِ بِالسَّلاَمِ" خر١٨: ٢٢، ٢٣

ثم قال للرب أيضاً: "**لا أَقْدِرُ أَنَا وَحْدِي أَنْ أَحْمِلَ جَمِيعَ هَذَا الشَّعْبِ** لأَنَّهُ ثَقِيلٌ عَلَيَّ". ولأن الأمر مُوافِقاً لِمَشيئة الرب فقد اِستجاب له قائلاً: "فَأَنْزِلَ أَنَا وَأَتَكَلَّمَ مَعَكَ هُنَاكَ وَآخُذَ مِنَ الرُّوحِ الذِي عَلَيْكَ وَأَضَعَ عَلَيْهِمْ **فَيَحْمِلُونَ مَعَكَ ثِقْلَ الشَّعْبِ فَلا تَحْمِلُ أَنْتَ وَحْدَكَ**" عد١١: ١٤، ١٧

فإن كان كَليمُ الله عاوَن معه آخَرين، وأنابَ عنه آخَرين، في بداية خدمته وفي مُنتصفها؛ فكم يحتاج الأمر من الراعي بِالأكثر عند أُفول زمان خدمته؟!

ومَن منهم يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله، والناس، وعليه سيماء الخادم الأمين والأب الباذل؛ قَرِّبه إليك وامنَحه صَلاحياتٍ أوفَر (لكن تُبقِيه راهباً وليس أسقفاً عامَّاً). إن فوائد هذا التدبير عظيمة؛ منها أنه يكون حَلَقَة وَصل بينك وبين الراعي الذي سَيَتعهَّد القطيع من بعدك

(وقد يكون هو ذلك الراعي). فَضلاً عن هذا: المُعاوَنة، التلمذة، وعدم تأخُّر أعمال الرب المُتكاثِرة، كَي يَستَكمِل مَن هو بَعدك من حيث ما وَصَلْتَ أنت، كأبٍ يُسلِّم ابنَه مالَه وأعمالَه (تك٢٥: ٥).



هذا ما فَعَله السيد المسيح: فقد اِتَّخذ اثنَي عشر تلميذاً، وطافَ بهم في كِرازته لِيُلَقِّنهم مبادئ خدمة الناس والعمل الرعوي، بِالملاحظة العَينية، وفماً لِأُذن.. ثم منهم قد قَرَّب أكثر إليه ثلاثة تلاميذ: بطرس ويعقوب ويوحنا (لو٨: ٥١؛ مت١٧: ١؛ مر١٣: ٣؛ مر١٤: ٣٣).. ثم من هؤلاء أيضاً قد قَرَّب أكثر إليه واحداً: يوحنا، ومَنَحَه صَلاحياتٍ أوفَر: اِئتَمَنه على أُمِّه (يو١٩: ٢٦، ٢٧)، فَضلاً عن وَكالة الخدمة.

نُلاحظ بِالنَّص الأسبق (عد١١: ١٤، ١٧) قَول الرب للنبي: **"وَآخُذَ مِنَ الرُّوحِ الذِي عَلَيْكَ وَأَضَعَ عَلَيْهِمْ"**، فإن التلميذ يَقتبِل من مُعلِّمِه ـ فوق المعرفة ـ "روحاً"، وإليك هذا البُرهان:

كان أبَّا غاليون قبل سِياحَته ذا صَوتٍ جَهورِيّ فعُيِّن قارِئاً للدير. وكان يقرأ على الآباء عن حياة القديسين عند اجتماعهم حول المائدة، وكذلك القراءات الكَنَسِية أثناء القداس، والتسابيح، والطقوس، فأصبح مُعلِّماً لكثيرٍ من الأخوة. وكان قد عَرف مَوعد اِنتقاله، فقبْل نياحته دَعا راهباً صغيراً ـ يُدعَى موسى ـ وذَخَر فيه مَوهبته في إتقان طقوس وألحان الكنيسة، ذلك بِأن ضَمَّ ذلك الراهب إلى صَدره وقال له: اِقبل مِني الروح الذي في داخلي من الآن وحتى اليوم السابع حيث أتَنَيَّح.. **إن الدراسة جيدة، لكن الخِبرة تتفاضَل عليها، وأمَّا التلمذة فتتفوَّق عليها.**

فلا يكفي للمُعَدِّين للخدمة الرعوية دراسة عِلم اللاهوت الرعوي في أحد المعاهد الدينية، وإنَّما سَيَكون أفضل بِكثيرٍ لهم وللكنيسة؛ لَو كانوا قد تتلمذوا مُسبَقاً على أيدي آباء رُعاة.

٢٢- ليس بِصالحٍ أمر تَشييد (ضَريح) لِأحد مشاهير الرعاة المُنتقلين..

تُرَى هذه الأيام ظاهِرة غريبة عن روح كنيستنا الأصيلة، هى تَشييد أضرِحة لِمَشاهير الرعاة المُنتقلين، فيُهيّئ لهُم أحِبَّاؤهُم قَبراً خاصاً في غُرفةٍ خاصة في دَيرٍ أو في كنيسة، ويَضَعون فيها رفاتهم، ومعها: صوَرهم - ملابِسهم - عَصاتهم - أحذِيَتهم... فَعَلامَ كل هذا؟ هل لا توجد مثل هذه الأشياء لَدَى قديسين آخَرين؟!

وقد يقومون بِتَأليف ترانيم لهم بل وبِإنتاج فيلم سينيمائي لهم، ثم يقوم البَاعة بِطباعة صُوَرهم لِتُعلَّق على الحَوائط أو لِتُلصَق على الأدوات المستخدمة.. وبَلَغَ الأمر إلى أحدٍ من الرهبان المُنتقلين، فيُنظِم له إخوتُه الرهبان (ذكصولوجية) يُدمِجونها بِالصلوات الليتورجية الكَنَسِيَّة، دون مَرجِعية كَنَسِية!.. فهَل صارت نُدرة وجود أناسٍ أبرار مَدعاةً لإقامة (أنصابٍ) لِرفاتهم؟!

ثم هل يَليق أن تُوضَع رفات الشهداء: مار جرجس ومار مينا ودميانة ومارينا وغَيرهم في أنابيب صغيرة، في إحدَى زوايا الكنيسة، بينما الراعي - أو رئيسة الدير - الذين كانت لهم مُؤخَّراً شعبية كَنَسِيَّة؛ يُقام له ضَريحٌ ضَخم فَخم في غُرفةٍ خاصة في دَيرٍ أو كنيسة؟! وماذا لَو كان ذلك قديساً بالحقيقة ولكنه لم يَكُن شعبياً أو مَشهوراً؛ أفَلا يُعتَد به؟! وهل يَليق أنه عندما يدخل المُصلّي إحدى كنائس الكاتدرائية؛ يَجِدها وقد تَراصَّت بها أضرِحةٌ لِآباء أساقفة وكهنة راحِلين؟! هل يَصِح أن تتحول كنيسةٌ، وهى بيتُ الله؛ إلى موضع مقابر؟! وهل يَصِح أن يُجاوَر مَذبح الرب الذي يَحمِل جسدَه ودمَه الطاهِرَين بِأجسادٍ قد نالَ منها الفَساد؟!

إنه يكفي لنا ضَريح مار مرقس الذي كَرَزَ لنا بِبِشارة الخلاص.

لَعَله بسبب هذا التصرُّف قد عَبَدَت شعوبٌ "بُوذا" أو غَيرَه من بعد مَماتهم بِأجيالٍ كآلِهَة، بينما كانت البداية هى فقط تَشييد قبورِهم وتَكريم رفاتِهم! فَلَو أقَمنا نحن لكل راعٍ مَشهور (مَقاماً) لَصِرنا مثل أُولئك.. أما تَعرِفون ما سُجِّلَ عنا بسبب هذا: (اِتَّخَذوا أحبارَهم ورُهبانَهم أرباباً من دون الله - سُورة المائدة: ٣٠)!

لماذا نساعد إبليس ـ بإقامتنا أنصاباً ـ على تحقيق حِيلَته الخبيثة المُضِلّة؛ وهى تحويل قلوب الناس من مخافة الله ومحبته إلى تَبجيل البشر؟!.. أليس لهذا السبب عَينه قد أخفَى الله جسد كَليمه موسى لكي لا يعمل إبليس على تشييد (مَعبَد) له، كَي لا يفعل الشعب معه مثلما نفعل نحن الآن بِأجساد البعض من رُعاتنا الراحِلين؟!: "وَأَمَّا مِيخَائِيلُ رَئِيسُ الْمَلاَئِكَةِ، فَلَمَّا **خَاصَمَ إِبْلِيسَ مُحَاجًّا عَنْ جَسَدِ مُوسَى**، لَمْ يَجْسُرْ أَنْ يُورِدَ حُكْمَ افْتِرَاءٍ، بَلْ قَالَ: لِيَنْتَهِرْكَ الرَّبُّ" (يه: ٩).

نعم؛ القديسون هُم "سَحَابَةٌ مِنَ الشُّهُودِ" أحِبَّاؤنا، ونحن نطلب شَفاعَتهم وتَوَسُّطهم ومُؤازَرَتهم لنا في جهادنا، وكَقَول ذَهبي الفم، نُقَبِّل أعضاء الشهداء المقدسة ونَحتَضِن رفاتهم لأنها تُعطينا قوة روحية تُساعدنا في جهادنا. وكذلك الرعاة الراحِلون هُم آباؤنا الأحِباء ونحن نطلب صلواتهم ونُكَرِّمهم ـ ولكن إكرامَنا لهم لا يَستقطِب قلوبَنا من إلهنا ولا يَستهوينا عن إلتِصاقِنا بِمَسيحنا الحبيب.

ينبغي على الرعاة ألَّا يُشَيِّدوا المزارات للناس ثم يتركوهم بِلا وَعي، بل يبثُّوا هذا الوَعي في أذهانهم في كل مناسبة، لأن هناك أُناسٌ يزورون الضريح دون دخولهم الكنيسة التي يوجد بها!

لِذا فَليَعلَم مَن يُمجِّدون آباءهم المُنتقلين هكذا، حُبَّاً فيهم، أن حُبَّهم هذا يكون على حِساب محبتهم لله أبيهم، وأنهم يضعون أنفسهم تحت توبيخ الرب القائل: "**مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي**" (مت١٠: ٣٧).

إن مثل هذا الفعل قد أغضب الله قديماً، حتى قال: "وَلاَ يُنَجِّسُ بَعْدُ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ اسْمِي الْقُدُّوسَ... **وَلاَ بِجُثَثِ مُلُوكِهِمْ** فِي مُرْتَفَعَاتِهِمْ... فَلْيُبْعِدُوا عَنِّي الآنَ زِنَاهُمْ **وَجُثَثَ مُلُوكِهِمْ** فَأَسْكُنَ فِي وَسَطِهِمْ إِلَى الأَبَدِ" (حز٤٣: ٧ـ ١٠).. وفَضلاً عن هذا؛ فإنهم يُنقِصون من تَمَجُّدهم في السماء، على اعتبار قَول الرب أيضاً: "**إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ!**" (مت٦: ٢، ٥، ١٦).

ألا نُلاحِظ أن غالبية (مَبيعات) الأفلام والمدائح الدينية قد صارت الآن لِتمجيد القديسين؛ بينما نَدرَتْ مَنشورات تسابيح الله والصلوات؟ وأن البعض يَقتَنون حنوطَهم وزيوتَهم طَلَباً لمَعونتهم بينما قد يَنسَونَ اللُّجوء إلى الله؟!: "**نَسُوا اللهَ مُخَلِّصَهُمُ**" (مز١٠٦: ٢١)، المخلص الوحيد، القائل:

"أَنَا أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ غَيْرِي مُخَلِّصٌ" إش٤٣: ١١

فَلنَذكُر مثلاً وَصِيَّة **أنبا أرسانيوس** (مُعَلِّم أولاد الملوك) قبل نِياحته:

لا تهتموا بأن تعملوا تذكاراً لي، ولكن قدِّموا قُرباناً فقط.. إن كنتُ فَعَلْت شيئاً في حياتي يستحق الذِّكر فَسَوف أجِده.. هَئنذا واقِفٌ معكم أمام مِنبَر المسيح المُهاب، فإذا جاءت الساعةُ؛ رَجائي ألَّا تُعطُوا جسدي لِأحدٍ من الناس.. أما تَعرِفون كيف تَربِطون رِجلَيَّ بِحَبل وتَجُرُّونَني إلى الجبل لِتَنتَفِع به الوحوش والطيور؟

ولنَذكُر وَصِيَّة **مار أفرام السرياني** بخصوص طريقة دَفنه:

"لا تضعوني تحت مذبح الله، لأنه لا يليق أن تُوضَع الخَطِيفة النَّتِنة في المكان المقدس.

لا تضعوا جسدي مع الشهداء لأني خاطئ، ولا أستحق، وأخشى الاقتراب من عظامهم.

لا تُكفِّنوني بالعطور فإني غير مستحقٍ للبخور والأطياب إذ لا تليق بي، بل قدِّموا البخور في الأماكن المقدسة، أما أنا فاسندوني بصلواتكم. عِوَض العطور والأطياب اذكروني في توسلاتكم...

قطعت عهداً مع الرب أن أُدفَن مع الغُرباء لأني غريب كما كانوا هم. ضعوني يا إخوة معهم، لأن كل طير يحب جنسَه، والرجل يحب شبيهَه. ضعوني في المقبرة حيث منكسرو القلب، حتى حينما يأتي اِبن الله يضُمني إليه ويُقيمني معه..".

ولنذكر **الأرشيذياكون حبيب جرجس**، مقدم النهضة التعليمية الكَنَسِية حديثاً، الذي كان مَدفنه فقيراً ومجهولاً وبصعوبة عُثِر عليه.



ولنتطلَّع إلى **مَدفن الأب متى المسكين** في دير القديس مقاريوس، الذي كان مَشهوراً في جِيله؛ كيف هو!.. وغيرهم الكثير والكثير..

فَلَيس بِصالحٍ تشييد مَزاراتٍ لِمشاهير الرعاة المُنتقلين. إننا لو سألنا راعِياً إنتقل وقد أُقيم له (مَقام) وأجابنا، فَرضاً، ولو كان حقاً قديساً، أو قديسة، لَما وافقَنا على هذا التصرُّف، وفي هذا لِنَقرأ كيف كان الرعاة يَتوارون لكي لا يكون لهُم ذِكر، بل يُعطون المجدَ لِصاحبِه والكَرمَ لِمالِكِه:

المعمدان يوحنا: "**مَنْ لَهُ الْعَرُوسُ فَهُوَ الْعَرِيسُ**، وَأَمَّا صَدِيقُ الْعَرِيسِ الَّذِي يَقِفُ وَيَسْمَعُهُ فَيَفْرَحُ فَرَحًا مِنْ أَجْلِ صَوْتِ الْعَرِيسِ. إِذًا فَرَحِي هذَا قَدْ كَمَلَ. **يَنْبَغِي أَنَّ ذلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا أَنْقُصُ**" يو٣: ٢٩، ٣٠

والكاروز بولس: "**نَحْنُ أَيْضًا بَشَرٌ تَحْتَ الآلاَمِ مِثْلُكُمْ**" (أع١٤: ١٥)، "**فَمَنْ هُوَ** بُولُسُ؟ **وَمَنْ هُوَ** أَبُلُّوسُ؟ بَلْ **خَادِمَانِ آمَنْتُمْ بِوَاسِطَتِهِمَا**" (١كو٣: ٥)، "فَإِنَّنَا **لَسْنَا نَكْرِزُ بِأَنْفُسِنَا، بَلْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبًّا**، وَلكِنْ بِأَنْفُسِنَا **عَبِيدًا** لَكُمْ مِنْ أَجْلِ يَسُوعَ" (٢كو٤: ٥).

ومن سِيرة الأب "بِيُو"، كاهن كاثوليكي بِإيطاليا كان شَهيراً في زَمانه في القَرن الماضي: لَمَّا رأى الباعة يَنصِبون على صِيتِه مَعرُوضات، ويَطبَعون صُوَرَه ويَبيعونها ـ ثار عليهم وقَلَّبَ مَعرُوضاتهم..

إنه مكتوبٌ: "مُبَارَكٌ الرَّجُلُ الَّذِي يَتَّكِلُ عَلَى الرَّبِّ، وَكَانَ الرَّبُّ مُتَّكَلَهُ" إر١٧: ٧

يمكن نَشر سِيرَة الراعي الراحِل عَمَلاً بِالمكتوب: "اُذْكُرُوا مُرْشِدِيكُمُ الَّذِينَ كَلَّمُوكُمْ بِكَلِمَةِ اللهِ. انْظُرُوا إِلَى نِهَايَةِ **سِيرَتِهِمْ** فَتَمَثَّلُوا **بِإِيمَانِهِمْ**" عب١٣: ٧

بَدَلاً من أن نُكرِم عِظام قديسين رحلوا؛ فَلنَستَكشِف قِدِّيسينا المَوجودين بيننا، فَنُكرِمهم ونُعطيهم مَكانَتهم اللَّائِقَة في الكنيسة.. ومع هذا؛ إن كان مُحِبُّو مَشاهير الرعاة الراحِلين يتشوَّقون إلى (عِبادة) أحَدهم؛ فَلْيَتهم يَصبِرون إلى ما بعد نياحته بِسَنةٍ واحدة، أو إلى يوم الأربعين، حتى يَرَوا علامة قداسته "غَيْرَ الْمُعْتَادَةِ" (أع١٩: ١١)، إن كانت أكثر من قداسة باقي الرعاة، وأمَّا العلامة فهذه هي: **أن جسدَه لم يَتعَفَّن ولم يَتحلَّل.**

١ـ باتَ الآن من الضروري:

أولاً: لأجل الرهبان:

التوسُّع في دراسة "**عِلم النفس الرهباني** (النُّسكي)"، وتعيين مُعلِّمين له، من عُلَماء الرهبان أو من الأساتذة المُتخصِّصين من أبناء الكنيسة.. فَيَقومون بإعداد البرامج اللازمة والمحاضرات، للقيام بِحَملة الإرشاد النفسي للرهبان بالأديرة، لإظهار مَواطِن الضعف لدى كلٍ من: المجتمعات الرهبانية والرهبان أنفسهم (على نَسَق الحَملة القومية للقضاء على فيروس c خلال عام ٢٠١٨)، لإرساء الصحة النفسية والصحة الروحية على السَّواء. فلا ينبغي النظر إلى الرهبان المُثقَّفين فقط أمثال رهبان الأديرة ذات الأسماء الرَّنَّانة، فهناك الكثير من الرهبان غيرهم ممَّن يُعانون أكثر، من الفقر الروحي أو من المتاعب النفسية (هناك الآن رهبانٌ يحتاجون إلى إعادة تأهيل).

ثانياً: لأجل المُنتخَبين لوكالة الرعاية كأساقفةٍ، أو الخدمة ككهنة:

تنظيم منهجٍ (course) تعليمي، إلزامي، يَدرِسُه كلٌ من هؤلاء، مِمَن لم يَسبِق له الحصول على بكالوريوس العلوم الكَنَسِية (أي غير إكليريكي)، يَدرِسه قبل بدءِه في ممارسة مهمة الرعاية أو الخدمة المقدسة المَهيبة. لمدة سنة كاملة، ويتضمن:

أ ـ دراسة مركزة لمَبادئ عِلم اللاهوت العقيدي، وعِلم اللاهوت المقارَن، وعِلم اللاهوت الكتابي...

ب ـ دراسة منهج عِلم اللاهوت الرعوي الذي يُدَرِّسه أيٌّ من الآباء الأساقفة في المعاهد الدينية.

ج ـ دراسة تفصيلية لخدمة ورعاية السيد المسيح، وكرازة رُسله، وكذا سيرة حياة موسى النبي كنموذجٍ للراعي في العهد القديم، والكاروز بولس كنموذجٍ للراعي في العهد الجديد.

د ـ دراسة الكتب الرعوية الغنية، أمثال كتب: "الكهنوت المسيحي" (للقديس يوحنا ذهبي الفم) ـ "رسالة إلى الراعي" (للأب يوحنا الدرَجي) ـ رسائل القديس إيسوذوروس الفَرَمي ـ "الكهنوت" (للبابا شنودة الثالث) ـ "الكاهن القبطي" (للقمص يوسف أسعد) ـ وغيرها مما يَلزَم..

٢ـ إقامة صَفٍ ثانٍ..

لَيت كل راعي، كل مسئول، كل وكيل أمين يأخذ على عاتِقه تكوين مجموعة، ولَو صغيرة، من أبنائه فَيَقوم بِتَلمذتهم في مجال المَبحَث الذي هو متخصص فيه (خصوصاً في المجالات النادرة)، إن كان في المجال الروحي، أو العقيدي، أو الرعوي، أو الفني القبطي، أو في أحد علوم الكنيسة، أو في التسبحة والألحان، أو في إحدى اللغات التي تهم الكنيسة، كاللغة اليونانية واللغة العِبرية..

فهكذا تَلمَذَ موسى يشوع، وإيليا إليشع، والمعمدان أندراوس وآخَرين (يو١: ٣٥ـ ٤١). ورَبُّ المجد نفسه قد تَلمَذَ اثنَي عَشر، ثم سبعين، والتلاميذ بِدَورهم تَلمَذوا آخَرين (أع٦: ٧).. عرفت مُدرِّساً للغة العِبرية كَوَّن مجموعة من الطَلَبة قام بِتَدريسهم مادَّته لِيَذخَر فيهم عِلمه وخِبراته، فَضلاً عن تدريسه إيَّاهم ضِمن طَلَبة فَصلِه بِالكلية الإكليريكية. وهناك غَيرُه العَديد..

فمثلاً (كان) من أبرَز مجالات تطبيق مَبدأ التلمذة في الكنيسة هو الرهبنة القبطية القديمة. لأن أحد التدابير الأولية فيها هو التلمذة المباشرة فماً لِأُذُن. فقد كان للأب الشيخ تلميذ أو اِثنَين أو عدد من التلاميذ، قَلَّ أو كَثُر. فنقرأ في بستان الرهبان كثيراً: القديس (فُلان) تلميذ القديس (فُلان)، والذي هو بِدَوره أعاد دَورة التلمذة بِتَلمذته لِآخَرين، الأمر الذي كان سبباً رئيسياً في إزدِهار الرهبنة الأولى.

إنه لِمن الأمانة في مَن اِئتمَنَهم الله على وَكالاته، وليس عملاً إضافياً، حِفظاً الإيمان وصِيانةً للتُراث ـ أن يُعِدُّوا الجِيل الثاني والثالث، لِيَكونوا أُمَناء خزائن حَصاد عمل الله في وَسط السنين كَي لا يتبدَّد، فقد قال الرب: "مَنْ لاَ يَجْمَعُ مَعِي فَهُوَ يُفَرِّقُ" (مت١٢: ٣٠)، لا سِيَّما إذا حلَّت بالكنيسة سِنِي الجوع الروحي يَصرِفون منها بِما يأمرهم به رَبُّ الخزائن.

لابد لكل قائدٍ أو مُعلِّم من إقامته لِصَفٍ ثانٍ وثالث، لِاستمرار السَّعي واستِكمال المَسيرة، حتى لا يُتضمَّن في توبيخ بولس الرسول للبعض من كنيسة كورنثوس: "أَمْ مِنْكُمْ خَرَجَتْ كَلِمَةُ اللهِ؟ أَمْ إِلَيْكُمْ وَحْدَكُمْ انْتَهَتْ؟" ١كو١٤: ٣٦

عن كتاب "الكاهن القبطي" للقمص يوسف أسعد:

[يجتهد الكاهن في خلال رعايته للنفوس أن **يلتقط القامات التي تُبدي شَوقاً للحبيب ولا تُمانِع في حَمل الصليب.** هذه القامات التي تكون صريحة في الإيمان، مُخلِصة في العطاء، بسيطة في نقاء، وَدودة في صفاء، وتَكَيُّفها مع الآخَرين ينم عن شخصية سَوِيَّة ونفسية مُريحة لا يَستتِر وراءها أمراض أو رِياء. فيُعطيها الأب الكاهن جزءً من وقته، وجانباً من مسئولياته، ويُتابعها بالملاحظة والتوجيه **حتى يتحقق وجود صف ثانٍ وثالث ورابع من الخدام الذين يُتابِعون العمل الخلاصي** في القلوب بأمانة...

لَعَل هذا هو أول مَبدأ في قيادة إعداد الخدام: **أن يُسَلَّم لأعلَى القامات الروحية بالمكان،** وليس للأعلى وظيفة اِجتماعية أو كَنَسِية أو الأكبر سِناً. فالقامة الروحية الممتلئة والشبعانة بِحُب حقيقي، مُختبِر، للرب يسوع هى الأكثر أمانة في إعداد جيل خدام قديسين...

وهذا مَبدأ ثانٍ في قيادة فصل إعداد الخدام: **أن يُختار أعضاؤه بعد صلاة،** ويكون أول أهداف الفصل هو تقديم شخص الرب يسوع الحي تقديماً صحيحاً، فَيُشتاق إلى خبرة وصاياه وفَهم إنجيله بالروح القدس. **هؤلاء إن تَذَوَّقوا الرب تَذَوُّقاً شخصياً، سَيَكون إرسالهم للكرازة هو هدفٌ ثانٍ للفصل، وذلك بِمَنحهم فكرة عن الإرسالية وعُدَّتها وأساليبها..** فَيَخرجون بمعرفة دقيقة عن الخدمة الروحية السليمة، **مُؤيَّدين بِقُوة وسُلطان الروح** في توبة النفوس وفهم حروب الشياطين...

وهناك **من الكهنة مَن يُكَوِّنون فصول تَلمذة لِراغِبي الرهبنة، أو التكريس،** يحاولون من خلالها رسم صورة صادقة مُتكاملة (بواسطة خبرات القديسين من رُوَّاد الطريق وخبراتهم الشخصية الرعوية) أمام أولادهم للطريق: بدايته وسِماته ومَخاطِره.. فَيُقدِّمون ذلك الغذاء الدَّسم: الكتابي والروحي والتاريخي والآبائي للطريق، **دون أن يَفرِضوا على السَّامعين رأياً أو منهجاً أو أسلوباً.. تارِكين للروح القدس أن يُكمِّل بقية نُضج الأجِنَّة حتى يَحين ميعاد ميلادها** أمام الكنيسة][1].

[1] المتنيح الأنبا بيمن والقمص يوسف أسعد: "الكاهن القبطي"، الصفحات من ١٤٦ إلى ١٤٩.

٣ـ تَجنيد فَيلَقٍ إيمانيّ دِفاعيّ خاص..

شاهدتُ بعض فيديوهات (تَبشيرية) تتضمَّن بِدَعاً حديثةً مُتنوعة، ورُغم أن أصحابها يُدعَون (مَسيحيين)؛ إلَّا أنهم يَبتدِعون أفكاراً غريبة تُضاد عقائد الإيمان الأرثوذكسي ـ وغير الأرثوذكسي ـ الخلاصِية في صَميمها. يَقتطِعون آياتٍ كِتابية من مَقصودها المُحدَّد، ومن سِياقِها المُعَيَّن، ثم يُؤوِّلون مَدلولاتها إلى مَقاصِد مَغلوطة تخدم آرائهم الفاسِدة، كَقَول الإنجيل المقدس: "**يُحَرِّفُهَا غَيْرُ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرُ الثَّابِتِينَ**، كَبَاقِي الْكُتُبِ أَيْضًا، لِهَلاَكِ أَنْفُسِهِمْ" (٢بط٣: ١٦).

تَصدُر تلك عن (حَرَكَة) مُنشَقَّة عن الطائفة البروتستانتية في الصِّين، في تِسعينيَّات القَرن الماضي، ودَعَت ذاتَها بِاسم "البَرق الشرقي" (على مت٢٤: ٢٧)، ثم بِاسم "كنيسة الله القدير".. تَنشُر نشاطها وتَعرِض اِجتماعاتها ـ العَديد منها تَمثيلية ـ على مَوقِعٍ إلكتروني خاص بها، مَدعومةً بِتَرجمتها إلى اللُّغتَين الأكثر عالمية، وهُما الإنجليزية والعربية، لِذا تنتشِر بِازدِيادٍ وعلى نِطاقٍ واسع.. وهي تُجَنِّد (قادة) كثيرين، وتُعِدُّهُم بِخُطَطٍ مَدروسة ومُمَنهَجة، وتُدَرِّبهم على استخدام أساليب التأثير النفسي والعَقلي لِإقناع مُحاوَريهم (تَرغيب/ تَشكيك/ تَرهيب)، حتى بعد بِضعَة زِياراتٍ منزلية لهُم يَصِلون بهم إلى قرارِهم هُجران الكتاب المقدس، ونَبذ كَاتِبيه الرُّسُل، والتحمُّس لِلاِنضمام لِفَريق (التَّبشير): "**مُضِلِّينَ وَمُضَلِّينَ**" (٢تي٣: ١٣).. حقاً إنها عملية "غَسيل مُخ (mind control)"!

ومن أبرَز اِبتِداعاتها هو أنه كما أن الله قد أنهَى عهد الناموس وأتى بِعَهد النعمة؛ هكذا فقد أنهَى عَهد النعمة الآن على الأرض وأتى بِعَهد الملكوت. وأن الله بِنَوعٍ ما تَجَسَّد مرةً أخرى على الأرض في الصِّين، وأنه هذه المرة (أُنثى)!.. هذه حركة من البِدَع الحديثة من بين كثيراتٍ غيرها.

وقد رفضَتها الحكومة الشيوعية الصينية وقاوَمَتها الشُّرطة كجماعة مَحظورة. وبِالطبع عارَضَها شيوخ وقَساوِسَة الطائفة البروتستانتية وحَذَّرُوا الشعب من اِتِّباعِها. لِذا فقد اِستَغَلَّت هي فُرصَة مُسالمة شيوخهم وقَساوِسَتهم للحكومة؛ بِاتِّهامهم بِالعِمالة والمادِيَّة والفساد الروحي والاجتماعي، ودَعَت أتباعَها إلى عِصيانهم.

إنها قويةٌ في حُجَجِها، من النفوذ لِأن تَجتذِب الكثيرين من الضعَفاء في الإيمان والفقراء في الروح، وقد يَهتَز أمامها الدَّارِسون والمُتعلِّمون غير المُتأصِّلين في دِراستهم وفي عِلمهم.

بِدعَة أخرى، وهى الأكثر خُطورة الآن، وهى تَدعو ذاتَها بِاسم "حركة الفِكر الجديد = The new thought movement": ظَهَرَت هذه البِدعة منذ أواخِر القَرن ١٩ وأوائل القَرن ٢٠ في أميريكا، وكان زُعَماؤها هُم: القِس الأميريكي "رالف إيمرسون" و "ووكر اتكنسون" و "أرنست هولمز".

ومن أبرَز اِبتِداعاتها: الدعوة إلى تَوحيد الأديان في دِينٍ عالَمي واحد جديد (بِزَعم أن الحقيقة لَيسَت مِلكاً حَصرِيَّاً لأي كتاب مقدس فكُل دين يمتلك جُزءً من الحقيقة) ـ إنكار الثالوث القدوس ـ إنكار أُلُوهَة السيد المسيح ـ إنكار التجسُّد والفِداء والقيامة ـ إنكار وَحي الكتاب المقدس ـ إنكار وِراثة الخطية ـ إنكار غضب الله والدينونة ـ إنكار وجود الشيطان والجحيم وجَهَنَّم ـ الإنسان والعَقل والكَون آلِهة ـ الأفكار تتحول إلى أشياء ملموسة ـ تشجيع زواج المِثليين..

وقد فَنَدَها القمص مكاريوس خليل (كاهن بِكنيسة مار مرقس بِالسيل ـ أسوان)، في كِتابه: "بِدعة حركة الفِكر الجديد، واختِراق الكنائس المسيحية لِهَدمها من الداخِل". وفيه يُحَذِّر من عِلم لاهوت الكنيسة اليونانية الجديد، أي حركة "The new patristic movement"، المُتأثِّر بِحركة الفِكر الجديد، المُتأثِّرة بِدِيانات شَرق آسيا البُوذِيَّة والهِندوسية.. ويقول الكاتب نفسه أن قداسة البابا شنودة الثالث "قال أنه لا يَرغَب في إرسال أحَد آخَر للدراسة في اليونان لأنهم يَأتون بِتَعاليم غريبة لا توافق عَقيدَتنا". ونَقلاً عن د. موريس تاوضروس: "أن لاهوت الكنيسة اليونانية الحالي تأثَّر بِحركة التَّحَرُّر ومختلف تماماً عن لاهوت الكنيسة اليونانية الذي دَرَسَه سنة ١٩٦٠". ويقول الكاتب أيضاً عن هذه البِدعة أنها "اخترقَت الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية والأرثوذكسية اليونانية والروسية والكنيسة الأرثوذكسية القبطية"[(١)].

[(١)] القمص مكاريوس خليل (كاهن بِكنيسة مار مرقس بِالسيل ـ أسوان): "بِدعة حركة الفِكر الجديد واختِراق الكنائس المسيحية لِهَدمها من الداخِل"، مراجعة وتقديم: الأنبا هِدرا مُطران أسوان، الطبعة: الأولى ٢٠٢٠، الصفحات: ١٠٩، ٥٢، ٢٠.

فكيف سَتَكون إذاً ضَلالة "ضِد المسيح" من القوة "**حَتَّى يُضِلُّوا لَوْ أَمْكَنَ الْمُخْتَارِينَ أَيْضاً**" (مت٢٤: ٢٤)؟!

من أجل هذا؛ تَعيَّن الآن على الكنيسة، وبِصِفةٍ مُحدَّدة لجنة الإيمان والتعليم بالمجمع المقدس؛ إعداد فَيلَقٍ (كَتيبة عظيمة من الجيش) من المُدافِعين، المُحِبّين لِعِلم اللاهوت العَقيدي، النَّابِغين فيه، بِتَوظيف طاقات المُتميزين من خِرّيجي المعاهد الدينية، بعد التأكد من أصالَة أرثوذكسيَّتهم (لأنني عرفت إنساناً كان ـ كَقوله ـ مُتفوّقاً في الكلية الإكليريكية، ولكن أسلوبه لا يدُل على أرثوذكسيته، خدم فترة في الكنيسة الكاثوليكية، وأخرى في الطائِفة البروتستانتية)، وتَثقيفهم بكل ما يَلزَم دون الاكتِفاء بشهادات تَخَرُّجهم، وتَجنيدهم في خطوط الدفاع الإيمانى بِجَيش الكنيسة، بِتَوزيع كلٍ منهم في (سلاحٍ) يتخصص فيه، من:

العقائد، الكتاب المقدس، الآبائيات،

اللغة اليونانية، اللغة العِبرية، الطقوس، الحوارات المسكونية..

وهؤلاء بِدَورهم يَصيرون صائِدين مَهَرَة قِبالة سِهام الأفكار المُضادة المُصوَّبة نحو الإيمان، من أيّ اِتجاه، فَيَقومون بالتَّصَدّي لها، ولِأي بِدعَةٍ هرطوقيةٍ مُعاديةٍ لِلإيمان وللكنيسة بِمُجرد ظهورها، بِإقامتهم على مَنابِر تعليمية مُوَجَّهة، لِتَفنيد تلك الأفكار بل المُبتَدَعات الهرطوقية بِالحُجَّة والبُرهان من الكتاب المقدس، لِتحصين قَطيع المسيح ضِد تلك التيارات المُنحرِفة المُهلِكة.

"وَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ **أَنْ تُلاَحِظُوا الَّذِينَ يَصْنَعُونَ الشِّقَاقَاتِ وَالْعَثَرَاتِ خِلاَفاً لِلتَّعْلِيمِ الَّذِي تَعَلَّمْتُمُوهُ** وَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ. لأَنَّ مِثْلَ هَؤُلاَءِ لاَ يَخْدِمُونَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ بَلْ بُطُونَهُمْ، وَبِالْكَلاَمِ الطَّيِّبِ وَالأَقْوَالِ الْحَسَنَةِ يَخْدَعُونَ قُلُوبَ السُّلَمَاءِ" رو١٦: ١٧، ١٨

إنه في خلال ٢٠ عاماً من الآن سَيَكون هذا الجيل من المُدافعين قد اِنقَرَض، بالكثير ممَّن فيه من أعلام، والله وَحده يَعلَم ماذا سَتَكون البِدَع والهَرطقات التي سَتَغزو الكنيسة حينذاك. لِذا؛ فالحاجة الآن إلى إعداد حُماةٍ جُدُدٍ للإيمان وأعمدةٍ إضافيةٍ للدين ومصابيحَ أخرى للأرثوذكسية.

٤ـ التَّنقُّل في مَواعيد وفي مَواقِع الاجتماعات الدَّورِية للمجمع المقدس..

إن كانت هناك بعضُ أوقاتٍ من الهدوء النِّسبِي، تتنفس فيها الكنيسة الصَّعداء من جَرَّاء أحداثٍ جَرَّحَتها وآلَمَتها؛ لكن الحال لا يستمر هكذا، فالمَتاعِب تتجدَّد وتَثور!

باتَ الآن مَعروفاً مَواعيد اجتماعات المجمع المقدس الدَّورِية، والمَواقِع الأساسية لِانعِقادِها.. أفَلا يمكن حدوث اِعتِداءٍ مُتطرِّفٍ غاشِمٍ أثناء اِنعِقاد إحدَى هذه الاجتماعات، بِالرُّغم من التَّدابير والاحتِياطات الأمنِيَّة؟ ثم أفَلا يمكن أن يكون الاعتِداء غيرَ مَألوفٍ أو غيرَ مَسبوق، أي ليس بِالضرورة أن يكون بِواسطة سيَّارة مُفَخَّخة أو دَس قُنبلة مَوقوتة أو تَفجير أحد المُتطرِّفين نفسَه؟ أفَلا يمكن أن يَحدث ذلك عن طريق الجَو، بِإسقاط قُنبلة من طائرة عمودية مثلاً؟ أو بِتَصويب قَذيفَةٍ بعيدة المَدَى من أحد الاتجاهات المُحيطة؟.. بِالفعل حدث مثل هذا من عناصر إرهابية في بلادٍ خارجية ضِد حكوماتها.. لا تَحسِبني مُبالِغاً، إننا الآن نعيش في زمنٍ صَعبٍ وخَطِرٍ، يُتَوَقَّع فيه ألوانٌ غير تَقليدية من الاعتِداءات الإرهابية، ولا يُستَبعَد أن يكون للمُضطَهِدين، أيادي الشيطان، إمكانيَّاتٌ حديثة وأجهِزَةُ تَقنِيَةٍ عَصرِيَّة.. وكيف سَيَكون إذاً حال الكنيسة حِينذاك وقد فَقَدَت إيبارشياتٌ عديدة رُعاتَها شُهَداء!

لِذا يُرجَى من قداسة البابا، ومن الآباء المَطارِنة والأساقفة بالمجمع المقدس، وسِكرتير المجمع المقدس؛ التَّنقُّل في مَواعيد، وفي مَواقِع، الاجتماعات الدَّورِية للمجمع، فلا يُعلَن عنها ولا يُخبِر الرعاةُ بها أحداً قبل يوم الاجتماع.

لِيَحفظ الرب كنيستَه وقِدِّيسيه.

"لِيَكُنْ سَلاَمٌ فِي أَبْرَاجِكِ رَاحَةٌ فِي قُصُورِكِ.
مِنْ أَجْلِ إِخْوَتِي وَأَصْحَابِي لأَقُولَنَّ: سَلاَمٌ بِكِ.
مِنْ أَجْلِ بَيْتِ الرَّبِّ إِلَهِنَا أَلْتَمِسُ لَكِ خَيْراً" مز ١٢٢: ٧ـ إلخ.

٥ـ المُهِمَّة الكُبرَى المَنوط بها الرعاة الآن..

لَعَل مُهِمَّة الرعاة الحَيَوِية الآن أكثر من تأليف الكتب والتثقيف، وأكثر من عَقد الكورسات التدريبية للخدام، ومن دورات المشورة والإرشاد، ومن الخدمات الاِجتماعية، ومن رعاية أُسَر الشهداء والمُصابين، ومن تَقنين الاِجراءات الاِحترازِية ـ هى: **حَث الرعاة الشعب على العَودة إلى الله، بالتوبة والإقلاع عن الخطايا وخصوصاً خطية النجاسة**. ولَعَلَّ وَباء (كورونا) الذي طَال جميع أقطار العالم مُؤخَّراً هو بسبب هذه خطية خاصَّةً.

وفَضلاً عمَّا تشير إليه العلامات والظواهر؛ فنحن نعيش في زمن الأيام الأخيرة الذي يتَّسِم ـ ضِمن كل ما يتَّسِم به ـ بالفتور الروحي وضعف الإيمان وبرودة المحبة لَدَى المؤمنين، وقد أنبَأنَا السيد المسيح مُسبقاً بهذا، بِقَوله: "وَحِينَئِذٍ يَعْثُرُ كَثِيرُونَ وَيُسَلِّمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَيُبْغِضُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً... **وَلِكَثْرَةِ الإِثْمِ تَبْرُدُ مَحَبَّةُ الْكَثِيرِينَ**" مت٢٤: ١٠، ١٢، وقد أنبَأنَا أيضاً رُسله بالانحرافات البالغة للناس في هذه الأيام: (٢تي٣: ١ـ ٦؛ ٢تي٤: ٣، ٤؛ يه: ١٧ـ ٢٠).

كان على الكنيسة (القادَة) أن ترفع الشعبَ لِأعلَى، ولكن لِلأسف فإن بعض القادة، عَبر تاريخ الكنيسة، جامَلوا الشعب فنزلوا، تدريجياً، على أهوائهم وتَساهَلوا معهم وتَغاضَوا عن كثيرٍ من تقصيراتهم وتَعَدِّياتهم، فكانت النتيجة هى أن الكثير من الشعب هُم الذين جذبوا الكنيسة لِأسفل، حتى آلَت روحياتُها، تدريجياً أيضاً، إلى ما هى عليها الآن.. ومنذ القديم قد وبَّخ الربُّ الرعاةَ بِشِدةٍ لأنهم لا يُنذِرون الشعب: "**مُرَاقِبُوهُ عُمْيٌ** كُلُّهُمْ. **لاَ يَعْرِفُونَ**. كُلُّهُمْ كِلاَبٌ (حُرَّاس) **بُكْمٌ** لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَنْبَحَ... وَهُمْ **رُعَاةٌ لاَ يَعْرِفُونَ الْفَهْمَ**. الْتَفَتُوا جَمِيعاً إِلَى طُرُقِهِمْ..." إش٥٦: ١٠، ١١

فَدَور الرعاة الحَيَوي الآن ليس وَعظ الشعب بكلماتٍ ناعِمات وبتَعزيات (إش٣٠: ١٠)؛ بل حَثهم على الرجوع إلى الله من القلب بالتوبة والبُكاء، فاللهُ الآن يُؤَنِّب، ويَدعو:

"يَقْتَرِبُ إِلَيَّ هَذَا الشَّعْبُ بِفَمِهِ، وَيُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ، **وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيداً**" مت١٥: ٨

"وَلَكِنِ **الآنَ يَقُولُ الرَّبُّ: ارْجِعُوا إِلَيَّ بِكُلِّ قُلُوبِكُمْ وَبِالصَّوْمِ وَالْبُكَاءِ وَالنَّوْحِ**" يؤ٢: ١٢

٦ـ "وَخَلِّصُوا الْبَعْضَ بِالْخَوْفِ، مُخْتَطِفِينَ مِنَ النَّارِ..." يه: ٢٣

لقد بدأتْ قوات الجحيم زَحفها بأكثر عُنفٍ لِإصطِياد رَعِيَّة المسيح حول العالم. فقد سمعنا هذه الأيام عن اِختراقاتٍ غير مَسبوقة للأرواح الشريرة في حياة، وفي أجسام، كثيرين جداً من المؤمنين. ولكن الرُّكَب المُنحَنِيَة أقوى من الجيوش الزاحِفة.

للأسف فإنهم ـ وهُم أولاد الله، وبِانصِرافهم عن مَسيحهم وإلههم ـ هُم الذين أعطوا لِإبليس وجنوده سُلطاناً عليهم؛ كيف؟ هذا لأنهم: **"نَسُوا اللهَ مُخَلِّصَهُمْ... اخْتَلَطُوا بِالأُمَمِ وَتَعَلَّمُوا أَعْمَالَهُمْ... وَتَنَجَّسُوا بِأَعْمَالِهِمْ وَزَنُوا بِأَفْعَالِهِمْ... وَانْحَطُّوا بِإِثْمِهِمْ"** مز١٠٦: ٢١ـ ٤٤

فَليُسرِع كل راعٍ ويذهب ويسأل ويُفتِّش ويفتقِد، ويَرُد خِراف المسيح الناطقة الشَّاردة:

"وَامْضِ اِذْهَبْ إِلَى الْمَسْبِيِّينَ إِلَى بَنِي شَعْبِكَ **وَكَلِّمْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ: هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنْ سَمِعُوا وَإِنِ امْتَنَعُوا"** حز٣: ١١، **"وَبِّخِ، انْتَهِرْ، عِظْ بِكُلِّ أَنَاةٍ وَتَعْلِيمٍ"** (٢تي٤: ٢)، كُن "صَبُوراً عَلَى الْمَشَقَّاتِ، **مُؤَدِّباً بِالْوَدَاعَةِ الْمُقَاوِمِينَ**، عَسَى أَنْ يُعْطِيَهُمُ اللهُ تَوْبَةً لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ، فَيَسْتَفِيقُوا مِنْ فَخِّ إِبْلِيسَ **إِذْ قَدِ اقْتَنَصَهُمْ لإِرَادَتِهِ"** (٢تي٢: ٢٤ـ إلخ).

لِيَذكُر الراعي أن عمله الأول والأساسي ليس في الحظيرة؛ بل بين الحقول حيث القُطعان.

فَعَن هذه الاختِراقات الروحية الشريرة؛ كان قد كتب القديس يوحنا ذهبي الفم:

[فَلَو كان ممكناً أن نُعاين بِهاتَين العَينَين المَحسوسَتَين **صفوف جُند الشيطان المُظلمة ومُحارَباته الشريرة**؛ لَرَأيتَ حروباً أعظم وأشنَع ممَّا وصَفناه. فهذه ليست حَرباً على أمورٍ محسوسة مثل عرباتٍ حربية وعجلاتٍ أو نِيرانٍ أو نِبال؛ بل مع أسلحةٍ أشَد فَتكاً. والإنسان في حَربه هذه لا يحتاج إلى ملابس أو دِرعٍ أو سَيفٍ أو رُمح، إذ **يكفي أن يرى المَرء هذا الشيطان اللعين** حتى تُصاب نفسه بِشَلل ما لم تكُن هذه النفس نبيلة للغاية، وأن تَحظَى إلى جانب شجاعتها بمعونةٍ وافِرة من الله. ولَو كان في إمكانك أن تخلع هذا الجسم أو حتى تَستَبقيه، على أن تُعاين بالعَين المُجرَّدة بوضوح وغَير خوف **صفوف جُند إبليس ومُحارَباته ضِدَّنا**؛ لَكُنتَ ترى ليس أنهار دماء وجُثَث

مَوتَى؛ بل كنتَ تُبصر **نفوساً ساقِطة وجروحاً لا تلتئم.. وكثيرون يُصابون يومياً في هذه الحرب**، ولكن جروح كلٍ من هذَين الحَربَين لا تؤدي إلى موتٍ من نوع واحد. فكما أن الفرق شاسع وكبير بين الجسد والروح؛ هكذا الفرق واسع بين موت كلٍ منهما. فالروح إذا جُرِحَت وسقطت فإنها لا ترقُد كالجسد الميت؛ بل أنها تُعذَّب بالضمير الشرير، وبعد انتقالها من هذا العالم في يوم الدينونة فإنها تُسَلَّم لِعَذابٍ أبَدي.. لأن **إبليس اللعين لن يكُف عن حَربه إلى النفس الأخير** كُلما وجد نفساً مُستلقِية مُتهاوِنة بما أصابها من جروح..



ولا يمكن لأحدٍ أن يحمل هذا القدْر من الكراهِية والحِقد لِألَد أعدائه كما يحمل إبليس للبشرية. بل لَو أننا تَخَيَّرنا أشَد الوحوش شَراسةً وفَتكاً وقارنَّاه بما لَدَى إبليس؛ لَوَجَدنا هذا الحيوان أكثر منه لُطفاً وخضوعاً..

لأن إبليس يقف بِصفوفه يترصَّد غَفلتنا، باذِلاً من الجِد والحمية لِهلاكنا أكثر مما نبذل نحن لخلاص نفوسنا.

ولِكَونه غير منظور فإن **مُباغَتَته لنا تُسقِط غير المستعدين** في شرورٍ لا حَصر لها، مما يؤكد أن **هذه الحرب أشَق وأصعب من الحرب الحِسِّيَّة**][1].

[1] القديس يوحنا ذهبي الفم: "الكهنوت المسيحي"، صفحة ١٥٧.

٧ـ الاستعداد للمُحاسَبة عن الوَكالة..

تحدَّث السيد المسيح عن فترة نهاية العالم وأحداثها المُرَوِّعة (مت٢٤)، لكن هناك أمرٌ جديرٌ بالمُلاحظة، وهو أنه قد أعقَب حديثه هذا بأن وجَّه كلامه لِوُكَلائه الرعاة، بالتحذير التالي:

"كَأَنَّمَا إِنْسَانٌ مُسَافِرٌ تَرَكَ بَيْتَهُ، **وَأَعْطَى عَبِيدَهُ السُّلْطَانَ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ عَمَلَهُ**، وَأَوْصَى الْبَوَّابَ أَنْ يَسْهَرَ... فَمَنْ هُوَ **الْعَبْدُ الأَمِينُ الْحَكِيمُ** الَّذِي أَقَامَهُ سَيِّدُهُ عَلَى خَدَمِهِ لِيُعْطِيَهُمُ الطَّعَامَ فِي حِينِهِ؟ **طُوبَى لِذَلِكَ الْعَبْدِ الَّذِي إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُ يَجِدُهُ يَفْعَلُ هَكَذَا!** اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يُقِيمُهُ عَلَى جَمِيعِ أَمْوَالِهِ. وَلَكِنْ إِنْ قَالَ ذَلِكَ الْعَبْدُ الرَّدِيُّ فِي قَلْبِهِ: سَيِّدِي يُبْطِئُ قُدُومَهُ، فَيَبْتَدِئُ يَضْرِبُ الْعَبِيدَ رُفَقَاءَهُ وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ مَعَ السُّكَارَى؛ **يَأْتِي سَيِّدُ ذَلِكَ الْعَبْدِ فِي يَوْمٍ لاَ يَنْتَظِرُهُ وَفِي سَاعَةٍ لاَ يَعْرِفُهَا، فَيُقَطِّعُهُ وَيَجْعَلُ نَصِيبَهُ مَعَ الْمُرَائِينَ.** هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ" مر١٣: ٣٤؛ مت٢٤: ٤٥ـ إلخ.

فهو بهذا يدعو كل واحدٍ من عبيده الوُكلاء؛ إلى أن يكون مُتيَقِّظاً لِدَوره البالِغ الأهمية خلال تلك الفترة العَصيبة. ويمكن تَلخيص هذا الدَّور في هذه النقاط الرئيسية تحديداً:

١ـ إقلاعه عن أيَّة نَقيصة لَدَيه.

٢ـ لا يَستبطِئ قدوم الرب بل يستعد لمجيئه المُرتقَب (رؤ٢: ٥؛ رؤ٣: ٣).

٣ـ التركيز على إحداث نهضة روحية شعبية أكثر من أيَّةِ أنشِطةٍ أخرى.

٤ـ التَّوافُر على إطعام الرعية بغذاء الإيمان والكلمة، وتوجيههم بما عليهم أن يفعلوه إزاء كل حَدَث.

مِثالان مُتضادَّان من الوُكَلاء: وكيل إبراهيم أبي الآباء، "كَبِيرِ بَيْتِهِ **الْمُسْتَوْلِي** عَلَى كُلِّ مَا كَانَ لَهُ" (تك٢٤)؛ و: "**وَكِيلَ** الظُّلْمِ" (لو١٦) في مَثَل السيد المسيح، ومَدَى أمانة أو عدم أمانة كلٍ منهما في الاعتِناء بِوَكالة سيِّده.. إن أوَّل مَن سيُقال لهم: "**أَعْطِ حِسَابَ وَكَالَتِكَ**" (لو١٦: ٢)؛ هُم وُكَلاء بيت الله "**وَوُكَلاَءِ** سَرَائِرِ اللهِ" (١كو٤: ١). إنها وَكالة: "**كَوَكِيلِ اللهِ**" (تي١: ٧):

> "**لأَنَّهُ الْوَقْتُ لِابْتِدَاءِ الْقَضَاءِ مِنْ بَيْتِ اللهِ... وَابْتَدِئُوا مِنْ مَقْدِسِي**" (١بط٤: ١٧؛ حز٩: ٦)

التوصيات المقدَّمة إلى بعض لجان المجمع المقدس، الواردة بهذا الكتاب

١ـ بخصوص لجنة شئون الرهبان والأديرة:

أ ـ وَضع لائحة تُقرِّر معايير عَصرِية لِقبول الوافِدين إلى الحياة الديرية (المُسرَدة بِصفحة ١٥).

ب ـ الذي يُسنَد له رئاسة دير ينبغي ألَّا يكون أسقفاً لإيبارشية، بل يكون مُقيماً في دَيرِه بِصِفةٍ أساسية (التفصيل صفحة ١٩).

ج ـ المبادرة بِتَسجيل الزِّي الرهباني، بسبب ظاهرة إنتِحال البعض للصِّفة الرهبانية وللشكل الرهباني (التفصيل صفحة ٢٤).

د ـ تقرير عدم استخدام الرهبان لِشبكة الاتصالات الدُّنيَوِية (internet)، بِدايةً من قبول الدير لِطالب الرهبنة الجديد، بإضافة هذا الشَّرط الجديد المُعاصِر إلى التعهُّد الذي يَتلوه الراهب عند تَكريسه: "وأتعهَّد بِألَّا أقتَني خَط internet، وألَّا أستخدمه" (التفصيل صفحة ٢٨).

هـ ـ تَشديد ضَوابِط مَنح درجة الكهنوت في الرهبنة، بِدايةً من قبول الدير لِطالب الرهبنة الجديد (المُدرَجة بِصَفحة ٤٥).

و ـ إعفاء الراهب الكاهن من أخذ اِعتِرافات غير الرهبان، نِساءً ورِجالاً أيضاً، وحَصر خدمة التَّعريف والتَّعميد في اختِصاص كهنة كنائس المُدُن (التفصيل صفحة ٤٦).

٢ـ بخصوص لجنة الطقوس:

أ ـ التنبيه والتأكيد على إعطاء الاهتمام الأولَى للتاريخ الأساسي للاحتفال بِأُمِّنا القديسة العذراء مريم والدة الإله؛ وهو ٢١ طوبة، حيث أن هذا التاريخ هو عيد نِياحتها، وأمَّا الاحتفال الذي في شهر مِسرَى؛ فهو فقط تِذكار إعلان صعود جسدها الطاهر (التفصيل صفحة ٥٥).

ب ـ أضافة لَقَب Ⳑⲑⲉⲟⲧⲟⲕⲟⲥ (= والدة الإله) في آخر عبارة تمجيدها (التفصيل صفحة ٥٥):

Ⲁⲅⲓⲁ Ⲁⲅⲓⲁ Ⲁⲅⲓⲁ Ⳑⲁⲥⲓⲁ Ⲙⲁⲣⲓⲁ Ⳑⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ Ⳑⲑⲉⲟⲧⲟⲕⲟⲥ.

٣ـ بخصوص لجنة الإيمان والتعليم:

أ ـ بِالبحث اللاهوتي والكتابي واللُّغوي، وبِالرجوع إلى كِبار مُعَلِّمي يوناني العهد الجديد؛ وُجِدَ أن الترجمة السليمة لِلَقب الله الابن الكلمة المتأنس ὁ μονογενής هى "الوحيد" فقط، وليس الوحيد (الجنس) (التفصيل صفحة ٦٠).

ب ـ الاتجاه إلى التفكير في أن مَن يقومون بِإدارة كليات ومَعاهد التعليم الأكاديمي في الكنيسة؛ يكونون من قِدِّيسي عُلَماء الرهبنة، المملوئين من المعرفة الروحية والعِلمية، حيث التفرُّغ والتركيز، ودُون أن يُساموا بِالضرورة أساقفةً عامِّين (التفصيل صفحة ١٤٧).

ج ـ إعداد فَيلَقٍ من المُدافِعين عن الإيمان، المُحِبّين لِعِلم اللاهوت العَقيدي النَّابِغين فيه. بِتَوظيف طاقات المُتميزين من خِرِّيجى المعاهد الدينية، وتَثقيفهم بما يَلزَم دون الاكتِفاء بشهادات تَخَرُّجهم، وتَجنيدهم في خطوط الدفاع الإيمانى في جَيش الكنيسة، وتخصيص كلٍ منهم في أحَد أو أكثر من مَباحث العلوم العقائدية والكتابية الكَنَسِيَّة (التفصيل صفحة ١٦٩).

بمناسبة هذا الأمر ـ وإن كان لا يَخص لجان المجمع المقدس وحدها بل جماعة المؤمنين كافةً ـ يَتطلَّب الوَضع الحالي تكوين مجموعات في الكنائس مُخصَّصة للصلاة فقط من أجل الكنيسة ومن أجل خلاص الشعوب. وللكاتب في هذا كُتيب بعنوان: "تَضَرُّعَاتٌ عَصْرِيَّة، وَتَسْبيحَاتٌ كِتَابِيَّة".

٤ـ بخصوص لجنة شئون المَهجر:

يتعيَّن على مَن يقومون بِتأسيس كنيسة في الخارج ألَّا يتركوها بعد تأسيسها، بل يستمروا في تَعَهُّدها. فالتأسيس هو النصف الأول من المُهِمة، وأمَّا النصف الثاني فهو المُتابَعة. لا سِيَّما وأن نُمُو وسلام كل كنيسة يتعلَّق بِالعَوامل السياسية في البَلَد الكائنة به (التفصيل صفحة ٨٣).

٥ـ بخصوص لجنة شئون الكهنة:

تَقنين ضَوابِط لُجوء الكاهن إلى استِعمال "المذبح المُتنقِّل" (المُسرَدة بِصفحة ٩٢). لأنه لا يَحِق للكاهن اِستعمال "المذبح المُتنقل" من نفسه وحده.

يارب، إنِّي مُتأسفٌ لك جداً..

يارب، إنِّي مُتأسف لك جداً أن كثيرين مِنَّا أحبوا المجد الباطل الذي من الناس، أكثر من المجد الفاخِر الذي أعدَدتَه لنا.

يارب، إنِّي مُتأسف لك جداً أن محبة وعبادة كثيرين مِنَّا لك قد لا تكون بِالروح والحق، وأننا لا نحفظ يَومَك مُكَرَّساً لك.

يارب، إنِّي مُتأسف لك جداً أن نعمتك لا تقدر أن تصنع قوات في حياة كثيرين مِنَّا بسبب إنصِرافِنا عنك، وبسبب قِلَّة وضعف إيماننا، بل والبعض يُهينونك ظُلماً بأنك تارِكهم ولا تُخلِّصهم.

يارب، إنِّي مُتأسف لك جداً أن علاقة كثيرين مِنَّا بك قد اِنحَدَرَت إلى حَد الاستهانة بقُدُساتك واستغلال لُطفك، في حين أن مَن لم يَقبَلوا حُبَّك وفِداءَك بعد يَخشَون عِزَّتك وجلالك.

يارب، إنِّي مُتأسف لك جداً أن اسم مَسيحك القدوس الذي نَحمِله يُجَدَّف عليه بسبب البعض مِنَّا، "لَهُمْ صُورَةُ التَّقْوَى وَلَكِنَّهُمْ مُنْكِرُونَ قُوَّتَهَا". وأنه من بيننا مَن لم يَعودُوا "مِلْحُ الأَرْضِ" و "نُورُ الْعَالَمِ"، حتى أنه في أحيانٍ كثيرة لا نكون ظاهِرين من بين الآخَرين، مع أن كلمتك هى: "أَوْلاَدُ اللهِ ظَاهِرُونَ وَأَوْلاَدُ إِبْلِيسَ (ظاهِرون)".

يارب، إنِّي مُتأسف لك جداً أن الذين لا يَفِدون إلى كنيستك الآن هُم أكثر بِكَثير من الذين يَفِدون إليها، بينما نحن خُدامُك نُوَجِّه جُل خدمتنا إلى هؤلاء القريبين دون أولئك البعيدين.

يارب، إنِّي مُتأسف لك جداً أن جهادات القديسين السابقين، بالنسبة لنا نحن أحفادهم؛ صارت ـ مع أجسادهم ـ شِبه رفات.

يارب، إنِّي مُتأسف لك جداً أن الكنيسة على الأرض الآن لَيسَت كما سَتَكون عليه حينما سَتُحضِرها لِنَفسك أخيراً؛ مجيدة بِلا دنس ولا غَضْن، مقدسة وبِلا عَيب.

يارب، إنّي مُتأسف لك جداً أن كهنةً مِنَّا يَغدُرون بِدَعوتهم، فيُطَلِّقون خدمتهم ويَهجرون رَعِيَّتهم ويُهاجِرون من كنيستهم، دون تكليفٍ كنَسِيّ بل لأجل أنفسهم، طَلَباً لحياةٍ أكثر رَغدٍ وتَرَف.

يارب، إنّي مُتأسف لك جداً أنه يوجد لأولادك "رَبَوَاتٌ مِنَ الْمُرْشِدِينَ... لَكِنْ لَيْسَ آبَاءٌ كَثِيرُونَ... مُتَرَفِّقِينَ... كَمَا تُرَبِّي الْمُرْضِعَةُ أَوْلاَدَهَا... حَانِّينَ".

يارب، إنّي مُتأسف لك جداً أن المحبة الباذِلة قد شَحَّت، ليس فقط لَدَى عُموم شعبك بل ولَدَينا نحن خُدَّامك ومُؤتَمَنيك، وانحَصَر جانبٌ كبير من بَذلِنا في الوَعظ والكلام.

يارب، إنّي مُتأسف لك جداً أننا لا نُنَبِّه الناس إلى آياتٍ في غاية الأهمية، هى منهج الحياة المسيحية الأصيل، كالتي في: يو١٧: ٢٣؛ أف٣: ١٩؛ أف٤: ١٣؛ ٢بط١: ٤؛ ١كو١٥.. مع أنك وبَّخت من قبل الذين أحجَموا عن إعلام الناس بِوَصاياك، بِقولك لهم: "فَقَدْ أَبْطَلْتُمْ وَصِيَّةَ اللَّهِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ!... وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ".

يارب، إنّي مُتأسف لك جداً أننا لا نُكلِّم الناس عن حقائق خلاصية بِعَينِها، وكأنها من الأمور المُتَكَتَّم عليها، لكي نُقدِّم للناس إنجيلاً سَهلاً اِجتماعياً لا يحتوى إلَّا على التعزيات والمكافآت، ولكي لا نُغضِب الناس مِنَّا، مثل: التحذير من خطية الزنى الشَّنيعة التي كَثُرَت وَسط شعبك الآن، وأهمية الاستعداد للتناول من جسدك ودمك الأَقدَسين، والدعوة إلى البتولية، وشروط الانقياد بِروحك القدوس، وبَشاعة الجحيم، واقتراب مَجيئك، ودَينونتك المَرهوبة..

يا ربنا يسوع المسيح اِبن الله الحي، يا مَن اِقتَنَيتَ كنيستك، عَروسَك، بِدَمك؛ التي وإن صارت الآن واهِنة وقد بَدَت عليها أعراضُ القُصور، ولا تحتمل البقاء في الأرض طويلاً ـ لكنك "الْحَافِظِ الأَمَانَةَ إِلَى الأَبَدِ"؛ وَوَعدَك الأمين هو: "أَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا"، فلا ترى فساداً، وحينما ستأتي بِقُوَّتك ومجد أبيك، ستُجدِّد مثل النَّسر شبابَها لِتَختَطِفها في السُّحُب لِمُلاقاتك.

فالآن نحن شعبُك ومَفدِيُّوك، أَزِل عن عيونِنا كل غَشاوة، إنزِع من قلوبِنا كل قَساوة، وهَب نُفوسَنا صَلاحاً ونَقاوة.. "آمِينَ. تَعَالَ أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ".

المَراجِع

١ـ "الدسقولية": باب ٨، ٢١، القمص مرقس داود، الطبعة الثالثة ١٩٦٧، والرابعة ١٩٧٥.

٢ـ السنكسار: اللجنة المجمعية للطقوس، مكتبة دير السيدة العذراء السريان، الجزء الأول، طبعة ثانية ٢٠١٣، المطبعة: امبريال ـ عابدين، رقم الإيداع: ١٥٥٧٨/ ٢٠١٢.

٣ـ القديس يوحنا ذهبي الفم: "الكهنوت المسيحي"، ترجمة: كنيسة السيدة العذراء بالفجالة، أغسطس ١٩٧٤م، رقم الإيداع: ٤٦٣٥/ ١٩٧٤، المطبعة: دار الجيل للطباعة (الفجالة)، عن:

St. CHRYCOSTOM: Treatise Concerning the Christian Priesthood, Nicene and p. Nicene Fathers. 1st ser. Vol. 9.

٤ـ فردوس الآباء (بُستان الرهبان الموسع)، إعداد رهبان ببَرية شيهيت، الجزء الثاني، ٢٠٠٦م، مُنقَّحة ومَزيدة.

٥ـ الأب يوحنا السُّلَّمي: "السُّلم إلى الله"، فصل "رسالة إلى الراعي". تعريب رهبنة دير مار جرجس الحرف، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، منشورات النور، بيروت.

٦ـ رسائل القديس إيسوذوروس الفَرَمي، الناشر: المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ترجمة د. جورج عوض، مطبعة: النوبار، طبعة: أغسطس ٢٠١٨، رقم الإيداع: ١٥٢٧١/ ٢٠١٨م، الترقيم الدولي: ٠ ـ ٠٥٩ ـ ٤٨٧ ـ ٩٧٧ ـ ٩٧٨.

٧ـ القس تادرس يعقوب: "الحب الرعوي"، ديسمبر ١٩٦٥.

٨ـ الأب ليف جيلليه: "كُن كاهناً لي"، ترجمة بيت التكريس بحلوان، عن الطبعة الفرنسية في بيروت بِاسم: SOIS MON PRETRE ، بإذن من الناشر: منشورات النور ـ بيروت، إصدار: دار مجلة مرقس، فبراير ١٩٧٣، مطبعة يوسف كمال، رقم الإيداع: ٢٢٠٣ لسنة ١٩٧٣م.

٩ـ القس مَنَسَّى يوحنا: "تاريخ الكنيسة القبطية"، الناشر: مكتبة المحبة، المطبعة: شركة تريكرومي للطباعة، رقم الإيداع بدار الكتب: ٣٠٣٦/ ٨٣، الترقيم الدولي: x ـ ٠١٩ ـ ١٨٧ ـ ٩٧٧.

١٠ـ المتنيح الأنبا يمن والقمص يوسف أسعد: "الكاهن القبطي"، الناشر: كنيسة السيدة العذراء بالعُمرانية، مطبعة دار العالم العربي، الطبعة: الأولى يوليو ١٩٨٦م، رقم الإيداع: ٤٦٣٧/ ٨٦.

١١ـ مجلة مدارس الأحد، سبتمبر ١٩٥٣م، العدد السابع.

١٢ـ مجلة الكرازة: السنة ٦، العدد ٣٥، الجمعة ٢٩/ ٨/ ١٩٧٥م، ٢٣ مسرى ١٩٦١ش.

١٣ـ الأنبا غريغوريوس، أسقف الدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمي: "سيدي.. يا قداسة البابا"، الناشر: مكتبة الأنبا غريغوريوس، المطبعة: شركة الطباعة المصرية العبور، رقم الإيداع بدار الكتب: ١٤٣٥٥/ ٢٠٠٥.

١٤ـ القمص مكاريوس خليل، كاهن كنيسة مار مرقس بِالسيل ـ أسوان: "بِدعة حركة الفِكر الجديد (واختِراق الكنائس المسيحية لِهَدمها من الداخِل)"، مراجعة وتقديم: الأنبا هِدرا مُطران أسوان، الطبعة: الأولى ٢٠٢٠، الناشِر: دار أنطون ـ شبرا، رقم الإيداع: ٣٦٤٥/ ٢٠٢١م، الترقيم الدولي: ٢ ـ ٨٤٨٦ ـ ٩٠ ـ ٩٧٧ ـ ٩٧٨.





"أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ" يو١٧: ٤